ANCORA IMPARO

العصور

السنة الثالثة

اغسطس ١٩٢٩ اعرف نفسك بنفسك: فيثاغورس مجلد ٥ العدد ٢٤

مطالعات

فى سفر الخروج

فى مقالنا الاول « مطالعات فى سفر التكوين » الذى نشر فى العدد الماضى ؛ استطعنا أن نستورد عدة وقائع ينص عليها سفر التكوين فى خروج ابراهيم من أور الكلدان ، وفى وزارة الصديق يوسف فى مصر. غير أنه فاتنا أن نمضى فى مقارنة علمية نوازن فيها بين ما ذكر فى سفر التكوين وما ذكر فى القرآن خاصاً بابراهيم . فقد ذهبنا مذهب القرآن فى أن ابراهيم لم يغادر أور الكلدان هو وأبوه وابن أخيه لوطاً وبقية من كان معهم من الزوجات والاقارب الا لفكرة فى التوحيد اعتنقها ابراهيم وبشر بها فى أرض ما عرف أهلها الا التكثير . ولقد روى القرآن فى ذلك رواية ابراهيم كاملة ونص على أشياء يستدل منها على

أن ابراهيم كان من اصل وثنى ،وأن رأى ببديهته انه لن يكون للعالم من رب الا الله الواحد الأحد ، رب العالمين .

« وإذ قال ابراهيم لأبيه آزر (١) أتتخذ اصناماً آلهة انى أراك وقومك فى ضلال مبين . وكذلك نرى ابراهيم ملكوت السموات والأرض وليكون من الموقنين . فلما جن عليه الليل رأى كوكبا قال هذا ربى فلما أفل قال لا أحب الآفلين . فلما رأى القمر بازغا قال هذا ربى فلما افل قال لئن لم يهدنى ربى لأكونن من القوم الضالين . فلما رأى الشمس بازغة قال هذا ربى هذا اكبر فلما افلت قال يا قوم انى برىء مما تشركون . انى وجهت وجهى للذى فطر السموات والأرض حنيفاً وما انا من المشركين . وحاجه قومه قال أتحاجونى فى الله وقد هدين ولا أخاف ما تشركون به إلا أن يشاء ربى شيئاً وسع ربى كل شىء علماً افلا تتذكرون . وكيف أخاف ما اشركتم ولا تخافون انكم اشركتم بالله ما لم ينزل به عليكم سلطاناً فأى الفريقين احق بالأمن وهم مهتدون . وتلك حجتنا آتيناها إبراهيم على قومه نرفع درجات من نشاء ان ربك حكيم عليم » (٢)

---

(١) ينص سفر التكوين على أن أب ابراهيم هو تارح لا آزر . جاء فى التكوين إص ١١ : ٢٧ ما نصه :

« وهذه مواليد تارح . ولد تارح ابرام وناحور وهاران » . وجاء فى الاصحاح ذاته : ٣١ : « وأخذ تارح ابرام ابنه ولوطاً بن هاران ابن ابنه وسارا لى كنته امرأة ابرام ابنه . فخرجوا معاً من أور الكلدان ليذهبوا الى أرض كنعان . فاتوا إلى حاران واقاموا هناك » .

(٢) سورة الانعام الجزء السابع

كذلك ينص القرآن على أن ابراهيم كان على خلاف مع أبيه وأن هذا الخلاف كان السبب فى أن يخرج ابراهيم من أور الكلدان الى الأرض التى وعده بها الله .

« ولقد آتينا ابراهيم رشده من قبل وكنا به عالمين . اذ قال لأبيه وقومه ماهذه التماثيل التى أنتم لها عاكفون . قالوا وجدنا آباءنا لها عابدين . قال لقد كنتم أنتم وآباؤكم فى ضلال مبين . قالوا أجئتنا بالحق أم أنت من اللاعبين . قال بل ربكم رب السموات والأرض الذى فطرهن وانا على ذلكم من الشاهدين . وتالله لأكيدن أصنامكم بعد أن تولوا مدبرين فجعلهم جذاذاً الا كبيراً لهم لعلهم اليه يرجعون . قالوا من فعل هذا بآلهتنا انه لمن الظالمين . قالوا سمعنا فتى يذكرهم يقال له ابراهيم . قالوا فأتوا به على اعين الناس لعلهم يشهدون . قالوا أأنت فعلت هذا بآلهتنا يا ابراهيم . قال بل فعله كبيرهم هذا فاسألوهم ان كانوا ينطقون . فرجعوا الى انفسهم فقالوا إنكم أنتم الظالمون . ثم نكسوا على رؤوسهم لقد علمت ما هؤلاء ينطقون . قال افتعبدون من دون الله مالا ينفعكم شيئاً ولا يضركم . أف لكم ولما تعبدون من دون الله افلا تعقلون . قالوا حرقوه وانصروا آلهتكم ان كنتم فاعلين . قلنا يانار كونى برداً وسلاماً على ابراهيم . وارادوا به كيداً فجعلناهم الاخسرين » . (١)

ولا يذكر سفر التكوين شيئاً من كل هذا بل ينص على مايأتى :

« وقال الرب لابرام اذهب من أرضك ومن عشيرتك ومن بيت أبيك الى الارض التى أريك . فاجعلك أمة عظيمة وابارك وأعظم اسمك

---

(١) سورة الانبياء الجزء السابع عشر .

وتكون بركة . وابارك مباركيك ولاعنك ألعنه » . (١) .

فلا يلتمس له سفر التكوين أى سبب من أسباب الخلاف ليخرج من أرض حاران التى نزلها هو وأبوه تارح وبقية عشيرته عند ما غادروا أور الكلدان . بل يحصر السبب فى أن الله أراد له أن يجعله امة عظيمة (٢) كذلك يخطىء المفسرون الذين يقولون بان دعوة ابراهيم ورسالته كانت فى عصر النمرود . ذلك لان سفر التكوين ينص صراحة على أن النمرود من أولاد كوش بن حام بن نوح . (٣) فى حين أن ابراهيم بن تارح بن سام . فكأن ابراهيم والنمرود ولدى عم . ولا يبعد أن يكون ابراهيم قد عاصر النمرود. ولكن رواية المفسرين مردودة بسياق النص القرآنى لان الخطاب فيه بين جمع من ناحية ومفرد من ناحية اخرى ؛ لا بين شخص وآخر ، فكأن الخلاف كان بين ابراهيم وعشيرته بالذات ، لا بينه وبين شخص معروف . كذلك لا تغيب عنا حقيقة : ان بطارقة العبرانيين العظام، كانوا يجمعون بين السلطتين السياسية والدينية . وهذه الظاهرة جلية كل جلاء فى كل بطارقتهم العظام ما عدا المسيح ، على الرغم من أنه عبراني قح على ما أعتقد .

ولقد ساعدهم الجمع بين الصفتين ، والاستتار وراء الستارين ، ستار السياسة وستار الدين ، فى أن يفوزوا كل الفوز بدعواتهم التى دعوا اليها

---

(١) اص : ١٢ سفر التكوين .

(٢) (ان ابراهيم كان أمة قانتاً لله حنيفاً ولم يكن من المشركين شاكراً لأنعمه) القرآن سورة النحل .

(٣) « وكوش ولد نمرود الذي ابتدأ يكون جباراً فى الأرض . الذى كان جبار صيد امام الرب . لذلك يقال كنمرود جبار صيد أمام الرب » . تكوين ص : ١٠ ، ٨ ، ٩ .

فكانوا اذا اعوزتهم القوة لجأوا الى الدعوة السياسية ، واذا اعوزهم الارشاد والتسلط على قوى العقل من طريق اللاعقل ، لجأوا الى الدعوة الدينية . فكان الواحد منهم سياسياً آونة ونبياً اخرى ، على مقتضى الحاجات . والواقع أن الفصل بين الصفتين فى زعيم ، كان من أعسر الامور فى ظروف مثل الظروف التى حوطت العبرانيين فى عصورهم الأولى . بل كانت الحكمة تقضى بالجمع بين الصفتين . لانه من أعسر الامور ان يدعى بطريق منهم السلطة السياسة بعد أن تكون دعوته قاصرة على الدين منذ البدء ، وكذلك الحال من بطريق يدعى السلطة الدينية والوحى الغيبى ؛ بعد ان تكون دعوته قاصرة على السياسة منذ أول ظهوره أميراً على أبناء عشيرته .

ولا مشاحة فى أن جمع بطارقة العبرانيين بين السلطتين كان فيه شىء كثير من مقتضيات الظروف وطبيعة العيشة البدوية فى قبائل يحتاج الرئيس فيها الى أكبر السلطات وأوسعها لكى لا تتنافر الآراء وتتشعب الرياسات ؛ فيكون من وراء ذلك انصداع الشمل والتفرقة بين بطون العشيرة ، فى زمان وتحت ظروف تدعو الحكمة والطبيعة معاً على القبيلة أن تكون إزاءها يداً واحدة وكلا متماسك الاطراف متناسق الوحدات اساس نظامه الطاعة والخضوع لقانون العرف والسلطة المطلقة المنحصرة فى يد البطريق الأكبر أو الرئيس الاعظم الموروثة سلطته عن آباء اعترف لهم بالزعامة ، واصبحت فيهم تقليداً ينتقل فيهم الى الخلف عن السلف وعلى مضي العصور .

وأية سلطة يمكن أن تكون أوسع مدى أو أقوى أثراً أو أنفذ سلاحاً أو اشد اخضاعاً لثائر النزعات من سلطة تجمع بين قوات

مستمدة من عالم الشهادة وعالم الغيب معاً. ولا شك عندى فى أن هذا هو السر الاكبر فى قوة الجماعات العبرانية ومحور قوتها الاجتماعية التى كانت سبباً فى أن تقاوم المصارع التى كان من المحتوم ان تصرعهم ، والكوارث التى كان لزام أن تذهب بريحهم ، لولا خضوعهم الاعمى لبطارقة خصوا بأرقى المزايا التى اختص بها هذا الشعب العجيب

فان شعباً يظل منذ عهد التفرقة سنة ٧٠ بعد الميلاد ، اى منذ سقطت اورشليم فى قبضة الرومان ، هائماً على وجهه إما سعياً وراء الربح التجارى أو فراراً من اضطهاد أواستبداد ينزل به من مختلف اصحاب المعتقدات الدينية ؛ وقد وقف فى وجهه نظام القطائع عن أن يملك أرضاً كما صده نظام الاتحادات الصناعية عن أنه يشترك فى الانتاج الصناعى ؛ فاصبح محاصراً أينما حل وحيثما كان ، حصاراً تاماً قوياً ، ثم يخرج من بعد كل هذا ، وعند اول فرصة يتنفس فيها العالم ريح الحرية ـ اقوى تماسكا مما كان ؛ واشد نفوذا منه فى كل عصر مر به منذ عشرين قرناً من الزمان ، لشعب جدير بأن تحنى له الرؤوس اجلالا ، بل انه لشعب جدير بأن يبلغ ما بلغ من مدارج الشرف والقوة المعنوية . وعندى أن العبرانيين وفئة من قدماء اليونانيين ، هما الشعبان اللذان خلصا من الانسانية بازكى ما فيها من دماء ، واشرف ما انطوت عليه تضاعيفها من نزعات .

*
* *

وبعد . فنعود الى أشياء نرجع فيها الى سفر التكوين لنعرف منها كيف هبط اسرائيل ـ يعقوب ـ وبنوه أرض مصر فى زمان الصديق يوسف ؛ وأين نزلوا وكيف عاشوا ، ثم نرجع الى سفر الخروج لنتبين منه

شخصية موسى السياسي ؛ او على حد قول كارليل ، لنستخلص منه صورة من النبي فى ثوب : بطل سياسى .

على اننا قبل أن نتابع البحث والمقارنة بين الروايتين اللتين وردتا فى سفرى العهد القديم ـ التكوين والخروج ـ والقرآن ؛ يجب علينا ان ننبه على ان هذه المقارنات مقارنات علمية نقصد بها الجرى على الطريقة التى جرى عليها الذين كتبوا فى مقارنة الاديان والمقابلة بين الاقوال والاقاصيص التى وردت فى الكتب المقدسة على اختلاف صورها وتباين مصادرها . إذن فالابحاث التى نمضى فيها ابحاث علمية صرفه لا علاقة لها بالتفاسير المقدسة ولا بالمذاهب التى ذهب اليها اهل اللاهوت فى تعليل حوادثها .

فاذا عقبنا على رواية من سفر من اسفار موسى برواية من القرآن، او اذا شفعنا رواية من القرآن برواية جاءت بها أسفار موسى ، فليس لنا فى ذلك من مقصد الا البحث العلمى البحت الخارج عن مجال الجدل اللاهوتى الذى يريد البعض أن يقذف بنا فى غمراته العميقة الداوية بالعبارات الجوفاء والمعانى العجاء، التى لا تقع فيها على قصد معين أو غاية مرسومة. والحق أن الطرق التى انتحاها الغربيون فى مقابلة الاديان لم تحز فى أول الأمر لدى اللاهوتيين قبولا ولا نزلت منهم فى المكان الذى نزلته من صدور العلماء ومحبى البحث . غير أن هذه الطريقة بعد أن اعيت أهل اللاهوت فى يد العلماء، انتحلها اللاهوتيون لتكون فى يدهم سلاحاً يؤيدون به مذاهبهم . فاذا كانوا نصارى قابلوا بين الاديان لينصروا النصرانية ؛ واذا كانوا يهوداً نصروا اليهودية ، واذا كانوا مسلمين نصروا الاسلام ، واذا

كانوا بوذيين نصروا البوذية ، وعلى الحق والحقيقة من بعد ذلك السلام .

* * *

تركنا يوسف الصديق فى مقالنا الأول يهيىء الاسباب للوكه الهكسوس ـ ابناء عمه فى الدم ـ لكى يفوزوا بالنصر على المصريين بعد أن بدأت حرب الاستقلال التى دامت بفضل تدبيره خمسة أجيال متعاقبة على ما أثبت المؤرخون . فلنمض من ثم فى اتمام رواية نزول بنى اسرائيل مصر ، ثم اضطهادهم ، بعد أن غلب الهكسوس على امرهم وخرجوا من مصر بعد عهد الصديق يوسف بقليل .

وهنا يجب ان ننبه على حقيقة ذكرنا ذكرها فى مقالنا الاول . فقد قال بعض المؤرخين إن عهد يوسف الصديق كان فى بدء الحرب الاستقلالية وهذا على الغالب وهم وقع فيه المؤرخون . ولا جرم انه لا يهمنا فى بحث كهذا ، تحوطه الاخطاء التاريخية وتحف به الشكوك ، ان تعرف اسم الملك الذى استوزر يوسف الصديق ، بل يكفينا أن نعرف ان يوسف استوزره ملك هكسوسى وانه اعانه بسياسته التى شرحناها على مقاومة المصريين فى طلبهم الاستقلال والعمل على طرد الغاصبين من أرضهم . والراجح عندى ان كل الادلة التاريخية التى يمكن استخلاصها من رواية يوسف وموسى ، انما تدل على أن يوسف شهد آخر عهد الهكسوس فى مصر ، لا انه شهد بدء اشتعال الحرب الاستقلالية . والدليل القاطع على هذا أن نزول بنى اسرائيل مصر فى عهد يوسف كان تحت عناية الملك الهكسوسى ثم لم يلبث الامر أن انقلب بعد ذلك بقليل من عناية الملك بهم الى استبداد وعسف ، ليس لهما من سبب الا ان يكون الهكسوس قد غلبوا

على امرهم وتسلط على البلاد ملك من أهلها اخذ يسوم عشيرة يوسف الخسف ، تلقاء سياسته التى اعان بها اعداء البلاد على اهل البلاد .

كما انه من الجائز أن تكون رواية المؤرخين صحيحة ويكون مذهبنا الذى ذهبنا اليه فى مقالنا الاول صحيح . فان سفر التكوين ينص على ان يوسف عمر الى سن المائة وعشر سنين . فاذا كان قد شهد ولاية الوزارة وهو فى الثلاثين من عمره لانه هبط مصر وهو ابن سبعة عشرة سنة ، فيكون قد شهد الحرب الاستقلالية ثمانين سنة من عمره ! ! ! كما ان موسى من الجائز ان يكون قد ولد فى أواخر عمر يوسف الصديق وانه لم يرسل الى ملك مصر ليخلص شعب الله المختار الا وهو فى سن الخمسين فيكون مجموع ذلك مائة وثلاثين سنة . ويخطىء المؤرخون أو يصيبون فى بقية الخمسة الاجيال . هذا إذا اعتبرنا الجيل ثلاثين سنة . ولكن لماذا لا يكون خمسة وعشرون ؟ فيكون حسابنا صحيحاً ومذهبنا اقرب ما يكون من الصواب .

والحق ان الدلائل ، اذا صحت رواية سفر التكوين فى عمر يوسف ، تدل على ان يوسف شهد بدء الحرب الاستقلالية كما شهد أواخرها ؛ وان الحرب لم تكن متصلة متوالية ، بل كانت سجالا ، تشب حيناً وترقد أخرى ؛ خلال هذا القدر العظيم من السنين .

* * *

جاء فى سفر التكوين : ا ص : ٤٧ . ٢٧ الى ٣١

« وسكن اسرائيل فى أرض مصر فى أرض جاسان (١) وتملكوا

(١) ارض جاسان - goschen - تقع بين بلبيس والاسماعيلية ، وهو سهل خصيب كثير المرعى قريب من سينا مهبط العبرانيين .

فيها واثمروا و كثروا جداً . وعاش يعقوب فى أرض مصر سبع عشرة سنة . فكانت ايام يعقوب سنو حياته مئة وسبعاً واربعين سنة . ولما قربت أيام اسرائيل ان يموت دعا ابنه يوسف وقال له إن كنت قد وجدت نعمة فى عينيك فضع يدك تحت فخذى واصنع معى معروفاً وأمانة . لا تدفنى فى مصر . بل اضطجع مع آبائى . فتحملنى من مصر وتدفننى فى مقبرتهم . فقال انا أفعل بحسب قولك . فقال احلف لى . فحلف له فسجد اسرائيل على رأس السرير » .

وإليك نص القرآن ـ سورة يوسف الجزء الثالث عشر

« فلما دخلوا على يوسف آوى اليه أبويه وقال ادخلوا مصر ان شاء الله آمنين . ورفع ابويه على العرش وخروا له سجداً وقال يا أبت هذا تأويل رؤياى من قبل قد جعلها ربى حقا وقد احسن ابى اذ اخرجنى من السجن وجاء بكم من البدو من بعد أن نزغ الشيطان بينى وبين اخوتى ان ربى لطيف لما يشاء انه هو العليم الحكيم » .

وليس لنا أن نعتمد بعد هذا على النصوص القرآنية ، فان الايجاز الذى اختصت به عبارات القرآن لا يفيدنا فى بحث مسألة تاريخية اجتماعية كمسألة خروج ابناء اسرائيل من مصر . لهذا نحصر همنا فى سفر الخروج لنستخلص منه ما يساعدنا على تفهم المسأله والخروج منها بوجه صحيح على قدر الامكان .

من ابناء يعقوب ـ الاسباط ـ الذى نزلوا مصر ولد يقال له «لاوى» اتخذ رجل من بيته زوجة له من نفس البيت . ولاوى هذا اخو يوسف

ابن يعقوب . فولدت المرأة غلاماً سمي موسى . فكأن موسى ويوسف أولاد عم بالنسب .

والنصوص التى نعثر عليها فى سفر التكوين صريحة فى أن مصر قام فيها ملك جديد استبد بالعبرانيين وسامهم الخسف والهضم . وليس من معنى ملك جديد الا ان يكون ملكا مصرياً تملك بعد طرد ملوك الهكسوس من مصر . ولا شبهة أيضا فى أن قيام هذا الملك كان بعد موت يوسف . فكأن كل الاحتمالات التاريخية التى ذهبنا اليها صحيحة بوجوهها التى رجحناها .

واليك النصوص :

« وكانت جميع نفوس الخارجين من صلب يعقوب سبعين نفساً . ولكن يوسف كان فى مصر . ومات يوسف وكل اخوته وجميع ذلك الجيل . وأما بنو اسرائيل فاثمروا وتوالدوا ونموا وكثروا كثيراً جداً وامتلأت الأرض منهم » .(١)

« ثم قام ملك جديد على مصر لم يكن يعرف يوسف . (٢) فقال لشعبه (٣) هوذا بنو اسرائيل شعب اكثر وأعظم منا . هلم نحتال لهم لئلا ينموا فيكون اذا حدث حرب أنهم ينضمون الى اعدائنا ويحاربوننا ويصعدون من الأرض . (٤) فجعلوا عليهم رؤساء تسخير لكى يذلوهم (٥)

---

(١) خروج ا ص ١ ، ٥ الى ٧ (٢) اى لم يكن يوسف وزيراً له وهذه بالضرورة يكون من غير الهكسوس . (٣) اى للمصريين . (٤) دليل واضح على أن المصريين كانوا يخشون انضمام العبرانيين الى غزاة يغزون مصر كما نصروا الهكسوس من قبل . (٥) هذا بالضرورة يكون بعد حرب الاستقلال وانتصار المصريين وفوزهم بملك مصر من اعدائهم الغاصبين .

باثقالهم . فبنوا لفرعون مدينتى مخازن فيثوم ورعمسيس . ولكن بحسبما اذلوهم هكذا نموا وامتدوا . فاختشوا من بنى اسرائيل . فاستعبد المصريون بنى اسرائيل بعنف . ومرروا حياتهم بعبوديه قاسية فى الطين واللبن وفى كل عمل فى الحقل . كل عملهم الذى عملوه بواسطتهم عنفاً » . (١)

وأراد ملك مصر أن يستوثق لنفسه ، ولا ندرى من أى شيء ، فأمر قابلتى العبرانيات وكانت تدعى إحداهما «شفرة» ـ والاخرى « فوعة » بان يقتلا كل ذكر تلده عبرانية وتستبقيا كل أنثى . ولا يذكر سفر الخروج لهذا من سبب ولا يرجع فيه إلى منطق مفهوم بل يمضى فى الرواية كأن فرعون أراد أن يقضى على الشعب بان يفنى ذكوره ويستبقى اناثه ، فيضطررن الى التزاوج من المصريين فيندمج الشعب ويفنى باللقاح . وليس من البعيد أن يتبع ملك فى العصور القديمة مثل هذه السياسة الهوجاء الظالمة . اما الرواية التى يتناقلها بعض العامة من أن فرعون قد انذر بان من أبناء العبرانيين من سيكون زعيما يخرج بالشعب من أرض مصر ، فذلك ما لا دليل عليه ، ولا برهان يؤيده . غير ان القابلتين لم تفعلا بأمر فرعون وادعتا ان العبرانيات يلدن من غير مساعدة القابلات وبذلك تخلصتا من أمر فرعون خوفا من الله وتقية .

وكان من ذلك ان فسدت سياسة فرعون فى القضاء على الشعب العبراني ، فكثر ونما وازداد عدده ، وفرعون دائب على استعباده عامل على افنائه بالظلم والعسف والسخرة فى الأعمال العامة .

وكان فى ذلك الوقت أن تزوج رجل من بيت « لاوى » اخى

---

(١) خروج اصحاح ١ الى ١٤ .

يوسف الصديق بامرأة من نفس البيت فولدت له ولداً هو موسى . وخشيت أمه أن يصل خبر مولده الى فرعون ، فبعد أن خبأته ثلاثة أشهر اخذت سفطا من البردى وطلته بالحمر والزفت ووضعت الولد فيه والقت به بين الحلفاء على شاطىء النهر ، واوعزت الى اخته ان تقف عن كثب ترى ماذا يحل بالغلام .

ونزلت ابنة فرعون الى شاطىء النهر تستحم ومعها جواريها ماشيات . فرأت السفط بين الحلفاء فارسلت أمتها وأخذته . ولما فتحته وجدت به صبياً يبكى . فرقت له وعرفت أنه من أولاد العبرانيين . فقالت اخته لابنة فرعون «هل أدلك على مرضعة من العبرانيات لترضع لك الولد » — فدلتهم على امه ، فاخذت الولد وأرضعته وقامت على تربيته .

ولا جرم اننا اذا أردنا أن نتابع القول فى حياة موسى بالتفصيل وذكر الوقائع التى وقعت له كما رواها كاتب سفر الخروج لطال بنا الشرح . ودخلنا فى شروح تخص شخص موسى ولا علاقة لها بموضوعنا هذا من ناحية تاريخية صرفة .

* * *

ولما ترعرع موسى ارتكب جناية . فقد وجد مصرياً يضرب عبرانياً ، فضرب المصرى ضربة القت به صريعاً وهرب منتحيا نفس الطريق الذى سلكه من قبل جده الاكبر ابراهيم ، وجده الأدنى يعقوب ، وعمه يوسف مبيعاً لقافلة الاسماعيليين ، فقطع برية سينا حتى نزل الأرض التى كان يسكنها شعيباً وتزوج من كبرى بناته وبقى هنالك

عشر سنين ثم قفل راجعاً الى مصر ، لينزل الأرض التى يسكنها أهله فى جاسان . ولما توسط البرية وكان البرد شديداً « قال لاهله امكثوا انى آنست ناراً لعلى آتيكم منها بقبس او اجد على النار هدى » . — وهنالك نزل عليه الوحى بأن يذهب الى فرعون ليخلص من يده أبناء اسرائيل . وكان بعد ذلك ما كان من خروجه من مصر بأبناء اسرائيل .

*
* *

إن كل ما نريد من بحثنا هذا أن نثبت :

أولا — أن يوسف كان وزيراً لملك هكسوسى

ثانياً — انه لعب دور المصلح الاجتماعى ليخدم الهكسوس

ثالثاً — انه شهد بدء الحرب الاستقلالية كما شهد اواخرها

رابعاً — ان الاستبداد بالعبرانيين لم يحدث الا بعد طرد الهكسوس من مصر

خامساً — ان موسى لعب دور البطل السياسى لابساً ثوب القداسة الذى لبسه آباؤه منذ أبعد العصور .

اسماعيل مظهر

قصص للأطفال

بقلم

كامل كيلانى

أسلوب جديد في التربية — به أكثر من ٣٥ صورة مشوقة ثمنه ٣ قروش تطلب من جميع المكاتب المشهورة ومن عباس افندى عبد الرحمن بشارع خيرت بالقاهرة

شعر التصوير

الصيرفى وزوجته

Le Banquier et sa Femme

الرسم لمتسيس (١٤٦٦م. — ١٥٣٠ م .) وهو من روائع متحف اللوفر

للصيرفىِّ إذا تَمَعَّنَ نظرةٌ ... هى رُوحُه مبثوثةٌ فى مالِه

تجد الخُلِىَّ أمامَه أحلامَه ... وما لَهُا متعلّقٌ بمآلِه

فاذا البقاءُ لها بقاءُ شُعورِه ... وإذا الضَّياعُ لها قرينُ زوالِه

وكأنّما الإمعانُ أكسبَ وَجهَهُ ... طُولاً ، وكان التّبرُ لونَ خيالِه!

يتأمّلُ المالَ العزيزَ كأنّه ... يتلو عبادةَ مُؤمنٍ أو والِه

ويكاد يَحسب فى الاطالةِ مُنتجاً ... كالذّهنِ ـ بعد تأمُّلٍ ـ لنوالِه!

هو كلُّ دنياه وأُخراه معاً ... وجمالُ زوجتِهِ وأُنْسُ عِيالِه

نظرتْ اليه وأمسكتْ عن نظرةٍ ... بكتابها ، واستمتعتْ بمقالِه[1]

وكأنّها قد زُوّجتْ مِنْ مالِهِ ... وخصالُها مقرونةٌ بخصالِه

وتوَحّدَا بالمالِ حتى أصْبَحَا ... مَثَلَيْنِ فى التكييفِ مِنْ أمثالِه

---

(١) مقال المال

ماذا تضيرهما مَبَاءَةَ عُزلةٍ ... وهما اللّذانِ تَنَسّمَا بجماله ؟

عَرَفَا الحياةَ تفانياً فتَفَانَيَا ... بوجودهِ ، واستعلَيا بجلاله

واستغنيا بضيائه عن بَسْمَةٍ ... للحُبِّ ، واقْتَنَعَا بصدقِ خلاله

وترَى الجُمُودَ قَساحياً لهما ، وما ... تَدْرى سواه ببالهما وبباله

في حين أنّكَ في ولُوعكَ قانعاً ... بالفكرِ أو بالفنِّ أو « بمثاله »

ما كنت أسعدَ منهما في مَيْتَةٍ ... المالُ حوَّلَها مدى آجاله

أبو شادى

سيبويه والكسائى

فى (سيبويهِ) إمامِ النّحوِ تذكرةٌ ... للبائسين ومَنْ جُنّوا بتقديرِ

قد كان أوّلَ بانٍ ، ثم مابرحتْ ... صُروحُه خلوداً قبل تعميرِ

فاز (الكسائى) عليه مِنْ مغالطةٍ ... نخاب فى حُكمِ عرفانٍ وتفكيرِ

والدّهرُ أعدلُ قاضٍ بعدما خَرستْ ... لُسْنُ الأباطيل من بأس الدنانير

ابو شادى

على السفود

عباس محمود العقاد

— ٢ —

قلنا إن هذا العقاد لص من أخبث لصوص الأدب لانه مع هذه اللصوصية يدعى دائما ملكية ما يسرقه ، ومع هذه الوقاحة فى الادعاء يحقد على كل من يملك شيئا من مواهب الله ، ومع هذا الحقد الدنىء لا يتصور الناس الا على أمثلة من نفسه . ولعله لا يعقل أن فى أحد من خلق الله دماً شريفا أو عرقا ساميا، أو أخلاقا نبيلة، ومن أجل ذلك لا يعرفه عار فوه الأعمى الأخلاق ، كل ضدين عنده هما ضدان باسم واحد أو شىء واحد باسمين مختلفين كما يقول هو فى بعض تخليطاته . فقد رأينا له اليوم فى

مجلة « الجديد » مقالا عنوانه « ربة الجمال بلايدين » لم نكد نقرأ أوله حتى ضحكنا من جهل هذا الدعى العالمى فهو يقول :

« كان هينى الشاعر الالمانى يعبد الجمال و يعشق كل جميل . وكان من عبادته فى جحيم ، أوقل فى نعيم ! ! !

خذا بطن « هرشى » أو قفاها فانما كلا جانبى « هرشى » لهن طريق

فان الجحيم والنعيم فى عبادة الجمال شىء واحد باسمين مختلفين ، كان « هرشى » طريق واحد من حيثما أخذتها . . . . (١) وثق أنك اذا قلت النعيم وانت تعنى الجحيم ، أو قلت الجحيم وانت تعنى النعيم فلا لوم عليك ولا مخالفة للحقيقة ! ! ! لأن جحيم الجمال ونعيمه كما قلنا شىء واحد . . . ولانهما داران موضوعان على رسم واحد ! ! ! وفى سعة واحدة ! ! ! لا فرق بينهما داخلا و لا خارجا ! ! ! الا اللوحة التي على الباب ! ! ! »

* * *

عند هذا الحد ألقينا المقالة و اكتفينا من خلط الرجل بالكلمات الأولى ، اذ لو بقى المعتوه يتكلم من طلوع الشمس الى غروبها لكان كل كلامه « باسم واحد » طبعا . وقد نبهتنا هذه الكلمات الى الاصل الذى فى نفس العقاد مما يجعل الاشياء كلها شيئاً واحدا فى اعتباره لا على مذهب وحدة الوجود ، فهو أبعد الناس عن فهم هذا المذهب وان ادعاه ، لان فهمه لا يكون الا بأنوار البصيرة و بادراك التجلى الأقدس : يعنى لا يمكن فهم هذا المذهب الا بعد أن يتصفى الانسان من الرذائل كلها و يدرك بنور نفسه معنى النور الذى انبثقت منه نفسه . والعقاد كله رذائل وظلمات .

* * *

واذا كان هذا الرجل يعتبر الاشياء كلها شيئا واحدا — لا على مذهب وحدة الوجود فعلى أى مذهب إذن ؟ الجواب : على مذهب وحدة غريزته هو . لانه لو صح مايقال إنه ابن تسعة أشهر حقد وغيظ فالفضائل والرذائل وكل ضدين مختلفين لا فرق بينهما الا الاسم ، وفى لغته هو : « الا اللوحة » ! ! !

وقبل أن ننتقل من بيان هذا الاصل نحلل الكلمات القليلة التى نقلناها عنه ليعرف القراء أنه لا يفهم و لا يكتب الا خطأ .

---

(١) ذكر هنا حكاية البدوى الذى تمثل بهذا البيت فى حضرة عمر بن عبد العزيز فتركناها

إذا كان هيني يعبد الجمال فهل يعبده إلا لأنه يعشق كل جميل ؟ إذن فباقي الجملة حشو جرائد . « وكان من عبادته في جحيم أو قل في نعيم » . ان « أو » لاتأتي إلا لأحد الشيئين . وهو يريد هنا الشيئين معاً جحيما ونعيما، فلا معنى لاستعمالها وانما يتبع في هذا التعبير صغار المترجمين الذين يشتغلون بالترجمة الحرفية

ويقول كما أن « هرشي طريق واحد من حيثما أخذتها » فهرشي ياحضرة العبقري!!! ليست طريقاً ولا معنى البيت يدل على ذلك ولا ها « بطن (١) » كما تقول ، وانما تنقل نقلا عامياً وتفهم فهماً عامياً وليس فيك من العربية إلا كاتب جرائد لاغير .

أصل البيت « خذا جنب هرشي » الخ وفي رواية خذي أنف هرشي أو خذا أنف هرشي الخ وهي ثنيه أو هضبة لها طريقان ينتهي اليها من كليهما فمن سلكهما كان مصيباً . اذن هي ليست « طريقاً واحداً من حيثما أخذتها » يا عقاد .

والعجائب كلها في باقي العبارة وهي أسطر قليلة ولكنها تدل على ذهن جبار ، جبار ، جبار !!!

رأينا مرة فتى يريد أن يظهر مظهر رجل مفتول العضل فحشا كميه وصدارة (شراميط) !! عضلات بارزة مكتنزة ، لكنها عضلات من شراميط !!

هكذا من يظن العقاد جبار الذهن، والحقيقة أن الرجل جبار الغريزة منذ كان دودة إلى أن كان جنيناً إلى أن كان انساناً فيختلط الأمر في وقاحته وادعائه وسلاطته على الضعفاء أو على الجبناء . ولكن الذي يعرف العضلات التي تخلع مع الثياب !! . يصفع صاحبها الجبار مطمئناً ، لأنها عضلات من شراميط .

طيب !! « جحيم الجمال ونعيمه شيء واحد » فما معنى « لأنهما داران موضوعتان على رسم واحد » وهل داران على رسم واحد تكونان شيئاً واحداً وتأخذ الحكومة عليهما عوائد واحدة !!! يا أصحاب الأملاك وكلوا هذا المحامي الجبار الذهن ليقنع الحكومة بهذه الفلسفة !!

---

(١) إذا كانت هضبة أو ثنية أي أرضاً مرتفعة فكيف يكون لها بطن ؟ ولكنه وجدها محرفة ممسوخة فنقل من غير تمييز كعادته وحكاية البدوي التي نقلها ممسوخة أيضاً وأصلها الصحيح في معجم ياقوت.

وإذا كانا دارين فلا معنى لأن يقول الجحيم والنعيم ، لأن النعيم هذه من تعبيرات العامة وانما تأتى مضافا اليها فيقال جنة النعيم ودار النعيم بخلاف الجحيم فانها هى الدار . ثم الداران فى سعة واحدة بعد أن قال حضرته انهما على رسم واحد . العقاد إذن مهندس ممن اشتغلوا فى الجحيم والنعيم ومساح أيضاً موظف فى ديوان المساحة الذى وراء الطبيعة !!! وأكثر من ذلك يظهر ان هذا الصعلوك من كبار أرباب الأملاك السماوية فأراد مرة أن يشترى الجحيم والنعيم فتفرج عليهما فاذا هما « لا فرق بينهما داخلا ولا خارجاً إلا اللوحة التى على الباب».

طبعا طبعا هذه اللوحة كان مكتوباعليها : جحيم ونعيم للبيع !!! لالا ! بل هى كما يظهر من معنى كلام الجبار لوحة من الرخام كتب عليها دار الجحيم . دار النعيم !!!

واذا كان هناك « باب » عليه « اللوحة » فكيف صارتا دارين ؟ كان ينبغى أن يكون هناك بابان عليهما لوحتان ولكن يظهر ان العقاد رفع دعوى يطلب الحكم فيها بسد أحد البابين لانه يفتح على ملكه الخاص فحكم بسده وانزال اللوحة التى كانت عليه وحينئذ صارتا دارين بباب واحد !!

أفتونا أيها القراء : أهذا جبار الذهن ؟ أهذا كاتب ؟ أهذا أديب ؟ أهذا يفهم بيان العربية ؟ أم هى صنعة جرائد ثم مغفلون من الكتاب لمغفلين من القراء ؟

***

وتظاهر العقاد باحتقار الأدباء — مع أنه فى نفسه يغلى حقدا وحسدا — طريقة مسروقة يقلد فيها الكاتب الانجليزى الشهير « برنارد شو » الذى يقول انه لا يجد عقلا يستحق احتقاره الا عقل شكسبير !!!

ولكن انظر الفرق بين الاصلى والتقليد . « برنارد شو » يحتقر النوابغ من جهة عقليته فلا يحسد ، والعقاد من جهة نفسيته فلا يعقل ، والأول يضع الآراء ويبتكرها والثانى يسرق ويدعى ، وذلك يحتقر احتقارا ساميا أساسه التظرف وهذا دنىء دنىء أساسه الحسد ولؤم الطبع ، والعامية الثقيلة الآتية من الشوارع تلك التى توهم أهلها أن الأسمى لابد أن يحتقر الأدنى ، فاذا تظاهر العامى الوضيع باحتقار رجل شريف أو نابه كان ذلك فى منطقه دليلا مقنعا للناس أنه هو الأسمى والأشرف والأعظم !!! فالعقاد لص حتى فى الصفات .

ومع ان برنارد شو ذكى نابغة فقدخرجوا من نقده وتحليله بأنه كالمخدوع المغرور أو مخدوع مغرور على الحقيقة يمتاز بنقائص وعيوب اختص ببعضها وشارك الناس فى بعضها ، وان ثقته بنفسه تفقد الناس الثقة به فقد يعتقد أنه جاء بالكلمة الأخيرة فى الموضوع الذى يعالجه فى حين ان النقاد يكونون مقتنعين بأنه لم يفهم قط، وينتهى من ذلك الى أسخف الآراء وأبعدها فى الخطأ مكانا ، بحيث يرجع احيانا من شدة سموه الذى يتوهم وليس فيه الا رجل عامى سطحى ضعيف .

* * *

هذا فى برنارد شو الذى ولدته أمه برنارد شو .فكيف الحال فى لص مقلدينه و بين شو مثل ما بين اسوان ولندن ؟

ولكن لو سألت العقاد فى هذا لما كان شىء أسهل عليه من الجواب ، فانه يقول ان اسوان ولندن شىء واحد ، لافرق الا اللوحة ، و برنارد والعقاد شىء واحد لافرق الا . . . والله ما انا عارف الا إيه ... قول الا إيه ياعقاد ؟!

وما دمنا فى بيان سوء فهم هذا المغرور فنقول ان بعض الأدباء سألنا عن رأى نشره العقاد فى مجلة الجديد، يعلل فيه ميل ابن الرومي إلى الهجاء ، و إقذاعه فيه و إفحاشه فى السب وذلك حيث يقول العقاد فى تلك المقالة : « فالرجل (ابن الرومى) لم يكن شريرا ولاردىء النفس (خذ بالك من ردىء النفس) فلماذا إذن كثر هجاؤه واشتد وقوعه فى أعراض المهجوين ؟ نظن أنه كان كذلك لانه كان طيب السريرة » انتهى بحروفه.

نقول إن صح هذا صح مذهب التناسخ ويكون ابن الرومى قديما هو هو عباس محمود العقاد اليوم، جاء كما كان من قبل تماماً !!! جبارا عند نفسه وقحاً عند الناس.

* * *

يقول العقاد « كان ابن الرومى هجاء مقذعا فى الهجاء وكان لأهاجيه أثر كبير فى حياته وفى شهرته (تأمل) . والواقع أن ابن الرومى لم يدع أحداً من النابهين فى زمانه إلا هجاه أو أنذر بهجائه. هل كان ابن الرومى شريراً لانه كان كثير الهجاء ؟ لا . بل هو لو كان شريراً لما اضطر الى كل هذا الهجاء أو لو كان أكبر شرا لكان أقل هجاء.

لأبناء عصره . ما كان هجاؤه يشف عن التكيد والنكاية كما كان يشف عن الحرج والتبرم » هذا كلام جبار الذهن المضحك وقد وقفنا من نقله عند كلمة الحرج لانها أذكرتنا ماحدثنابه بعضهم من أنه لام العقاد يوما على حقده وكلمه فى أن هذا عجز منه وضعف ، لانه لو كان قويا لنازل وصارع وأعطى كل ذي حق حقه ، فان القوة تعجب بالقوة وتقر لما هو أقوى . وقال له إن المتلاكمين أو المتصارعين يتصالحان على الحلقة ثم يتلاكمان . وقد يقع أحدهما ثم يعودان صديقين لأنهما فى قانون القوة الانسانية لا الوحشية . فقال العقاد : أنا طيب السريرة ولكن الناس يحرجونني أحيانا . كل كلام الرجل عن ابن الرومى هو من كلامه عن نفسه لذلك الأديب، فلؤم ابن الرومى وسبابه وافحاشه وبذاءته وهجاء كل من مدحهم ووقوعه فى الأعراض ، كل ذلك لأنه طيب السريرة !!!

تعالوا يا علماء الاخلاق والآداب فخذوا هذا الاكتشاف الجديد عن جبار الذهن الذى لايعرف ماهو الهجاء فى الشعر العربى ولا ما هو تاريخه، وأصلحوا لغات العالم كلها فى تحديد معنى السفاهة والبذاءة وفحش القول ولعن أعراض الناس ، فقولوا إن كل ذلك معناه طيب السريرة !! على ماحققه جبار الذهن المسمى عباس العقاد!!

* * *

لقد سئمنا هذا الهذيان من هذا السخيف ولكن أنظر التركيب العربى فى كلامه لتعرف أنه هو لايفهم ما يكتبه وله من مثل هذا كثير جداً . يقول ان ابن الرومى لم يكن شريرا لأنه كان كثير الهجاء . ثم يقول لو كان شريرا لما اضطر إلى مثل كل هذا الهجاء . والمعنى فى العبارتين ان كثرة الهجاء دليل قاطع فى نفى الشر عن الرجل . ثم يقول « لوكان أكبر شرا لكان أقل هجاء » وهذه العبارة قاطعة فى أن ابن الرومى كان شريرا لان أفعل التفضيل (أكبر) لايذكر فى الكلام إلا لتحقيق الزيادة فى صفة يشترك فيها شيئان ويزيد أحدهما فيها على الآخر . فالمعنى بهذا التركيب ان ابن الرومى شرير، ولكنه قليل الشر لأنه كثير الهجاء !!! ولو كان أكبر شرا لكان أقل هجاء .

اذن فالعبارتان السابقتان لغو لامعنى لهما الا ثرثرة جرائد ساقطة لاتميز الصحيح من الفاسد . وهما دليلان لادليل واحد على ان العقاد كاتبا ، كالعامى قارئا

وفى هذا المقال الذى سألنا عنه الأديب يفسر (جبار الذهن) بيت الابن الرومى هو قوله :

لا يغضبن لعمرو من له خطر فليس يرضى بظلمي من له خطر

قال (جبار الذهن) : كأنه يقول لقد صبرت على عمرو فرضى الناس بظلمه إياى فاذا هجوته أنا الآن فما يحق لذى خطر أن يغضب له وهو منصف بينى وبينه (١)

ماذا فهمت أيها القارىء من (جبار الذهن) فى تفسيره ؟ أين صبر ابن الرومى على عمرو فى هذا البيت الذى ترتب عليه رضا الناس بظلم عمرو لابن الرومى ؟ ثم معنى ترتيب رضا الناس على صبر الشاعر - بدليل استعمال الفاء فى قوله فرضى الناس - يفهم منه بدلالة اللزوم انه لو لم يصبر ابن الرومى لغضب الناس على عمرو ولم يرضوا بظلمه للشاعر . فاذا كان كذلك فلماذا صبر ابن الرومى وهو يملك هذا السلاح الماحق ، سلاح الرأى العام الذى أنعم الله عليه به بعد موته !!! باكثر من ألف سنه على يد جبار الذهن ؟

صبر ابن الرومى على الظلم فرضيه الناس له، فاذا نفد صبره الآن وهجا عمرا فلا يحق للناس أن يغضبوا لعمرو اذا كانوا منصفين . هذا هو وجه العبارة لو كان العقاد يحسن الكتابة . ولكنه خلط فجعل الناس يرضون جملة بالظلم ثم لا يغضب منهم حين الغضب ، الا ذو خطر ، وجعل ذا الخطر هو الذى ينصف وحده حين قصر عليه الجملة الحالية . وهذا من تلفيق الرجل وتعميته على القراء ليوافق كلامه الفاظ البيت . اذ لو قال رضى الناس ولا يحق للناس أن يغضبوا لتعرض للفضيحة لأن الشاعر نفسه لا يريد الناس بل من له خطر منهم .

ويبقى انه يلزم من تفسير العقاد أن الناس فى عصر ابن الرومى كانوا على هذا الشأن فيما بينه وبين عمرو فقط واهملوا أمره مع كل من هجاهم وكل من ظلموه وكل من صبر عليهم . وهذا (فتح جديد) فى التاريخ ويجب أن يضاف الى اكتشافات العقاد ولعله كان كذلك لأنه عمرو بن أم عمرو والذى قال فيه الشاعر

اذا ذهب الحمار بأم عمرو فلا رجعت ولا رجع الحمار !

نحن على يقين أن هذا العقاد ضعيف الفهم وهو يهرب دائما من التفسير فى الآداب العربية لهذه العلة ، فان وقع مرة وقع على أم رأسه كما ترى فى هذا البيت. ومع أن الكتب

---

(١) مجلة الجديد عدد ١٣ مايو سنة ١٩٢٩

الاوربية التى يغير عليها كثيرة الشروح والتعاليق والنقد ، فله سخافات فى فهم الآراء الدقيقة منها كما سنبين ذلك . وماغطى عليه الا أنه دائما يسرق و ينتحل ولا يبين الأصل الافرنجى الذى يغار عليه .

***

معنى بيت ابن الرومى هو هذا : ان عمرا ذليل لا خطر له ولا شأن ، ولذلك لا يغضب له من له شأن ونباهة ، فان من كان بهذا الوصف لا يرضى بظلمى لمنزلتى عند ذوى الخطر ، وانما يرضى بظلمي السفلة وامثالهم من الحشوة والطغام الذين لا يدركون قيمة الشعر وشاعره وليس لهم أعراض ولا مناصب يخافون عليها الهجاء على حد القول المشهور :

اذهب فأنت طليق عرضك إنه عرض عززت به وأنت ذليل!

وكل تاريخ الأدب العربى فى باب الهجاء ناطق أنه لا يخاف الهجاء ولا يتحاماه إلا ذو خطر ، من عرض ونسب وجاه الخ.

هذا على اعتبار ان «لا» فى قوله (لا يغضبن) نافية فاذا كانت للنهى كان المعنى هكذا: لا يغضب ذو خطر وشأن لعمرو لان ذا الخطر يتقينى و يخشانى فلا يرضى بظلمى فلا يغضب لمن ظلمنى .

وعلى كلا الوجهين فأساس البيت هو ان عمرو على الناس وفخر ابن الرومى بصولته وخشية ذوى الأحساب والجاه من لسانه وهجائه.

نحب الآن أن نعرف من هو أجهل الناس وأبلدهم وأشدهم جبنا ؟ فان صاحب هذه الصفات هو الذى يجرأ على المكابرة بعد هذا البيان أو يقول إن العقاد يفهم الشعر و يغضب لعمرو !!!!

***

ونعود الى نظرة سريعة فى شعر جبار الذهن وهذا الجبار أهون علينا من أن نضيع الوقت فى قراءة شعره أو كتابته . انما سبيلنا أن نفتح أية الصفحات من ديوانه أو عددا يكون أمامنا من مجلة « الجديد » التى يكتب فيها الآن، فاننا لتراكم الاعمال لا نقرأ المجلات الا بعد صدورها بزمن ، ولكننا نقرأ ما نحبه منها على كل حال ومنها مجلة « الجديد »

على غلاف ديوان العقاد هذه الكلمة (أربعة أجزاء فى مجلد واحد) والديوان ورق لا يساوى ثمن تجليده ولم يخرجه صاحبه مجلدا فما معنى (مجلد واحد) وكلمة مجلدة أو مجلد لا تستعمل الا فى الكتاب يغشى بالجلد لأنها من جلد ، أى وضع الجلد عليه . واذا صح ان كل مطبوع يسمى مجلداً جاز حينئذ ان يكون معنى العبارة (اربعة مجلدات فى مجلد واحد !!!) . هذا أيضا من جهل الجبار لانه يريد فى سفر واحد أو كتاب واحد أو مجموع واحد.

و بهذه المناسبة رجعنا الى أوائل الأجزاء فاذا اسم الجزء الاول « يقظة الصباح » والثانى « وهج الظهيرة » والثالث « أشباح الأصيل » والرابع « أشجان الليل » وهذه الأسماء لم تكن من قبل حين طبعت الأجزاء قديماً وانما لفقت حديثاً فى السنة الماضية عند طبعها « فى مجلد واحد » .

حسن جداً وجداً حسن، ولكن من أين جاء هذا التخليط ؟ يقول جبار الذهن فى كلمة الختام « فاذا قرأ القارىء فربما وجد فى أشجان الليل ما هو أخلق بوهج الظهيرة !! أو جد فى يقظة الصباح ماهو أخلق بأشباح الأصيل » !!! الجبار إذن يقر بالتخليط ويعترف به لأنه لا يستطيع أن يكابر أن كل نظمه هراء فى هراء . فاذا كان هذا الخلط واقعاً معترفا به فما معنى هذه الأسماء ؟

معناها أن العقاد رجل دعوى وتدجيل وغرور، فيسرق و يدعى الملكية هو يعترف أن الأسماء ليست على مسمياتها ، إذن فهو لم يضعها لأنه لا يخطر لمؤلف أن يضع اسما على غير مسماه ، إذن فهو قد سرقها وهذا هو الصحيح .

وضع الشاعر الفرنسى الكبير ملكريور دفوجيه Melcrior de Vogué عضو الاكاديمية الفرنسية رواية شعرية سماها (جان داجريف) Jean'Agréve وجعلها أربعة أناشيد لأنها تصف حياة حب بديع من بدئه إلى منتهاه ، ومن أمله إلى خيبته . وسمى النشيد الأول (الفجر) والثانى (الظهر) والثالث (الأصيل) والرابع (الليل) لأن فى الأول انبثاق نور الحب والثانى توهجه والثالث تخافته والرابع ظلامه وفناؤه .

أسماء على مسمياتها كما ترى، وهو فى كل نشيد يبدع فى التصوير والقصة والحادثة، ولا

يعدو الحد الذى يفصل بين الاسمين . بل يمر بالقصة وحوادثها ومعانيها كما تمر الشمس إلى أن تغيب وتظلم الدنيا وتموت الحبيبة فى ناحية والمحب فى ناحية أخرى .

ومع اعتراف جبار الذهن أن هذه الأوضاع لا تنطبق على سخافاته التى سماها « أربعة أجزاء فى مجلد واحد » فان طبع اللصوصية المنغرس فيه أبى عليه إلا ان يسرقها ويدعيها ويذهب فى تعليلها تدجيلا وتعمية على القراء . وهذا كله صريح فى أنه لص مخادع مدع لا يحترم نفسه ولا الناس ولا الحق ولا الحقيقة .

عجيبة عجيبة. نفتح الآن صفحة ١١٣ من « يقظة الصباح » !!! فماذا نرى ؟ تهنئة بعيد:

عثمان يا عيد من يحظى بصحبته بلغت ما شئت فى الأيام والناس

أولى الأنام باسعاد وتهنئة من كان كالعيد فى بشر وايناس

إذا بلغ الحرص بشاعر على أن يثبت فى ديوانه مثل هذين البيتين فقل فيه ما شئت ولا تبال واعلم أنك مصيب فى كل ما تقول.

وقوله (يحظى بصحبته) غلط يتابع فيه العامة وبعض كتاب الجرائد المنحطة لأن الحظوة المكانة فتقول حظيت عند فلان وحظيت المرأة عند زوجها والعامة - ومنهم العقاد - يظنونها بمعنى تشرف فيقولون حظينا بلقاء فلان و بصحبته أى تشرفنا ولا معنى لها، وإنما تجوز بعض المتأخرين فقال حظيت بالمال . فان كان جبار الذهن شحاذاً وكان يريد من قوله يحظى بصحبته أى يحظى بماله جاز له هذا الاستعمال.

فاما أن يقر بالخطأ وأما أن يقر بالشحاذة

* * *

ومن سخافة ذوق جبار الذهن، أنه يدعو على الناس فى يوم العيد لأنه يدعو لعثمان ان يبلغه الله ما يشاء فيهم . وماذا يشاء عثمان فى الناس ؟ أيجعلهم عبيدا له أم يأكل أموالهم أم ينكبهم و ينتقم منهم ؟ ان العبارة نفسها فى هذا التركيب لاتقال الا فى الشر فانك تقول لانسان بلغك الله ماشئت فى أعدائك ولا يمكن أبدا أن تقول بلغك الله ماشئت فى اصدقائك وأصحابك اذ لا يشاء (فيهم) ولكن يشاء (لهم) .

ومعنى البيتين مبتذل متداول على ألسنة الناس حتى العامة وقد مسخ المتشاعر كلام المتنبى فى تهنئة سيف الدولة بعيد الأضحى فى قوله:

هنيئاً لك العيد الذى أنت عيده وعيد لمن سمى وضحى وعيدا
فذا اليوم فى الأيام مثلك فى الورى كما كنت فيهم أوحدا كان أوحدا

المتنبى جعل أميره عيدا للعيد ولأهل العيد، والمتشاعر جعل عثمان!! عيد من يحظى بصحبته .والمتنبي جعل يوم العيد فى تفرده مثل الأمير فى كونه أوحد الناس،والمتشاعر جعل عثمان (كالعيد) فى بشر وإيناس وزمارات ولعب وكحك وغريبة!!! من الاهانة للمتنبي أن نقول ان العقاد سرقه وان كان سرقه، ولكنا فى كل ماذكر من سرقات هذا المتشاعر « الجبار » لانريد الا أن يقابل القراء بين الشعر الحقيقى فى قوته ومتانته واحكام صنعته وبين الشعر الزائف المنحط فى سخافته وركاكته مع انه مسروق من ذاك!! فلو سرقه شاعر حقيقى يستحق اسم الشاعر لجاء به على الأقل فى طبقة الأول ان لم يكن أبدع واسمى منه .

فاذا كان «جبارنا» المضحك يسرق ومع ذلك لايجيئنا الا بالسخيف الذى لايذكر بجانب الأصل فانه . . فانه إيه ؟...

فانه سيف نجار!!! تقله من زنده عضلات من شرامط

***

(حاشية) فى عدد شهر يوليو الماضى من العصور مقال عن «أنشتين المفهوم» يبين صاحبه غلطات كاتب لم يذكر اسمه فهذا الكاتب هو هو جبارنا حامل السيف الخشبى .

الشفق الباكى

للدكتور أبى شادى

شعر، ونقد، وأدب عام

يقع هذا الديوان العصرى الحافل فى ١٣٣٦ صفحة جامعة لمئات القصائد والمقطوعات المتنوعة . وهو مطبوع بالشكل أفخر طبع ومزدان بطائفة من الصور والدراسات القيمة ، ومجلد بالقماش تجليداً نفيساً . ويطلب من المطبعة السلفية بالقاهرة، ومن جميع المكاتب الشهيرة فى مصر والعالم العربى، ومن مكتبة لوزاك فى لندن . « ثمن النسخة عشرون قرشاً مصرياً فى جميع البلاد العربية »

شيطان بنتؤور

تفضل أمير الشعراء بان ينشر كتابه (شيطان بنتؤور) على صفحات العصور اختصاصاً لها بهذا الفضل قبل أن يخرج للناس فى صورة كتاب . ونحن لبدأ بنشر هـذه القطعة الخالدة من الأدب العصرى ، راجين ان يتم طبع الكتاب فى أقرب حين ، ليكون فى متناول الادباء فى انحاء العالم العربى ، فينسبح للاديب منهلا ، والمتعلم موردا ، والمهذب مثالا ، والوطنية نموذجاً اعلى .

المحادثة الاولى

حكى الهدهد منبىء الانباء ، وشيطان بعض الشعراء ، قال أكثرت مخالطة الناس حتى ندمت، وأطلت النظر فى الكتب حتى سئمت . واشتقت الى عبرة مرموقة موموقة ، وحكمة من نفسها مسوقة ، آخذها ولو من سوقة، لا مطروقه ولا مسروقة. فخرجت الى الاهرام فى وقت من أوقاتنا الموصوفة ، ويوم من أيامنا المختارة ، ذهب نهاره الا إواخره ، وتناوب على الجو صاحيه وما طره .

تعرض الغيم فيـــه * للشمس فى كل مسلك
تروغ منـــه فتبدو * وتختفى حين تدرك
والأفق منه ومنهـا * كالطفل يبكى و يضحك

فبلغت فضاءها واذا ذهب الأصيل عليه يزهو آونة ، و يصدأ بالغيم آونة ، والشمس صفراء فى الأفق منكسرة الاشعة ، قد كادت ولما تفعل ، كأنها عين الاشقر الأحول . فوثبت الى الهرم الاكبر ، وحططت فوق حجر ، ثم تقصيت النظر ، فكانت فاتحة العبر ؛ وباكورة العظات الكبر ، أن رأيت السياح حوالي الأثر ، يرتعون فى الاصيل ويلعبون ، وينزلون عن الابل ويركبون ، وقد ضفت عليهم ثياب الكبرياء ، وجروا ذيول الزهو والخيلاء . فغضبت من رؤيتهم على هذه الصورة ، وعبثهم فى القبور بعد عبثهم بالجثث المقبورة : فقلت

أيتها الحجارة الخالدة : اسخرى من هؤلاء كما سخرت من قمبز وخيله ، واستهزئى بهم كما استهزأت ببابليون وجنوده .

ثم خرجت من الغضب فأبصرت، وتألفت ما كنت أنكرت. وما زال الغضب يعمى صاحبه ، ويضل راكبه ، ويريه صدور الامر ولا يريه عواقبه. ابصرت فرأيت

الغادى والرائح ، والترجمان بجانب السائح ، ولم أر من باك ولا نائح ، ولا مهيب بالجندل والصفائح ، يجيبه صدى من جانب القبر صائح . فرجعت فى أمر القوم الى الرضى وقلت : أنما يزورون قبور الفراعنة فى مصر ، كما تزار قصور الملوك فى هذا العصر . وذكرت ساعة قضيتها فى قصر (وندسور) منذ سنين ؛ والملكة يومئذ فى الحياة لا تخرج الشمس عن طرفى ملكها ، كأنهما حاشيتا النهار . فدخلت المقاصير وتنقلت فى الحجر ، ورأيت فراش الملكة وقد هجرته ، كما ينظر هؤلاء إلى مراقد الفراعنة ، وقد نقل ما فيها إلى دور التحف وحيل بين ذلك اللؤلؤ وهذا الصدف . فرحم الله المصريين القدماء ، لولاهم ما ذكر مصر الذاكرون ، ولا ظلت كعبة يزورها الزائرون .

مضوا والدور باقية وأودوا ... وليس شخوصهم بالموديات
فما ذهبوا ولكن فى اغتراب ... وما ماتوا ولكن فى سبات

(قال) ثم وقفت أتأمل قبور الملوك العظام ، واذكر عبث الأنام لا الأيام ، واعجب للاهرام ، وهى من عمل الاسرة الرابعة و بنيان المصرى فى أول عهده بالحياة ، وبداية دخوله فى الحضارة ، كيف رسخت فى الارض رسوخه فى العلم ، ووقفت للدهر وقوفه فى الفن ، وكلما تأملتها جزتنى العبرة عن النظرة ، والعظة عن اللحظة ، فرأيت النعيم كيف يزول ، والمحال كيف يحول ، والدولة كيف تدول ، والملك الكبير اليوم يؤول ، و بعث الموقف منى فقلت:

لما رأيت قبورهم ... كملت فما فيها لناقد
وكأنها نهد الثرى ... وكأنه مذكان ناهد
بليت رواسيه ولم ... تبل العظام ولا المراقد
وهوت حواليها الهيا ... كل والكنائس والمساجد
وخلت ممالك وانطوت ... دول زواهر كالفراقد
أيقنت أن المرء بعدا ... موت بالآثار خالد

وأدمت النظر الى الاهرام لا لعظم فى الجرم وفخامة فى البنيان ، ورسوخ فى الأرض وطول زمان ، فان استعظام رؤية الأجرام من خلائق الصبيان ، لكن كمرآة أرى فيها قدماء المصريين كما هم فى الأعصر الأول ولما لم يكتملوا دولا أربع ، فلا أرى الا صوراً واضحة وأشباحا قويمة ، ثم أنظر فيها المصريين الأحياء ، وكأنما أتأملهم فى

مرآة محدبة مقعرة ، صور ممسوخة ، وأشباح معوجة ، وأعضاء كمختلط الاشلاء ، من ضياع التناسب ،وما اختلف الزجاج لكن هى الأخلاق ، تحسن وتقبح ، وتعلى وتسفل وتقوم وتعوج ، وتريك من قوم مالاتريك من آخرين . ما أبعد مابين الأصل والفرع ، وشتان مابين الوالد والمولود . ذلك قبيل شادوساد ، وأجار من البلى الاجساد ، ونشر سلطانه على البلاد والعباد ، وأخذ لآثاره من بعده ميثاقا من الآباد .حياته للموت وموته للحياة ،يعمل للذكر ويهيىء للاحاديث ، ويترك للابناء ويعلم أن السير حياة ثانية ، فى هذه الدار الفانية . وان ليس الموت إلا سفراً من الاسفار ، ونقلة من دار إلى دار

ولا يستوى ناء يعطل ذكره وآخر مذكور بكل لسان

ونحن معشر الابناء فيما نزعم ، وذرارى المصريين القدماء فيما نتوهم ، أمة نيام لاتعرف الملك إلا فى الاحلام ، كأنا ولاة العهود ، شابوا وآباؤهم قيام ، يومنا يوم العاجزين ، وغدنا غد اليائسين ، وأمسنا لا للدنيا ولا للدين . معنى الحياة عندنا شيء باطل ، وطرفاها نعيم زائل ، وماهيتها أيام قلائل . لا ندخر صالحات ولا باقيات ، ولا نرجو علوا فى حياة ولا ممات ، يترك أحدنا لولده من وجده ، ولا يترك لهم من مجده .

قال الهدهد : ومالبثت الشمس ان غربت عن بلاد وطلعت على بلاد ،فآفاق فى مهرجان وأخر فى حداد . فحدثت نفسى بالانثناء ، فرارا من وحشة الظلماء . لكني ماهممت حتي شعرت بانتفاض طائر من الجوارح ، وسمعت هاتفا يقول : يامنادى الحجر ، ومناجى الأثر ،أخطأتك مصدوقة الخبر ، وغابت عنك أمهات العبر . هلا قلت فى شكوى الحال ،ونجوى هذه الاطلال :

يا أيها الهرم المنحوت من زحل ٭ صب النحوس علينا أنت والزمن

هوى حواليك ملك لا قيام له ٭ وغيبت فى ثراك الأربع المدن

وأمسك الهاتف عن الكلام ، فالتفت مذعورا لعلى أرى على المكان شبح انسان او خيال شيطان ، فلم أر غير نسر ، مستجمع فى وكر نسج عليه الدهر ، وهو يرنو بصفراوين كالتبر ، فى كلتيهما انسان كنقطة من حبر . فدنوت منه وتأملت فيه ، واذا هو قد وهن منه العظم وتناثر الريش من الكبر ، وشد منسره إلى ساقيه بلسباب من

الهرم ، وأكل على جوجئه الزمن وشرب القدم. فقلت لعله نوح النسور ، او بعض ما حمل نوح معه من الطيور . وابتدرت خطابه فقلت :—

« سلاما أيها الشيطان ، ان كنت لبد لقمان ، فانى هدهد سليمان » قال النسر واستضحك « افتريت على النبيين والطير ، وانتحلت لى ولك ما للغير . أنا آدم الشعراء ، ولا اطراء ، وأول من نطق بالقافية الغراء ، فوق هذه الغبراء »

قال الهدهد : وكنت لم افقه ما رمز اليه ، ولم أعلم مراده من بيتيه، فبشرت نفسى وقلت شيطان قديم ، فلأعلمن منه مالم أعلم وفوق كل ذى علم عليم . ثم قلت اخاطبه : « الايام ايها النسر مدارس الاحلام ، ولا يستوى فى العلم كهل ولا غلام ، فلا أستحى ان أسألك من أنت ، فقد استبهم على ما بينت »

قال : أنا من سميت فى قريضك ، وكرمت فى شعرك ، وبعثت فى قوافيك ، فضل لك لا أنساه ، وما كنت ترانى لولاه . قلت

ان صدقت مزاعمى فانت الروح الاكبر ، والشيطان الأشهر ، والنسر المعمر ، بنتؤر شاعر الملك رعمسيس ، وحامل لواء البيان فى طيبة ومنفيس . قال إنه أنا وانى بك لقرير . كنت اراك تسمع لواعظ الدهر فوق هذه المنابر ، وتجمع الخبر والخبر عن ذلك الملك الغابر ، والسلطان الغائب الحاضر . وجدير بأقدم المقابر ، ان تعظ الزائر والعابر . فهمست فى اذنك بالبيتين ، أريد ان اريك مالم تر عين :انظر كيف ترى «منف » ؟ قلت أطلال بالية ، ورسوم عافيه ، عندها قرية كبعض القرى ، لا تكاد تحسب من الثرى . قال فكيف « عين شمس » ؟ قلت مزارع ورمال ، لاجلال عليها ولا جمال . قال فانظر «الفسطاط» كيف تراها ؟ قلت بيوتات واديره ، وتلال مستنكره. قال فما هذه البلدة الزاهرة ، والروضة الناضرة ، والدرية السافرة : ؟ قلت مدينة القاهرة. قال لمن هى : ؟ قلت لغير أهلها . قال هى اذن فى حكم المدن الغابرة .عواصم أربع كن مقار دول ، وكراسى ممالك ،وقواعد حكومات تغير أحداهن الشمس بابهة الملك ، وعظمة السلطان : حضرت الاهرام يومها وأمسها ، وشهدت مصرعها وكانت رمسها ، فاسأل ربك لقومك ان يكفيهم نحسها . قال الهدهد : فأطرقت أتامل فى معانى هذه الكلم الجوامع ، واتدبر مغازى الحكم الروائع ، وانا أستعرض كرة الارض فى خاطرى ، واقلب صفحات التاريخ فى فكرى ، فلا أجد لفضاء الاهرام مثلا فيما وصفه النسر عليه ، الى ان اخرجنى من اطراقى بأن قال :

« أرى الهدهد بين عبرة جلت ، حين تجلت ، وفكرة فى المدائن الاربع كيف تولت . فهل لك فى كلمات تمثلك وقومك فى الظلمات ، وتريك الامم فى حال ذهابها كيف ينقصها الآلهة من اخلاقها وآدابها اقلت « لوكان فيهما آلهة الا الله لفسدتا » انى اراك فى ضلالك القديم . قال قطعت حديثى لأمر لا يعنيك ، لك ما تعبد ولى ما اعبد ، ولا يزر الدسروزر الهدهد. فان كان لك فى الصحبة فعلى ثلاث . ان لا يجرى الأمور على هواك ، وان لا تنظر فيها بمقتضى طباعك ، وان لا تأخذها ولا تسأل عن اسبابها . فهذه الثلاثة تخرج من العلم الى الجهل ، فكيف تخرج من الجهل الى العلم ؟ قلت ذلك لك ياشاعر الآلهة ، فأنجز الآن ماوعدت . قال هلك الفراعنة وخلت الاسرة منهم وذهبت دولهم ، ونبشت قبورهم ، وعرضت جثث عزت عليهم ، على الناس . مأتمهم بينكم معاشر المصريين قائم لاينفض ، ومامقعدكم منه إلا كالمعددة تبكى ولادمع ، وتندب ولاحزن ، وتهتف بما لا تعرف من أخلاق الميت وصفاته ، وسنة سارها فى حياته. يفخر أحدكم بالعظم الرميم ، ويتحلى فى حديثه بالمجد القديم ، ويسر — وهو عطل من الغنى عديم — بمابلغ غيره من اليسارة والنعيم . فاذا ذكر المصريون القدماء ، رفعتم الأنوف للسماء ، وزعمتم أنكم سلالة الفراعنة العظماء . لكم التاجان وعرشكم على الماء . واذاجرت أحاديث العرب قلتم بيننا أقرب النسب ، ولنا ماتركوا من حسب ، وما هو إلا سبب قطعتموه ، ودين ضيعتموه . ولسان عربى بالعجمة بعتموه . واذا سمى جد الأتقياء ، وواسطة عقد الانبياء ، كنتم كلكم لآلىء الشرف ، وما خرج قط خزف ، من ذلك الصدف . واذا نصر الترك فى حرب ، وتركوا دويا فى الشرق والغرب ، كنتم السيوف والا كف والضرب ، وما ذقتم لها من حرب ولا كرب . واذا مات ملك ليس منكم ولستم منه ولا يسأل عنكم ولا تسألون عنه ، وخلف لقومه سيرة تسير كالأمثال ، وخلى مفاخر لن تبيد ولن تنال ، كنتم المؤبنين الشعراء ، لغيركم الميراث وعليكم الرثاء .

قال الهدهد : وبينما أنا فى الاصغاء ، آخذ الحكمة الغراء ، عن آدم الشعراء ، اذ قطع الحديث ، وتركنى مفكرا فى كل ماهاج بى ذكره من قديم حديث . ثم صرفنى على أن التقيه فى منف أصيل الغد ، وان غدا لناظره قريب .

المحادثة الثانية

قال الهدهد . فأقلعت للطيران ، أؤم عشى فى حلوان ، وأنا كمن مر به غرام ، على منازل الآرام ، يتلفت قلبى إلى تلك الأجرام ، ويعز على نفسى أن تفارق الأهرام. ثم جلشت فى صدرى هواجس ، وامتلأ خطرات من الوساوس . فتمنيت على فئة غير هذه الفئة ، وأملت من حكام مصر بعد مئة ، أن يتخذوا من الاهرام مقابر ، للنفر الانفعين الأكابر ، فيدفن فيها الجليل والعزيز ، كالبنتيون فى روما وباريز . أمنية إن شئت عدها سخافة . وان شئت قل حديث خرافة .

من لى بان تجعل الأهرام مقبرة ◦ كالبنتيون لأهل الفضل والفطن
مفتوحة لوفود الأرض قاطبة ◦ يزورها الناس من شام ومن يمن
مغيبين من الأجلال فى جدث ◦ مدرجين من الأعظام فى كفن
مسطورة بمذاب التبر فوقهم ◦ آثارهم والذى أسدوا من المنن

تخيلت ثم خلت الأمر قد تم ، وأعلنت الحكومة مشيئتها فيه وصدر الأمر العالى به ، ولم يبق إلا العمل بموجبه . فأنشئت الأضرحة الفخيمة ، فى تلك الحجر القديمة ، وأقيم الحراس على أبواب الأهرام ، وكتب على مداخلها بماء الذهب لعظماء الرجال شكر الأوطان ، وقيل هذا القبر فاين الميت ؟

قال الهدهد : خطرات شاعر وأمنية شيطان ، فمن حضر بعده تحقيقها فليذكره ، ومن علم بها ولم يرها أبرزت من القول إلى العمل فليعذره . ثم بلغت عشى فنمت ناعم البال مغتبطاً بما وعدت من لقيا النسر ، كأنما وعدت ملكا كبيراً . فلما أصبح الصبح قطعت نهارى متململا حتى الأصيل ، وأنا لا أدرى ماذا عنى النسر بمنف ؟ أهذه القرية أم تلك المدينة ؟ وهل موعدنا منفيس أم ميت رهينة ؟ حتى إذا ذهب معظم النهار ، طرت إلى النيل أريد أن أعبره فوق سارية من معدية ، فلما شارفته ، رأيت ما ملئت منه تعجباً وتحيراً . رأيت شاطئين يتغايران وضفتين تختلفان . هذه تلوح موحشة كأنها قبر ، بمكان قفر . أرض على الطبيعة ، وفلاح على الفطرة ، وجيئة لغير مطلب ، وذهاب فى غير مغنم ، وزرع للفلاح انباته ،

وللتاجر ثمراته . وهذه تموج بمعالم العمران ، وتتجلى فى زخارف الحضارة ، وتتدفق حياة ، وتتوثب وجدانا . فوقفت أتأمل هذا المرأى البهج ، والمنظر العجب ، والمشهد البديع ، وأنا أتهم الخيال ولا أتهم الحس ، ولا أبرىء نفسى من سحر أو مس . وقد أنساني الذهول ذكر ما وعدنى النسر أمس . أنظر إلى النيل فأرى المجاديف تنتهب مياهه من تكاثر السفن لديه وتلاقى الزوارق عليه ، مشحونة بالبضاعة ، مملوءة من الجماعة ، فكأنما أنظر إلى السين أو الرون أو الدانوب . فذكرت عندئذ ماقاله نابليون لجماعة من جنده فى مصر ، قد مر بهم فرآهم ينظرون إلى النهر ، وسمعهم يتساءلون . « أهذا هو النيل الذى تشيد الكتب المقدسة بذكره ، وتبالغ الأجيال فى قدره ؟ إن السماع به خير من رؤيته » فاقترب منهم وقال : « انه لا يعوز النيل إلا خمسون عاماً ، ثم يبدو لكم كما تصفه الكتب المقدسة أو أجل » : فقلت فى نفسى : لئن زعم نابليون أن مصر لا ينقصها إلا التمدين ، ولا بد من أن تناله على يد الفرنساويين أو غيرهم من الأمم المتمدنة ، فقد مر مائة عام لا خمسون . فما بالى أرى هذه الضفة بحالتها التى رآها جنود نابليون عليها ، وأرى لدى هذه نعيما وملكا كبيراً ؟

* * *

وبينما أنا فى التخيل تارة ، والتأمل تارة ، والتوهم مرة ، والتيقن كرة . بصرت بزورق يقترب منى ، ويجريه عصبة من المجدفين فى الزى المصرى القديم ، كما تمثلهم لنا الآثار ، وقد نهض فيه رجل كأنه المثال المنصب رونقاً واعتدالا ، وسكينة ومهابة ، وهو مكشوف الرأس لابس ثياب المصريين القدماء كذلك ، فأشفقت من رؤية الزورق ورجاله لأول وهلة ، وتحفزت للمطار فصاح الرجل بى يقول :

إلى يا هدهد . إنى أنا النسر ، فلا تخف ولا تجزع . قلت وما بدلك يا مولاى ، وما هذه الحال ؟ وهبنى جئت لك فأين تريد أن تجعلنى ؟ قال تقدم ثم تكلم ، فطرت من فورى اليه فتلقانى بكلتا يديه ، ثم رفعنى فوق كتفه ، وقال هذا مكانك ، فاستقم فيه ولا تكثر من التلفت والانتفاض فتؤذينى . قلت سمعاً وطاعة يا مولاى . عندئذ أشار إلى الملاحين ، ان ينثنوا بنا راجعين ، فسالت أيديهم بالزورق فى نهر سرى به الجلال وخط عليه الجمال ، تتلاقى السفن فيه كالجبال ، تنوء بالبضائع والغلال ، وتفيض من الرجال والأموال . فسألت النسر لمن هذه الأرباح يا مولاى ؟ لقد أذكرتنى كنوز سليمان

عليه السلام ، وجواريه المنشآت فى البحر كالأعلام ؟ قال هذه رعية مولانا الملك رمسيس ، تروح وتغدو بين طيبة ومنفيس . ناهضين بالمتاجر الجسيمة قائمين بالأعمال العظيمة تجري السفن بهم ليل نهار ، بين شاطئين كلاهما محط لرحال التجار . قلت وإلى أين تمضى بى الآن يا مولاى ؟ قال ألم أقل لك موعدنا منف وها نحن قادمون وهذه معالمها تبدو وتظهر ، وتلك مجاليها تضيء وتزهر ؟ فأخذنى الدهش وصحت : الله أكبر ! فأنكر النسر على صيحتى وقال ألم أزدك بالأمس ؟ فهلا دار يتنافى فى دارنا وأرضيتنا فى أرضنا ؟ قلت وما عساى كنت أقول يا مولاى ؟ قال كان أولى بك أن تسكت . أو تقول الشمس كبيرة وحفيدها رمسيس كبير . قلت لا أعود لمثلها يا مولاى فهل لى أن أرى حفيد الشمس ذاك ؟ قال ستراه وتسمعه . فلا تعجل ولا تؤذنى بأسئلتك .

* * *

ثم استقر بنا الزورق ونالت أقدامنا منفيس ، فاذا بها تحلت من الزخارف بكل نفيس ، وتجلت تختال فى حلل البهاء وتميس . حيث التفت رأيت حولى عزازة وعماره ، وثروة ويساره ، وصناعة وتجاره ، وجاهاً وامارة ، وجنود البر والبحاره ، من كل زى وشاره . فلم أتمالك أن اغرورقت عيناى بالدمع فالتفت النسر إلى وقال ، أدمعة سرور وفرح ، أم عبرة أسى وترح ؟ قلت بل كلتاهما يا مولاى . فلئن سرنى أن أرى هذا المجد لمصر أولا ، لقد ساءنى أنى لا أراه لها أخيراً . قال لو أن فوق كل شبر من أرض مصر ، هدهداً ، يملؤه دمعاً لما اغنى ذلك عنها شيئاً فعليك بالتأمل والاستقراء . قبل البكاء والاشتكاء والتبصر والاعتبار ، قبل النحيب والاستعبار . فكفكفت دمعى وقلت لا يكون إلا ما أمرت يامولاى .

* * *

قال الهدهد : ثم مررنا بهيكل يأخذ العين ، ويتملك النفس ، ويأسر الخاطر ، ويستوقف اللب قبل الناظر . فتوجه النسر وجهته ثم دخل بين حراس ينحنون له تعظيما واجلالا ، وكهان يوفونه تحية واستقبالا . وهنالك جعل يطوف بى حول القواعد والأركان ، ويرفع بصره إلى دعائم البنيان ، وينتقل بى من مكان ، ويذهب بى صعداً وصبباً فى حجر غالية غالية ، ومقاصير حالية ، من عيب خالية . منها الداجى

المظلم الحالك، وبعضها منور للشمس اليه مسالك ، وهو يقول : هذا يا بنى الهيكل الأشهر ، بيت (فتاح) الآله الأكبر ، حامى حمى هذه المدينة، وملبسها الأمن والنعمة والزينة . تنقل معي من حجر إلى حجر ، وصل معى من أثر إلى أثر ، وأنعم النظر فى هذه النقوش والصور ، ترها فى ضمائر الجفن أدق من الخواطر والفكر ، وما صنعت فى نور الشمس ولا فى ضياء القمر، لكن فى ضوء سراج ضئيل غير وهاج. ثم تأمل فى الحجر بجانب الحجر كأنهما واحد، انقسم على نفسه شطرين .

انظر إلى هذه الجبال كيف قطعت، وإلى الآساس كيف وضعت، وإلى العمد كيف رفعت، وإلى الزخارف كيف جمعت . هل ترى فى جميع ذلك إلا معرفة فى العلم، ودراية فى الفن ومهارة فى الصناعة ؟ وغير أحكام فى الصنع ، واتقان فى العمل ، ورغبة فى الثناء ، وهمة عالية فى الأمر وذكاء فائق فى الأمور ، وطاعة واجبة للملك على الرعايا ، وعدالة مفروضة للرعايا على الملك ؟ وهذه يا بنى أسس الآداب ورءوس الاخلاق ، وقوى الحياة فى الأمم ، وسر نجاح الشعوب .

قال الهدهد . وكنت أراعى النسر وفكرتى فى الملك ، أتمنى أن أراه مرة واحدة ، فناجيته بذلك فغضب من هذه المفاجأة وقال : الملوك أيها الهدهد فى كل مكان من ممالكهم ، اذا تغيبوا حضرت مآثرهم ، واذا احتجبوا اسفرت مفاخرهم . فحيث نقلت القدم فى هذه العاصمة حدثك عز الملك عن الملك ، ووصفته لك هذه الدولة الكبرى كأنك تراه . على أنى سأنيلك سؤلك واجعلك من رمسيس بحيث تسمع وترى ، فلا تعجل على ولا تكن كمن يزورون الاستانة ولا أرب لهم الا « حفلة السلاملك » واذا قضوا أربهم من حضورها رجعوا الى أوطانهم متبجحين بما لم يعلموا من أبهة ذلك الملك وعظمة ذلك السلطان .

قلت أفيرضيك أن أكف عن السؤال يا مولاى ؟ قال اسأل ما شئت الا الصغائر فانها تقتل النفوس ، وتطفىء نور العقول ، وما اشتغل بها شعب الا هلك حيا .

إن لرمسيس وجها كبعض الوجوه ، وجسما كسائر الاجسام ، لكن اذا وقفت على شىء من بسطة ملكه ؛ وامتلأت نفسك مهابة من سعة دولته ؛ ورأيت آثار نعمته على رعيته ، ثم لقيته بالذات لقيت آلها فى زى أنسان ، تنحسر فى جلالته العينان .

ويخفق لأدنى لحظة منه الجنان، قلت مررنا فى مجيئنا الى الهيكل بعمائر شتى وأبنية تشيد ، وهيا كل تعمر ، فكنت أرى العمال صنفين ، والصناع فريقين مختلفين ، فما شرف من الأعمال وكان للعقل والرأى معظم الأثر فيه ، تولاه المصريون بأنفسهم وماخس منها وكان شاقا، يشترك فيه الساعدوالجسم كعمل الطوب وجر الأثقال ، قام به طوائف من الناس ، زرية أزياؤهم ، مختلفة صورهم ، مسودة وجوههم ، فمن هؤلاء يا مولاى ؟

قال غرباء أسروا فى الحروب وجيء بهم الى مصر فأرواحهم مباحة للملك ينهب منها ما يشاء ، ويسخر من استبقى فيما يشاء ، ويجود ببعضها على قواد جيوشه الذين جنوا معه ثمر الوقائع ، وشهدوا بجانبه المعارك والمعامع . قلت عجبا لكم معشر الآباء تبلغون هذه المبالغ من المدنية ، وتأخذون بهذا النصيب من الحضارة ، ثم تقسو قلوبكم فهى كالحجارة ، أو أشد قسوة ؟ فلو اطلع الافرنج خلفاؤكم فى الارض اليوم على سيرتكم هذه فى معاملة الغريب والأسير ، لأنكروها عليكم إنكارا ، ثم لولوا منكم فرارا . قال يبقى الحيف ، ما بقي السيف ؟ وليس ما نسبت الى أصحابك من الرحمة المتناهية ، وعزوت اليهم من الفلسفة العالية ، الا صلة من حلمك ، وقلة فى علمك .

ينكرون على ملوكنا أن يلعنوا من ليس من دينهم من الأمم وما أشبههم فى ذلك بادوارد السابع يوم ذم المذهب الكاثوليكى بمسمع من الأشراف، أتباع هذا المذهب . يرمونا بفرط الكراهية للغريب واقتناء الحقد له ، ولنا فى ذلك اعذار مقبولة . فما بششنا فى وجهه قط ، ولا استنمنا اليه مرة ، الا طمع فى ملكنا ، وافسد علينا أمرنا . على أننا علمنا الأمم من بعدنا شرع الوطنية ، وعرفناهم كيف يطول عمر الدولة عند قوم ، وتمتد برهة الحكم بينهم ، إذا هم اعتمدوا فى جميع أمرهم على أنفسهم وضربوا على يد الاجنبي أن تعيث فى شؤونهم . ولئن بالغنا للغرباء فى سوء المعاملة ، فلنا من موقع بلادنا الطبيعى عذر واضح . فما فى مصر الا سهل سهل غزوه والاغارة عليه ، وواد مكشوف للأبصار الطامحة اليه ، فلو لم يسهر عليه منا الساهرون ، لما لبث فى قبضتنا طول تلك القرون

وما أسير الحرب عندنا بأشقى من أسير الاستعمار عندهم . يزرع لهم ويحصدون ، ويبنى لهم ويسكنون ، ويسهر عليهم وينامون ، ويفتح لهم البلاد ويتملكون ، والى

بعض هذا ينتهى الشقاء والصغار والهون . قلت يكاد علمك يسع الأشياء كلها يامولاى فلو علمت ما مراد الملك رمسيس من مواصلة الغزو ومتابعة الغارة والخروج من حرب والدخول فى حرب ، ومنزلته بين الملوك الغابرين منهم والحاضرين ما لا ترى أبصارهم خلفها مطرحا ، فهلا أقر السيف وحقن الدماء ، فقد ملك الارض فهل يريد أن يملك السماء ؟ قال السيف يابنى يعلى السيف ، والدول اذا كبرت وعز مقامها وتغلبت وعرفت الجاه والنفوذ جد بها الحرص على البقاء ، وطمعت فى المزيد من الارتقاء ، مخافة ان تقف فيدركها اللاحقون ، او تتمهل فيفوتها السابقون . وقد جرت العادة بين الناس أن الضعيف لا يزال يرمى القوى بالبغى حتى يصير ذا قوة مثله ، فيطغى مثل طغيانه ، والفقير لا يزال يتهم الغنى بالجشع حتى يثرى فيصبح هو الأجشع . وليس ما ترى من رحمة الناس بالبوير (١) وما تسمع من ذمهم الانكليز المعملين السيف فى جنوب افريقيا منذ عامين ، إلا حسداً لا ينفع البوير ولا يضر الانكليز.

ولو أن أحدى الدول مكانهم ما كان شأنها الا شأنهم . على أن الفتح إذا نفع القاهر مرة ، نفع المقهور ألف مرة . فرمسيس انما يخرج الأمم من الظلمات الى النور ، فيفك عقولهم من عقالها ، ويشفى نفوسهم من ضلالها . ولولا فضل المصريين على أهل الأعصر الأول ما قامت للأحباش دولة ، ولا اجتمع للعبرانيين أمر ، ولا انعقد للأشوريين لواء .

سرى نورهم فى الأمم المجاورة ، وامتدت حياتهم الى الشعوب المعاصرة . وهكذا سنة الدهر فى الناس ، أواخر يرثون الأول ، ودول تبنى على انقاض دول .

قال الهدهد . فعذبت مقالة النسر فى نفسى ، كأنها لفظ الشفاء على لسان طبيب ، وقلت لقد أخرجتنى من يأسى يامولاى . وعلمتنى من مستقبل مصر ما لم أكن أعلم . فتنهد بنتوور وقال تجمع كل أمة جوامع شتى من لغة ودين وجنس وأمل ويأس ، وسراء وضراء ، وأنتم لا تعرفون غير جامعة الموت تجمع الأعداء . ثم قطع الحديث ، وقال هذا شىء نتحادث فيه بعد ، فلنبق فيما نحن فيه من اجتلاء المناظر والمشاهد ، ومناجاة المعالم والمعاهد . وقلت ذلك أنفع لى

---

(١) اشارة الى حرب جنوب افريقية بين البوير والانجليز التى اشتهر فيها القائد « دوويت » البويرى المعروف

يامولاى ، فما هذا التمثال القائم بين مقاصير الآلهة من الهيكل وبين مجلس الملك ومنصب عرشه ، فانى أراه كعون بن عنق فى ضخامته التي يزعمون . فمشى النسر إلى التمثال وجثا لديه ثم نهض وقال . فرغ الملك من حروبه التى تسير كالأمثال ، وأمن تخوم مملكه ،وأخذ بالثقة من المستعمرات الواسعة، وفرق جيوشه فى البسيطة يعزون منها آية الملك ، ويحمون أطرافها ، وأصبح من ثبوت الدنيا له واستقامة الأمر فى يده بحيث قلت فى وصفه ومدحه .

رمسيس ياملك الدنيا وواحدها وبضعة النور وابن الكوكب الأحد
الشمس مثلك بعد اليوم ماولدت والشمس مثلك قبل اليوم لم تلد
فان تكن فى سرير المجد خالدة فأن عرشك مرفوع إلى الأبد

حتي إذا فرغ من تشييد مملكته ، والاحتياط لحفظها ، وجعلها بمأمن من الحساد والأعداء ، فكر فيما يخلد اسمه ، ويؤبد ذكره، ويكفل لتاريخه الدوام. فبنى المدائن وأنشأ فى كل واحدة منها هيكلا خاصاً بآله أهلها الذى يعبدون ، وسور هذا الهيكل القديم بالأعمدة التى تراها محيطة به ، وليس أفخم ولا أضخم ولا أجل فى الأعين منها .

ثم أمر أن تصنع صورته معظمة وتجعل فى الهيكل ، فعمل له هذا التمثال وطوله ثلاثون ذراعا ، وهو من عمل الأسرى وحدهم : وقد عنى الملك بأمر ذلك فرغب أن يكتب أنه « لم يعمل مصرى فى هذا التمثال » قلت وفيم هذا التبرؤ يامولاى، ولو أنه من صنع المصريين لكان بالملك أليق ، ولكانوا به أحق ؟ قال أن رجلا يرفع أكبر دولة فى الأرض ، ويقهر أربعين أمة ، ويضع حدود مملكة أنى شاء ، لايؤخذ بكبيرة . فكيف ينتقد فى صغيرة؟ قلت لأنت فى دفاعك هذا عن الملك ،أشعر منك فى مدحه . قال انما أديت بعض حقه .

وهنا غلب النعاس على النسر ، فجعل موعد الهدهد ميدان الملك فى أصيل الغد

(يتبع)

الفضاء والمادة

يقف المرء فى الليالى الصافيه الاديم يتأمل فى مظهر السماء مأخذوا بعظمة هـذا الفضاء الذى يحيط به . واذا كان ملما بعلم الفلك فان دهشته تزداد من جراء رؤيته نور النجوم الذى تقطع من المسافات مالا يحد ، ومن الوقت الوف السنين النورية كمايصل الينا . وقديحنى رأسه باحترام أمام هذه العظمه ، و يقوده التخيل الى الدخول فى ناحية غيبية صرفة ، يفسر بها هذا السر العجيب فيقول : من أوجد هذه النجوم ومن بسط هذه الابعاد ؟ ومن رتب هذه النواميس ؟ الله !! ! الله القادرعلى كل شيء. وما الله عنده سوى قدرة خفية ، ينسب اليها إيجاد كل مالا يقدر على كشف سر . كالجاهل الذى إذا سمع صوت الرعد قال هذا صوت الله ! ولـكن العالم لايقول هذا ولا يتكل على قدرة خفية يعلل بها أسرار الطبيعـة . فهو يتعب و يشقي فى التفكير والبحث كمايعرف أسرار الـكون من غيرأن يتطلب شيئاً غيرالوصول للحقيقة . ولهذا فان مظهر الفضاء عنده ، بعد أن تحقق مصدر المحسوسات الطبيعية ، لم يعد مظهرا غريبا ، ولم يعد الله موجده . لهذا يبعد عن أن يلج ناحية الغيب كى يعلله ، بل يستخدم العدد الرياضى كواسطـة لاتخطىء فى الحـكم ، والـكشف عن سر اهم مشكلة عالجها الفلاسفة والعلماء منذ قديم الزمان حتى اليوم وذهبوا فى تفسيرها مذاهب شتى .

ـ ماهو الفضاء ؟ ؟

ـ الفضاء لاشيء فى ذاته ، فهو والوقت واحد . واليك السبب :

أن المسافة بين بيروت ومصر ليست واحـدة فى اعتبار الناس . فالذى يسير على قدميه الى مصر ليس كالذى يسير راكبا فرسا ، وهذا ليس كالذى يركب الباخرة ، وهذا ليس كالذى يركب الطيارة ، وهذا ليس كالذى يسير بسرعة النور . فالمسافة هنا تغيرت بتغير السرعة . ولـكن ربما يعترض البعض بأن المسافة بين بيروت ومصر محدودة بكذا كيلوا مترات ، فلا عبرة اذا قطعها الانسان فى ثانية أو فى شهر . غير أن هذا الاعتراض مردود . إذ من الذى حدد المسافة بين بيروت ومصر ؟

هو ـ الانسان :

وما هو الانسان ؟ ؟ .

هذا هو السر فى هذا البحث . فالانسان هو الذى يحدد المسافات ، وهو ساكن فى كون سريع الحركة، فما يحدد من المسافات لا يرجع للكون ، بل اليه. لان ما يراد من الفسحة ، يرجع للنور الذى يحمل اليه مظهر قدر الكبر. والنور قوة مسرعة. فهذا الكيلومتر الذى يحدده ليس له وجود حقيقى لان الفترة التى يحدده بها ، ترجع لسرعة النور ، وسرعة النور تقطع فى الثانية ٢٩٠ ٠٠٠ كيلو مترا (١) فلو أراد مهندس أن يقيس فسحة تبلغ كيلومترا ، لما أمكنه عمل القياس فى أقل من عشر دقائق . وفى أثناء هذه الدقائق العشر ، يكون النور قد قطع مسافة ١٧٤ ٠٠٠ ٠٠٠ كيلو مترا . هذا من حيث أن المهندس ساكن ! ولكنه إذا سار بسرعة النور ، لما وجد مكانا للفسحة ولا زمانا لأن الفسحة والزمان من جملة مظاهر سرعة النور ، وبحث هذه السرعة يقودنا الى ناحية أخرى لا محل لبحثها هنا .

من هنا نقول ان الكون محدود ، ولكنه غير متناه . لان سرعة النور التى توجد الفسحة والزمان ، تسير فى خط منحن ، وهذا الانحناء يؤلف حجما محدودا هو الكون . فمعرفة قدر المسافات (٢) ترجع لوضعية الانسان الذى يقيس ، والالات التى يستخدمها من حيث أنه وأدواته جزء من كل . وما يحدده يكون بالنسبة اليه ، لا الى الكون. لان الكون وان كان محدودا فى نظر المهندس الساكن ، فهو ليس فى ذاته سوى (كم) quantum للنشاط ؛ يظهر فى آخر تحليل ساكنا . وهذا السكون ليس شيئا، انما نحن فى وضعيتنا الحاضرة لا نقدر أن ندرك اللاشىء . لاننا بادراكنا اياه يصبح شيئا ! ولهذا كتبت الى العلامة آينشتين استوضحه هذه المشكلة ، وحسب رأيى يجب أن يضاف على المعادلة التى أرتآها نسبة وضعية الانسان المفكر ، لكى لا يبقى مجال للبحث والشك، لأن تركه الحالة

---

(١) اليك السرعة الحقيقية فى انتشار الضوء . فهو ينتشر فى الهواء ، وهو جسم، بسرعة ٢٩٩٫٨١٨ كيلو مترا فى الثانيه . فاذا انتشر فى خلاء ، أى فى فضاء خلو من الاجسام، ازادت سرعته ٨٢ كيلو مترا فى الثانية ، فيصبح ٢٩٩٫٩١٠ كيلو مترا فى الثانية الو حدة (٢) الفسحة والمسافه شىء واحد فى هذا المقال (العصور)

التى تحسب اصل كل المحسوسات بدون معادلة ، يجعل البعض من الرياضيين فى حيرة. لأنه كيف يمكن ان توجد هذه الحالة من ذاتها ؟ ؟ فانا لا اقر بوجود هذه الحالة موجوداً ذاتياً ، بل اثبتها من حيث وضعية الانسان المحقق ، فهى موجودة لان الفكر موجود ، فلو انتفى الفكر ، لانفت هى ايضا . وهذا من أصعب مشكلات النسبية .

يوجد فى علم الجبر هذه المعادلة $\frac{m}{o} = \infty$ اى ان المتر من القياس لانهاية له فى التقسيم . ولكن لماذا لا ندرك اللانهاية ؟ لان فكرنا الذى نحدد به الاشياء يرجع بدوره الى مادة لها حجم ولانهاية لتقسيمها : إذن فالاصح ان نقول ان فكرنا الذى لا نهاية لتقسيم مادته ، يعادل المتر من القياس الذى لا نهاية لتقسيمه ، او ان مادة فكرنا مع المتر يعادلان اللا شيء !

ولكن لايجب ان نشذ فى البحث عن اظهار حقيقة الفضاء . فقبل اعلان نظرية النسبية كان البعض من العلماء يذهبون مذهب الديواليست Dualiste اى ان الكون يقوم على مبدأين أو نظامين هما ـ « الاجسام » ذوات الحجم والثقل والشكل وبقية مايتعلق بالمادة و ـ « القوة » التى ليست قابلة الوزن ولاثقل لها : ومن مجموع الاثنين يظهر النشاط ويتوزع ويشكل كافة المحسوسات ، سواء أمن جهة الحركة والمظهر ، أم من جهة التفاعل والامتداد والضغط والتكهرب والتمغنط ، تغير الحالات الخ . وكل هذه تتطلب حجما ، والحجم هو الفضاء . وقد اختصر « روبرت مايير » هذا المذهب بقوله ـ ان الطبيعة تنقسم الى قسمين . ومن مجموعهما تظهر كافة المحسوسات . فالقسم الاول يختص بصفة « الثقل » التى لاتدرك ، وهذه الصفة هى المادة ذات الحجم . والقسم الثانى يختص بما ينقض الصفة الاولى وهو ـ « القوة » غير القابلة للوزن ـ وهذه القوة غير قابلة للفناء . فالحجم والنشاط ، شيئان ابديان مختلفان فى الاصل كل الاختلاف . والواحد منهما لايتكاثر إلا بالاندغام فى الآخر . والمادة لايمكن ان تداوم البقاء إلا بكمية متعادلة مع النشاط اندغم فيها فى حالة أولية . فهى من هذه الجهة تشبه اسفنجة تمتص من الماء بقدر كبرها ولكن لايزيد النشاط حجم المادة فى هذه الحالة ، لأن النشاط لاثقل له ، والمادة ليست سوى مجموعة نشاط الطبيعى الذى لايوجد بدونها . فحجم الاجسام الثقيلة والنشاط الذى لاثقل له

يقيان كعالمين مستقلين فى الاصل . فقد قال (بول جانيه) في كتابه — مبادىء الكهربائيه الذى ذهب فيه مذهب (الديواليست) ان العالم الذى نعيش فيه هو فى الحقيقة (Realité) عالم مزدوج . من حيث انه مركب من عالمين مختلفين الاول عالم (المادة) والثانى عالم (النشاط) فالنحاس والحديد والكربون تدل على المادة والاشغال الميكانيكية والحرارة تدل على النشاط . وكل من هذين العالمين له قواعد ونواميس يسير بموجبها ، فلا يمكن خلق مادة جديدة ، أو إفناء الموجود . كما أنه لا يمكن ايجاد نشاطا فوق الموجود ، أو جعل هذا الموجود يتلاشى . فالمادة يمكنها أن تتغير إلى مئات الأشكال مع النشاط ، بدون أن تصبح نشاطا ، ومن غير أن يصير النشاط مادة . ولا يمكن أن ندرك مادة مستقلة عن النشاط ، أو نشاطا مستقلا عن المادة . ومذهب « الديواليست » ينحصر فى هذه الجملة : — إن المادة وحدها تحتوى على الحجم والثقل والشكل أما النشاط فلا حجم له ولا ثقل ولا شكل — ومن هنا يظهر هذا الفرض

١ — إن النشاط لا يمكن أن يدرك خارج المادة :

٢ — إن اندغام النشاط فى الاجسام لا يدع هذه الأجسام ساكنة :

٣ — إن السكون الموضعى فى الاجسام لا يزيد حجمها :

٤ — ان ظهور النشاط فى تموج النور لا يزيد ولا يقلل حجم الاجسام :

٥ — ان حجم الاجسام لا يضمحل ، ومبدأ بقاء الحجم يختلف عن مبدإ عدم اضمحلال النشاط :

ولكن فروض هذا المذهب يناقض بعضها بعضا . إذا كيف يمكن أن تكون القوة غير القابلة للفناء منتقلة الى الاجسام ومسببة لحركتها ؟ وكيف يكون اشعاع النور العديم الحجم من مظاهر النشاط الذى يوجد الدفع فى أصل المادة ؟

قال هرتز « Hertz » فى كتابه — مبادىء الميكانيكيات — أن القوة ليست سوى مظهر من مظاهر الحجم أو الحركة . لأن لاشىء يحد الحجم والحركة . انما هذا الرأى لا يعد من جملة الآراء الرياضية النهائية ، وهو يشبه رأى « مكسول » فى الكهربائية ، ورأى اللورد « كالفين » فى الأثير ورأى « هلمهولتز » فى القواعد

« السيكليكية » (١) لان الحجم والحركة مظهران ديناميان معلولان من مركز القوى التى تنفرج وتتغير بخطوط مستقيمة من مركزها . وقد اثبتت نظرية النسبية هذه الحقيقة ، حيث جمعت بين الحجم والحركة ، وأوجدت معادلة رياضية بحتة ، ظهر منها سر الكون . فالاجرام الطبيعية ذات الاحجام ينقص من أحجامها فى كل ثانية ما يوازى الباقى من قسمة مربع سرعة النور على مربع سرعتها . ومن جراء هذا فان الارض تنقص فى كل ثانية ما يبلغ ٦ سنتيمترات و ٤ ميلليمترات . لان سرعتها ٣٠ كيلو مترا فى الثانية ومربع هذه السرعة ٩٠٠ كيلوا مترا وسرعة النور ٣٠٠ر٠٠٠ كيلومترا (تقريبا) ومربع هذه السرعة ٩٠ مليارا ، فلو قسمنا مربع سرعة النور على مربع سرعة الارض ، لكان الباقى جزء من مائة مليون جزء . و فى هذه الحالة يكون مترنا قد قصر ٥ أجزاء من مليون جزء من الميلليمتر فتأمل (٢) .

من هذه المعادلة ، ظهر سر انحراف عطارد فى دورته . فالعلماء قبل اعلان نظرية النسبية ، كانوا يجهلون كل الجهل سبب زيغان هذا السيار فى دورته عن فلكه المقرر وظهر لهم ان فرق هذا الزيغان يبلغ ٤٣ جزء من الدرجة فى ظرف مائة سنة . ولكن نظرية النسبية جعلتهم يعرفون سر هذا الزيغان . فعطارد سيار ذو حجم يسرع فى فلكه ككل السيارات . فلو أخذوا مربع سرعة النور ، لعرفوا مبلغ قصر حجمه فى كل ثانية ، وهذا القصر فى الحجم يجعل المسافة تقل بينه وبين الشمس . لان الابعاد تكون بنسبة الاحجام وسرعتها كما بين « كيلر » فالكون حسب نظرية النسبية صائر الى الاندغام . وهذا الاندغام يذهب بالوقت والفسحة . لان الوقت والفسحة من مظاهر وضعية السيارات . فلو وازت سرعة السيارات سرعة النور ، لما كان من سيارات ووقت وفسحة . لان الاختلاف فى السرعات هو الذى يوجد الاحجام . والاحجام مظهر الوقت والفسحة . ولما كانت القوانين الدينامية تدل على ان السيارات من الظاهرات التي تسير مع الزمان ، فمن الطبيعى ان يكون الزمان سائرا بهذه السيارات الى أصلها .

ابراهيم حداد

---

(١) يمكن ان تدعى الزوبعة ترجمة (العصور)

(٢) راجع لكى تفهم آينشتين « لموره » صفحة ٣٧ ومبادىء النسبية ونظرية نواميس الاثقال لبكرل صفحة ٢٠ (حداد)

Ascenseur

كلمة افرنسية مشتقة من كلمة (Ascention) ومعناها صعود ، ويرادبها صعود الأماكن المرتفعة كالجبال مثلا

وقد اختلفت الآراء فى وضع مرادف لها باللغة العربية فقيل عنها « رافعة » وهذه اللفظة لاتؤدى معناها فضلا عن أن علماء الطبيعة اصطلحوا عليها فى علمهم على ساق ترتكز على محور وتعمل فى أحد طرفيها قوة وفى الآخر مقاومة، لتلك القوة ومن أمثلتها المعول والميزان والمقص — الخ —

وقيل عنها « مصعد » بالكسر وهذه أيضا تلتبس على المطالع مع لفظة « مصعد » بالفتح المستعملة فى علم الطبيعة للقطب الموجب فى عمود التحليل بالكهربائية

وقيل عنها « مرقاة » بالكسر أو الفتح وهذه تؤدى فقط معنى السلم أو الدرج

وحيث كانت هذه الألفاظ الثلاثة « رافعة ومصعد ومرقاة » بعضها مستعمل فى علوم أخرى وبعضها لايؤدى المعنى، فيحسن أن يطلق عليها كلمة « مصعاد » على مثل منطاد منعا للالتباس

والمصعاد فى العرف غرفة صغيرة يصعد بها وتتحرك بقوة إما مائية أو كهربائية، والثانية أكثر استعمالا

وليست فكرة الصعود بهذا الأسلوب حديثة العهد كما يظن ، بل هى قديمة معروفة عند الشرقيين. فقد كان القدماء يستعملون مثالا لها فى الآبار بوضع بكرة فى الخشب يدلى منها دلو معلق بحبل يجذب، فينسحب عليها رافعا الماء فى الدلو ، وينطوى الحبل على جهاز لايزال إلى الآن معروفا عند الاهالى « بالدولاب » وقد وجدت نفس الطريقة المذكورة ولاتزال فى بعض الدور القديمة بمصر والمدينة المنورة وغيرهما، حيث كانت تستعمل فى رفع الادوات من طبقة إلى أخرى أعلى منها

* * *

على أن ماورد فى بعض الكتب التاريخية الموثوق بها من حكاية « الزنبيل » الذى صعد فيه اسحق بن ابراهيم الموصلى وعبدالله المأمون بن هرون الرشيد فى القرن الثانى

الهجرى ببغداد والذى كان معلقا بأربع مقابض مربوطة بحبال تجذب إلى أعلى، لأكبر شاهد على أن فكرة المصعد قديمة وكانت متداولة فى كثير من المدن الشرقية

***

واذا نظرنا الى العهد التركى، نجد مثال المصعد واضحا تماما فى ذلك الجهاز الذى يستعملونه فى القصور لرفع الطعام من المطابخ السفلية إلى الطبقات العليا. اما استعمال المصعد للغرض المستخدم له عادة الآن، فيرجع الى سنة ١٨٦٧ م اذ فكر المهندس الفرنساوى ايدو (Edoup) فى استعمال ضغط الماء لرفع المصاعيد، وهو أول من كانت له هذه الفكرة

ثم كان فى سنة ١٨٨٠ ان عرض ويمرسيمنس (Weimer Seimens) فى معرض منهيم (Manheim) بالولايات المتحدة مصعدا كهربائيا قوبل بالاستحسان

وجاء بعده المهندس هرتيميز Heurtemiz فرفق القوة المائية مع القوة الكهربائية فى المصاعيد فصارت من ذلك الوقت على ثلاثة أنواع

١ــ التى تتحرك بضغط الماء

٢ــ التى تتحرك بالكهرباء

٣ــ التى تتحرك بضغط الماء وبالكهرباء معاً

وهناك مصعد آخر اكتشفه اميو (Amiot) ولم يعم استعماله بالرغم من بساطة تركيبه وصغر حجمه . وهو عبارة عن مقعد يصعد بتبع اعوجاج السلم ويمكن سنده إلى الدربزين عند عدم استعماله

وإذا وجهنا نظرنا إلى التاريخ، نجد فكرة رفع الأجسام بطريقة المصعد كانت شائعة مستعملة منذ عهد بعيد ، ولا تزال إلى الآن تستعمل فى وقت الحرب وهى فكرة تصعيد المعدات الحربية والخيول إلى الجبال العالية التي يتعذر فيها السبل السهلة

وان دققنا فيها نجد أنها نفس الفكرة التى استعملها الشرقيون لرفع مياه الآبار، وقد يذكرنا التاريخ بها فى زمن القائد « هانيبال » عند ماعبر بجنده ومعداتهم جبال الألب لأول مرة فى التاريخ

وكيف جاء بعده « نابليون بونابرت » عند ما أراد غزو ايطاليا من الشمال ، فعبر نفس الجبال للمرة الثانية وصعد اليها الخيـــل والمدافع وذخائر القتال

***

نعود إلى وصف المصعد الكهربائى الشائع الآن فنقول : إنه عبارة عن غرفة صغيرة ذات باب ومقاعد ، وهى مشدودة إلى حبال من السلك متينة تلتف حول بكر فى الأعلى مقام على مساند قوية من كمرات الحديد تشد بالحبال من جهة واحدة بواسطة محرك كهربائى موضوع فى أسفل المكان فتنسحب من البكر العلوى جاذبة الغرفة معها إلى أعلى ، ثم تلف حول بكرة بجانب المحرك الكهربائى ، وفى الجهة الأخرى من الحبال ثقل من الحديد يوازن الغرفة . وهو الذى يعيدها إلى مكانها بعد صعودها

ولا يستعمل المصعد فى المنـازل فقط ولكنه يستعمل أيضاً فى مناجم الفحم وغيره لرفع المحصول إلى خارج المنجم . وكذلك فى معامل السيارات ، حيث يكون على مساحة كبيرة تسع عدة سيارات لرفعها فى المعمل من طبقة إلى طبقة

وقد اجتمعت الثلاثة الأنواع من المصاعيد فى برج إيفل بباريس حيث تستعمل المصاعيد المائية والكهربائية والمائية الكهربائية كل نوع فى دور من أدوار البرج الثلاثة ؟

القاهرة ٣ يوليه سنة ١٩٢٩ — يوسف أحمد

مفتش الآثار العربية

أطلب من دار العصور للطبع والنشر

ومن جميع المكاتب المعروفة كتاب

العقائد

خطرات

فى السياسة والتاريخ

٥٥٥

خطاب ألقاه اللورد جون مورلى — John Morely — فى صيف سنة ١٩١٢ بصفته العميد الاكبر لجامعة مانشستر بانكلترا .

اللورد جون مورلى سياسى من اقران غلادستون العظيم ومن ابطال السياسيين الذين اشتركوا فى تسوية المسألة الارلندية فى خلال القرن التاسع عشر . وهو فوق ذلك كاتب من أكبر الكتاب وأديب من أحصف الادباء . مال الى درس الادب الفرنسوى على الاخص ، وفاز فوزاً عظيما فى الترجمة عن حياة الانسيكلوبيديين ورجال عصر النهضة التى سبقت الثورة الفرنسوية ، فكتب فى ديدرو كتاباً فى جزأين ، كذلك كتاباً فى روسو فى جزأين ، كما ترجم عن حياة فولتير وتيرجو وكوندورسيه وفوفينارج وغيرهم . وله فى أوغست كونت مقالة فى أربعين صحيفة تعتبر من المراجع الهامة فى فلسفة هذا الرجل العظيم . وقد عنى الاستاذ محمد رفعت أستاذ الاداب بمدرسة فؤاد الاول الثانوية بترجمة خطابه هذا الذى نغتبط بان ننشره على صفحات العصور قبل ظهوره مطبوعاً عما قريب

— ١ —

الجامعات وتكوين مزاج سياسى للفكر — لجنة الدفاع الامبراطورى — الجو والخلق القومى — بعض أسباب التحول الاجتماعى — المشاهدة الدقيقة بدء التفكير — قيمة الخلق الجامعى — المثل العليا وتحقيقها — الوهم الشريف والصراع المانوى — اساءة استعمال المدلولات أساس الارتباك — مثل أمريكى — كلمات بسيطة مثار مشاكل حادة — الحرية الدينية — أشكال الحكومة

***

الجامعات وتكوين مزاج سياسى للفكر

حينما سنحت لى الفرصة السعيدة ان أقف بينكم منذ شهور قليلة ، عن لى ابدا

بعض ملاحظات عن الحقيقة الناصعة التى تثبت ان الديموقراطية فى معرض مناقشاتنا اليومية، معناها الحكومة تعمل مباشرة بواسطة الرأى العام . كما أبنت الاهمية القصوى التي تحدو هيئة كهذه الجامعة أن تعتبر شطرا من وظيفتها المساعدة على تكوين طبائع الفكر والمزاج التي يترتب عليها ، مقرونة بمعرفة الوقائع الصحيحة ، وسلامة الرأى .

وقد عن لى الآن أن أضرب على نفس النغمة وان أقول شيئا فى السياسة والتاريخ ، وان أصيب هدفين بحجر واحد . واستميح رحابة صدركم لأنى لا أعرف الا القليل من التاريخ . أما عن السياسة فقد يظن البعض ان معرفتى بها تفوق الحد المناسب، وان درايتى بها ليست عن خطأ . فان هناك جذورا للشر واضحة بعض الوضوح. ومن السهل أن تفسد السياسى والمؤرخ من المعاصرين . وقد يمتد ضررها للوزير أو الناخب فى عصرنا الحاضر، بل والى كل من يتصدى لتفسير وقائع الماضى . واحدى هذه الشرور تفكك الفكر ، ثم ضيق مدى البصيرة .

هذا فضلا عن نواحي كثيرة أخرى من الضعف . وانتم تعلمون ، أو على الأقل تسمعون ، عن اسوئها وهى الخمول والتبرم والتحرج والتسويف وعدم التماسك بين الآراء ، والنفور . وقد أدرجت الأخيرة ضمن النقائص اذ ليس بمنقصة ان يكون أولى مواقفنا نحو الآراء الجديدة موقف الاستعداد والقبول للاستماع ، لامناصبة العداء والكفاح الجدلى . فالعقلية السمحة لا تعوق محبة الحق . بيد أن الحياة قصيرة وهناك حدود للصبر على آراء الدجاجلة التى تنبت كالطفيليات . ويلذ لى أن أذكركم لم تنسوا بعد الروح التى أملت هذه العبارة على «سبينوزا» وقد ذكرتها لكم فى خطابى الأخيرة إذ يقول : « حينما وجهت عقلى لدرس السياسة بالدقة التي كنت اعالج بها تفهم الرياضيات ، كنت أجهد نفسى كل الجهد كى لاأسخر من أعمال البشر ولا أتبرم بها ، أو اتضجر أو اغضب، بل لافقهها ،وكان يعنى بذلك النظر الى دوافع الشعور الانسانى من حب وكراهية وحسد وشفقة وحب للطموح، لا كرذائل فى الطبيعة البشرية، بل كخواص وصفات فطرية فيها لاصفة بها لصوق الحرارة والبرودة والصواعق والعواصف بالهواء والسماء.

ظواهر الزمن

ومن هذه البداية. ومن تبيان مزاج زماننا، نتدرج إلى التطبيق والمناسبات . ففى

مقدور كل ناقد مفكر ، متى شاء ، أن يصور بعض ظواهر هذا الزمن فى صورة مروعة واضحة الحدود كل الوضوح . فلنمعن النظر فيها ، فقد وصفوا القوة السياسية كقوة محصورة فى أيدى جمهور هائل متنقل من المنتخبين ، لاتعنى إلا القليل بشئون التاريخ والتقاليد . وقد يتساءل الرجل العادى المنهمك فى كسب عيشه ماقيمة التاريخ لى ؟ ما يعنينى منه ؟ و يحذرونا من ان الديموقراطية ستلح فى وضع برنامجها بنفسها. فهيكل الاعضاء والوظائف التنفيذية تنتابه الآن تغييرات قد يخفي علينا شطرها - بيد انها عميقة بعيدة الأثر . ومجلسا البرلمان فى دور تحول اساسى تحت نظرنا، ولم تصبح هيئة الوزارة ، وهى حجر الاساس فى مأمن حريز من عوادى الزمن بالنسبة لحجمها وامتيازاتها . فنظام الاحزاب ، هذا النظام العظيم السليم ، يقال انه ذائب متحول الى جماعات وهيئات متآلفة . وقد حول نمو مصالح خاصة كل يدعى لها نصير من الوزراء بمثلها، هيئة الوزارة الى اسم جمع لا يصلح كل الصلاحية لتركيز الجدل والمناقشة اللذين كانا مستطاعين حين كان « لبت » "Pitt" ستة وزراء ثم اصبحوا سبعة . ولبيل Lord Peel اثنى عشرة ولغلادستون Gladstone اربعة عشرة . فى حين ان عددهم الآن يقرب من العشرين .

لجنة الدفاع الامبراطورى

وقد ضمت الآن هيئة من الاخصائيين الخبراء لهيئة مختارة من الوزراء لوضع قرارات ونتائج فى شئون الدفاع الحربى والاتفاق على الشئون العسكرية . وهذه النتائج ولو انها اسما للاستشارة والاستنارة لا غير ، الا انها بطبيعة الحال لها من الاهمية والاعتبار ما يؤثر حتما فى حكم هيئة الوزارة على الأمور ومسئوليتها . وفوق ذلك فجلوس زعيم الحزب المعارض فى هذه اللجنة الهامة ، اشارة ظاهرة الى انتقاء الروح الحزبية فى اعتبار الشئون الحربية والخارجية (لان كلا من هذين الشأنين متوقف ضرورة على الآخر) وسحب هذين من ميدان الخلاف والصراع الحزبى .

وليس ذلك اول مثال فى تاريخنا لتحول هائل بطىء صامت فى نظام امبراطوريتنا غير مدون فى وثيقة او مصوغ فى شكل تقنين منظم . فمن المعروف عند الجميع خطة السير وليم تمبل W. Tumpell المشهورة فى زمن شارل الثانى (ولو انه لم يفهم احد مداها تماما)

وقد يرى بعض النقاد ذوى البصيرة ، شبه رجوع لمشروع « تمبل » فيما يعتبرونه تحولا بطيئاً فى تشكيل هيئة مجلس الوزارة ، بحيث أصبحت كمجلس شيوخ أعلى للامبراطورية مع قيد واحد، وهو الارتكاز دائما على أغلبية مجلس النواب - وهذا شرط حيوى بعيد كل البعد عن تصور عصر « تمبل » وعقليته . وهناك عنصر هام يجب أن لا يفوتنا ولو فى لمحة عجلى كهذه قد يلاتنا المستقلة وراء البحار Dominions بدأت تطالب مبدئياً بحقها فى الاشتراك فى إدارة دفة شئون الأمبراطورية ، فى حين أن الحركة الأخيرة ، وليدة هذه الرغبة (وهي تعديل الاشتراك فى النفقات البحرية) لم تسفر عن نتيجة حاسمة

الجو والخلق القومى

وأهم من التعديل فى الآلة الحكومية ، دلائل التغير فى الجو القومى . وقد تكون هذه الدلائل سطحية مؤقتة - وهناك ما يحملنا على الاعتقاد بصحة ذلك - فانه مما من شئ أبعث على التأكيد فى استعراض أحوال العالم الحديث من ظاهرة إن الخلق القومى أبطأ الأشياء تغيرا وتحولا فى أسسه وقواعده . بيد أن البحث قد كشف لنا عن تزعزع الايمان فى اعتبار القانون كقانون ، والانحراف عن المنشئات القديمة المتوارثة كمنشئات ، حتى أن المحامين الأقوياء الحجة قد يستعملون لغة تنم عن اعتبارهم القوانين كنسيج من غزل العنكبوت

والاتفاقات المقررة بين الهيئات الصناعية ليس لها أحيانا من القيمة أكثر مما لحبال الرمل . وليس هذا التحول يقاصر على انجلترا وحدها . وينبئنا المفكرون من الأمريكيين عن مثل هذا التيار حتى فى بلادهم ولو ذكرنا مثلا أن قيام العدالة و نفاذ القانون على الجميع عماد كل الحكومات المتمدينة ، فمن الداعى إلى العجب أن نسمع رياسة الأمريكيين ممن تقلدوا وظائف تضطلع باسمى المسئوليات ، يندد ون بحرارة بتنفيذ قانون العقوبات كسبة لبلادهم ، و يعترفون ان نظام تعيين القضاة مدى الحياة عندنا ، خير من نظام القضاة المعينين فى بلادهم ، او من جهة اخرى يطلبون حق الاستئناف لاستئناء شعبى ، ضد قرارات محاكم الدولة فى المسائل الدستورية ، واقالة القضاة الذين اصدروها . وفى كلتا الحالتين ، فان مآل ذلك انهيار اسس النظام القضائى . و لئن

كان اضعاف الثقة فى برلماننا شيء مخيف ، فان القضاء على الثقة فى محاكمنا أمر لنا ان نكون منه اكثر خوفا واشد خشية . وليس من الصواب ان نقول ان الحس بالاهتمام بالسياسة والتطلع الى شئونها وواجباتها ، قد ضعف وتضاءل ! ! !

إن الواقع يكذب ذلك . فالشعور بالتكاليف السياسية ، إذا كان معياره عدد المشتركين فى عمليات الانتخاب العام ، قد أصبح أشد قوة بدلا من أن يؤول إلى الضعف . والاحساس بالواجب الاجتماعى (وهذا احساس مغاير تماماً للشعور بالتكليف السياسى) قد نما نماء كبيرا ، من حيث القوة والمدى . وقد يعرف الجميع أن «سايس» أحد رجال الثورة الفرنسية ، نشر قبل انفجار الصاعقة على فرنسا سنة ١٧٨٩ رسالة من أقوى ما كتب عنوانها « ما هى الدولة الثالثة ؟ هى كل شيء ! ماذا كان شأنها فى عالم السياسة حتى الآن ؟ لا شيء ! ما ذا تطلب ؟ تطلب أن تكون شيئاً . ويحذرنا الآن ناقد بصير ، أن وراء الدولة الثالثة دولة رابعة وخامسة قد نهضت ، ويجب أن يعمل لها حساباً . فالمرأة التى لم تكن شيئاً وتطالب الآن بكل شيء ، سيكون لها بعض الشأن فى الغد » (١)

بعض أسباب التحول الاجتماعى

وسيتساءل القادرون على التفكير الجدى الصحيح ما هى الصلة الدقيقة (إن كان هناك صلة) بين التغييرات المحيرة للأفكار التى تجرى الآن أمام أعيننا ومثيلاتها الخمس ، فى نظام حياتنا القومية وأفكارنا خلال نصف القرن الماضى ؟ — وهذه التغييرات هى — أو لا :

نقل السلطة السياسية الغالبة من أيدى ارستوقراطية وراثية مؤسسة على التملك العقارى ومن الطبقات المتوسطة إلى كافة أفراد الأمة جمعاء . وثانياً : انتشار نظام التعليم الاجبارى فى طول البلاد وعرضها . وثالثاً : زوال دعاوى رجال الكهنوت بعد أن حلت محلها مرونة غريبة تتغلغل الآن فى كافة أوضاع العقائد الكهنوتية ورموزها ومعاييرها . ورابعاً : اعتلاء العلم والروح العلمية فى أيامنا هذه على الأقل ، على عروشى الأدب والفن . خامساً وأخيراً : اتساع أفق تصورنا للدولة اتساعاً عظيما . ويلحظ الجميع فى

---

(١) فاجنر : المسائل السياسية

طلب استخدام الدولة كل السلطات والواجبات التي فى يدها . و إحدى نتائج هذا التقدم الأخير مرتبطة بالتحول فى نظام مجلس الوزارة الذى أشرت اليه ، إذ يؤول إلى اتساع الأعمال المصلحية التى يشرف عليها الوزير . وذلك مما يجعل مهمة المداولة العامة فى مختلف الشئون أشق أداء أو مستحيلة التحقيق

المشاهدة الدقيقة بدء التفكير

ومن السهل أن نتصور أن توافق الظروف الممتعة للمشاهد ، المحيرة للمفكر ، المثيرة للعادى من الناس والتئامها وتلاصقها بهذه الكيفية البارزة ، لا محالة آيل إلى تكوين عناصر تحدث أزمات ومآزق يصعب الخروج منها . إلا أن الخبرة الواسعة التي جنيناها من تاريخنا القومى ، قد دلتنا على أن أسلم الأشياء مغبة ، وأكثرها سدادا وهدى ، فيما يتعلق بكل الجماعات التى تتكلم بالانجليزية ، أن لا نسارع إلى تصديق عبارة « جون بانيان » — « إن الهوى سيتغلب على كل شيء فى زماننا »

فلنضرع إلى الله أن يهبنا الخلاص من الغلو ، وأن يهبنا روح التوازن المصحوب بالحذر التى هي من أهم الصفات الفاضلة بين الحصيف والسخيف . ويحمل بكل من له يد فى بناء المستقبل أن ينقش على مخيلته كلمات أول عالم استخدم الطرق العلمية للحكم على الشئون الاجتماعية إذ يقول « مالتوس Malthus عن نفسه » أن الكاتب ليس فى حالة من المزاج الفكرى بحيث يجد الطرق التى تبتكر لتحسين حال المجتمع فى المستقبل خيالية خضة » بيد أنه ليس له من قوة التسلط على فكره ما يمكنه من الاعتقاد فى كل ما يميل اليه دون مشاهدة وتحقيق ، أو يمتنع عن تصديق ما قد يبدو جافا بغيضا ، إذا اقترن البرهان والدليل على صحته » . وهذا هو المزاج الفكرى الذى نأمل نموه وانتشاره فى أوساط جامعاتنا .

قيمة الخلق الجامعي

إن مناقشتنا الحالية للأسباب والنتائج فى المسائل الاجتماعية يهيء لنا مادة شيقة طريفه للنزاع الحزبى والتراشق بمصطلح التسفيه الجدلى . وليس ذلك فى موضوعنا ولا هو مجد لنا ، أو جدير ببحث ناقد حصيف فى أيامنا هذه يبحث عن التقدم فى قوة اجتماعية حديثة فى الكم ان لم تكن فى الكيف . وهى ما يسمى التحالف الحديث بين العلم البحت والصناعة (١) .

(١) الورد بالفور فى رسالته المعنونة « الانحطاط » سنة ١٩٠٨

والآن لا يمكننا أن نتكهن عن مدى هذه القوة الجديدة . فان كل ما تكتسبه من عزم ومضاء، يجب أن يكون مركزه هذه الهيئات التعليمية العظيمه أى «الجامعات» ويجب أن تكون هذه أعضاؤها الرئيسية ، وأن روحها الكامنة ، وقوتها الروحية ، هما اللتان يقودانا . وعليهما نستند فى سيرنا إلى الأمام ، فضلا عما تقدم لنا من حكمة وارشاد . وقد اعتبر جهابذة المؤرخين « الجامعات» إحدى المؤسسات الرئيسية فى القرون الوسطى . كالمحاكمة بواسطة المحلفين والمجالس النيابية . وكان ذلك دون تردد . فتأثير الجامعات والمدارس العامة التى تغذيها فى نظام معاهدنا الأخرى ، وسيرها ، بين هائل . فقد كانت عوامل رئيسية فى تكوين السياستين . المدنية ، الدينية، وقد كانت أحايين عوامل للظلام . كما كانت مبعثاً للنور . وكانت أحايين كذلك ، وفى ظروف عدة . مرآة التغرض الجامد الوثيق . والأوضاع التقليدية الصيانية ، وذبول النظم الاجتماعية البالية، عن أن تكون المنائر الوضاءة تشع النور فيما حولها، وتضيء هذه الشعلة المقدسة : ألا وهى حب الحقائق الجديدة التى لا تنبت البتة إلا فى فضول الشباب .

وليس من المحتمل أن تفتقر جامعاتنا الحديثة لقوة لها مثل هذا المدى الهائل والأثر العميق . ولو أن أوضاعها فى تحول سريع وقد قيل صدقا . « إن العالم الممتاز هو الذى يحكم العالم دائما » — وهذا القول أكثر صدقا وصواباً مما يرى الناس ، حتى فى بلاد كبلادنا قل فيها كثيراً نفوذ الاساليب الارستوقراطية . فى حين أن امتيازات العالم الممتاز فى الطبقة الاجتماعية . يجب أن تخضع من الآن للعوامل التى تكون المزاج العالمى . وقوة الحكم ومدى الاهتمام بالشئون العامة فى مراكز العلم والتعليم كجامعتكم . فان بث تعاليمها ونزعاتها مما يكسب الجدل فى الشئون العامة لونه وطابعه الخاص . وسوف يقلل من عدد هؤلاء الذين يدعون أن لهم آراء ، وهم فى الحقيقة خلو منها . ومهمة الجامعات . فضلا عن تلقين علوم الخاصة ، أنها معقل العقل والادراك وحصنهما الحصين . وأن اعداء العقل الالداء، رغم الاسلحة الجديدة والرموز المستحدثة والوجوه المستعارة . لهم على ما كانوا عليه فى كل زمان ومكان .

وسوف أوفر عليكم تلاوة سجل نقائص الانسان مما اسهبت الكلام فيه آنفا ، ومن الأطرف الأمتع أن نحول وجهنا الشطر الآخر، لناحية قوة الانسان (لاصوب

ضعفه) نحو الانصاف والصراحة ، والهمة والمثابرة والاحسان والنزاهة ، فى خدمة الاغراض العامة ، والاقدام دون سبق الوهم أو الافتراض ، وكل الصفات النادرة التي ينقشها الاصدقاء الاوفياء على لوحات قبور اصدقائهم . وأن مدى هذه الصفات لواسع وحافز للهمم .

ومن الحقائق المفيدة التى يجب أن يحث الشعب على ادراكها ، خصوصا فى ظل الحكومات الشعبية ، أن الزمن وتحول الجو السياسى ، يعملان دائما على الصاق معان ومدلولات مختلفة لنفس الآراء والالفاظ القديمة . وقد ألفنا أن نتقدم إلى المعامع الكلامية ونشتبك فى الحروب الجدلية ، كما لو كانت الاعلام والشارات التى نقاتل فى ظلها ، والالفاظ العنيفة التى نتراشق بها ، كل هذه رموز ومدلولات على القضايا القديمة . وليس ذلك إلا مظهر واحد لوجوه هذا الزمن المتغيرة . وقد اسلفت الكلام عن ضيق مرامى الفكر ومطارح العقل ، وأن بصيرتنا لتضيق حقاً لو اغفلت التأثير الذى للظروف الخارجية فى شئوننا — من خريطة أوروبا الجديدة — إلى التغيير فى توازن القوى المقاتلة ومحاكم العدل الدولية فى لاهاى ، والتعاريف الجركية وقناة بناما وكل التيارات الغريبة التى يسابق بعضها بعضا بسرعة هائلة وسط العوالم المتغلبة — عوالم لانسان الابيض والاسود والاصفر والاسمر .

المثل العليا وتحقيقها

يسلم أكثر الناس تعصبا لمبادئهم ، أن من أصعب الصعاب الوصول إلى الحقيقة . الا أننا نتساءل هل هناك ماهو ادعى لاثارة الغضب أكثر من الرأى السديد ؟ فقد يكون فيه خراب الصحيفة اليومية ، كما أنه هو الذى يكبت حدة المناقشة . وقد يقضى على فرصة التربع فى كرسى الوزارة . وان لم يكن صاحبه حاذقا فقد يبعث فى نفوس المنتخبين السآمة والضجر . وسبب ذلك فى غاية البساطة . فالرأى السديد لايفيد إلا القليل أولايفيد مطلقا فى انهاء الاعمال . وقد قال الحكيم « هاليفا كس » Halifax « من لايترك شيئا للمصادفات لن تزل قدمه إلافى مواطن قليلة . بيد أنه لن يأتى من جديد إلا بالنذر القليل »

وكما قال سليمان « من يفكر فى الرياح لن يبذر ، ومن يتطلع إلى الغيوم لن يحصد » وقد يكون الاعتدال احيانا لفظاً ملطفاً للتردد ، وليس من صفات القاضى المزاج

لحزبي . ويحسن بكل انسان أن يرى أن لمعظم المسائل وجهين ؛ ولو أنه من دواعي الاسف فى هذا العالم العملي أن لاتأكد يوماً ما هو جانب الصواب ، ونظل حيارى مترددين ونحن مفتقرون إلى الرجال ذوى البطولة وشجاعة الرأى ، الذين لاتتغلب عندهم آلاف الحقائق إذا تعارضت مع فكرة واحدة راسخة .

والامم سعيدة مادامت الفكرة السائدة تستند على ثلاث حقائق أو أربع ، لها من القيمة والوزن أكثر من آلاف هذه الحقائق متجمعة . ويرى بعض النقاد أولى البصيرة أن التاريخ حافل بالثورات البركانية تقذف اللهب والحمم ، ولاتترك ظاهراً إلا الطمى المتجمدة .

وإنى ، مع الاسف ، لعلى دراية تامة بالاسلوب العقلي فى الفلسفة . هذا الاسلوب المعوج القائم على الغلو . والذى لايدع للتصور والتخيل سبيلا . الاسلوب الذى يتشكك فى كل عاطفة ويزدرى بكل التقاليد ، ويقوض أسس الماضى ، بل وكل ماهو قائم على عقيدة الجماعات ، والثقة فى حاضرنا . فى حين أن الغلو فى التبرم والتضجر ازاء الحركات الفكرية التي قد تسفر مع الزمن عن نعم وبركات ، كمياه النيل المخصبة ، هو السخف كل السخف . فسوف تهبط مياه هذا الفيضان . وسوف يبقى لنا محصول يستحق الاعتبار ، جنى للجانين

الوهم الشريف والصراع المأساوى المأساوى

ان النفوس الملتهبة بالحماس لها مساوىء مشتركة فى عصر طموح وتطلع الى السمو . وانا لنعرف كل مساوئهم . فما اسرعهم الى الابتداء حيث يجب الاختتام . وتحت تأثير وخزات التفكير فى مساوىء العالم وشروره ، يغمرهم تيار التبرم الشريف الى الرغبة فى رفع هذه الشرور وتقليلها وتخفيف وطأتها .

وقبل أن تبحر بهم سفينة الآمال ، يؤكدون لك انهم قد رأوا نجما جديدا يسبح فى سماء افكارهم ، وانهم قد وصلوا حقا الى بر السلامة — الى أرض الميعاد — ففكرة أو نظرية يفترض صحتها بادىء ذى بدء وتختمر مستقلة عن كل تجربة وعن كل شواهد وأدلة ، يسبل عليها بلا روية جلباب التقديس الذى لا يكسو الا المبادىء المقطوع بصحتها . فالآمال الشريفة والحماسة الفياضه تحل محل البحث العقلى ، وتمحيص الآراء ، فتراهم يسارعون الى استغلال كل حقيقة وظرف يرونه فى مصلحتهم ، ويتعامون عن كل اعتبار

آخر. فتعصبهم للاوهام رائدهم ، وهم ميالون الى الغلو، وميزان الاعتدال عندهم فاسد مختل . ولو كان معنا بعض ساسة الاحزاب للاحظوا انى فى هذا المكان مضطر الى الاسهاب فى الكلام عن النزاهة السياسية لدرجة التحمس والهوى . ولن يلومونى فى القول بان ببعض مساوىء الطرق السياسية مثل التى اشرت اليها — كاحلال الوهم الشريف محل الاستنتاج الهادىء — لفاشية بين المتحمسين من المحافظين تفشيها بين جماعة الخياليين من الاحرار . ولن يختلف معى أحدمهما كانت عقيدته الحزبية فى القول بان من الحاجات الماسة فى عصرنا هذا السعى الحثيث فى تنظيم الرأى السياسى وتنسيقه وايجاد صلة أوثق وامتن بين المثل العليا والحقيقة

وليس فى هذه الاعتبارات ما يدعو أولى الأمل والأقدام إلى أن ينقلبوا ضعيفى الفكر ضعيفى الايمان ، قليلى التحمس . فالثورة الفرنسية لم تحقق الأغراض التى كانت ترمى اليها ، وهذا أيضاً شأن حركة الاصلاح الدينى . أما المسيحية فمن أشهر الأقوال المأثورة فى القرن الثامن عشر « إن المسيحية جربت وفشلت تجربتها ، وبقى أن نجرب ديانة المسيح » ولم تبل جدة هذا القول للآن .

ومازال الكفاح «المانيخى» — المانوى —(١) بين الخير والشر . والخير والأخير . يتجدد فى أشكال وأوضاع شتى . فثلث الأحياء يدينون بالمسيحية — منهم ٢٤٠ مليونا من أتباع كنيسة روما و ١٥٠ من البروتستانت و ١٠٠ من أتباع الكنيسة اليونانية وبينما اليهود أقل الأديان عددا (نحوا من عشرة ملايين) فلهم من النفوذ الهائل فى سياسة أوربا ما لا يتناسب البتة وعددهم .

على أن علاقة المعتقدات بوجوه جديدة من المثل الاجتماعية العليا لتنفد إلى كبريات المسائل . ويمكننا أن نفكر فى هذا البحث الطريف وهو : ما نسبة الآراء التى بها يعيش الناس وهى عمادهم فى الحياة ، مع ما يقبلون أن يكون موضع التساؤل والمناقشة إذا خلوا إلى عقولهم ؟ وكم هى تلك الآراء التى هى موضع التقديس عندهم . بحيث يتعصبون لها كل التعصب وتسمو لديهم فوق كل بحث ؟

وهناك بشائر تبعث على الأمل فى أن المزاج الفكرى ، الذى له من الاستعداد

---

(١) المانيخية أو المانوية نسبة « مانى » وأساسها الفكرة الثنائية الفارسية القديمة فى أن هناك قوى للخير ومثلها للشر — أى عبادة الخير والشر وعبادة الشمس كمصدر القوى والخيرات

مما يحدوه إلى تجربة كل شيء ، والتمسك بنواصي ما ثبت على التجربة والامتحان ، سوف يسود .

إساءة استعمال المدلولات أساس الارتباك

ولن يضيرنا أن نهضم هذه الفكرة السديدة للفيلسوف جون لوك : « إذا أنعم أي انسان النظر في الاخطاء والترهات وضروب الارتباك الفاشية في العالم بسبب سوء استعمال الألفاظ ، فسيجد بعض السبب يدعوه إلى التشكك : هل اللغة كما استعملها الانسان للآن قد أدت إلى تحسين المعارف بين البشر أكثر مما عاقت تقدمها ؟»

وإذا كانت هذه الفكرة مما يدعو إلى التشاؤم في كل زمان ، فكم تبعث فينا من القلق والجزع في زماننا هذا ، حيث علينا أن نواجه شتى المسائل ؟ وكم يترتب على سوء استعمال المصطلحات والمدلولات السياسية من الاخطاء والارتباك ، وما يتبعها من الآراء التي ما هذه المصطلحات إلا رموز لها .

وماذا يكون شأن المحامي في محاكم العدالة إذا ترافع في قضاياه بألفاظ وأدلة مفككة لا ارتباط بينها ، وتجاهل السوابق التي تنطبق على قضيته ، وأهمل تسلسل الفروض والنتائج ، وسارع إلى المساواة بين المراجع قويها وضعيفها — مما يجده خير الناس بيننا كافياً كل الكفاية في ميدان السياسة ؟

وهل هناك ميدان آخر غير السياسة تجتمع فيه الأصنام التي أشار اليها « بيكون » Bacon في وئام وائتلاف — أصنام (١) المسرح والطائفة والسوق والكهف ؟ ومنذ خمس وعشرين قرناً ندد أحد كبار المؤرخين الاغريق بجهل البشر واوهامهم الحقيقة في كلمات خالدة — قال تيوسيديد :

« إن الناس لا يميزون — فهم يقلدون بعضهم بعضاً دون تجربة . وحتى في المسائل اليومية التي لم تضعف من ذكراها الأيام ، نرى اليونانيين أسرع ما يكونون جميعاً إلى الزلل . فما أقل ما يجهد الناس أنفسهم سعياً وراء الحقيقة . وما أكثر ما يسارعون إلى قبول أول شيء يصادفهم »

---

(١) هذه الاصنام هي رموز أخرجتها مفكرة بيكون (وهو من أحد الأذهان التي برزت بين البشر) فصنم المسرح رمز على الوهم الخلاب الذي يتسلل إلى العقل مكان الحقيقة ، وصنم الطائفة هو التعصب الأعمى للجنس أو الطائفة أو القبيلة أو الفئة . وصنم السوق هو الاوهام الفاشية بين السواد من أفكار ومطامح خلابة يبهرك ظاهرها بيد أن حقيقتها لا تخرج عن الخيالات . وصنم الكهف هو أوهام المعتزلين النساك الزاهدين في العالم تجاهلا لطبيعة الانسان والبشرية وضعفها ونقائصها يرمون إلى الكمال المحض

مثل امريكى

وقد أوردت صحيفة امريكية مثلا يوضح تمام الوضوح هذه الملاحظات. فيقول الكاتب إن عدد المسائل التى هى لزام على الشعب الامريكى أن يكون له رأى مستنير فيها ، مما يحير الألباب . خذ إحداها ومن أكثرها تشعباً — كيف نعالج مسألة الاحتكارات (Trusts) ؟ كيف السبيل إلى تفهيم السواد بالضبط ما هى النتائج القانونية والمالية لقرار المحكمة القاضى بحل شركات احتكار الدخان ؟ إذ يرون كبار رجال القانون فى خلاف يتناول أساس المسألة

و يسمعون السياسيين يشددون النكير على معارضيهم . ولا يمكن أى انسان ان يدعى جديا ان مشاكل إيقاف شركات الاحتكار عند حد ، وتنظيم طرق احتكارها ، مما فى مقدور ما يقال عليه « حكمة الشعب » التغلب عليه . اذ كل مافى استطاعة الشعب تكوين آراء جلية راسخة رسوخ العقائد عن المبادىء الاساسية التى يرتكز عليها الموضوع كله . و يمكن تكوين رأى عام صحيح سديد حول المسائل الاساسية . وهى هل يجب علينا ان نحافظ فى التجارة والصناعة على مبدأ المنافسة الحقة . أو هل يجب أن تقوم الدولة بوظيفة الادماج والاحتكار والاشراف عليها ؟ ومتى حلت هذه النقط الهامة الأولية ، فسوف تهتدى القوى التشريعية والتنفيذية ، والمحاكم الى الحل السوى . وهـــذا مثال من أمريكا ولن يكون من الصعب أن نجد له مثيلا فى بلادنا . .

كلمات بسيطة مثار مشاكل حادة

ان الآراء والالفاظ التى تبدو ابسط مايكون تنقلب فى آخر الأمر أكثر الامور تشعبا ولو رأيت أى انسان فى شك من أمره فمثله تجربة هذه الالفاظ — الحرية والاخاء والمساواة .

وانه ليكون من حسن الحظ حقا اذا لم يقف به الأمر عن تبين ان هـــذه المصطلحات جوفاء لا من التعقيد فى الفكرة لا غير ، بل من جهة المعنى والتطبيق . فانه ولا شك يراها متناقضة الدلائل . وقد قال لنا خير الثقاة إن للحرية مائتا تعريف . وقد قال « لنكولن » — Lincolin — اثناء الحرب الامريكية : « لم يتأت للعالم حتى الآن تعريف صالح للفظة « الحرية » بيد ان الشعب الامريكى الآن بحاجة الى هذا التعريف

القويم . وكلنا ينشد الحرية و ينادى بها . إننا فى استخدام اللفظ الواحد لانرمى الى معنى واحد وشيء واحد ، وانا لنفترض ان لفظة « الحرية » قد تنصرف الى فعل كل انسان ما يشتهى فيما بينه و بين نفسه ونتاج عمله . وقد تؤول عند البعض الآخر بانهم أحرار فى التصرف مع الغير وفى ثمار أعمال هؤلاء كما يشاؤون » . ولن ننسى سريعا قول « كافور » Cavor التاريخى « الكنيسة الحرة فى الدولة الحرة » .

فهل هناك أسهل من هذه العبارة وانفذها الى الفكر وأجمل رنينا منها واطرب صدى فى اذن السياسى ؟

غيران هذه العبارة بعينها كثيراً ما كانت مبدأ لارتفاع أصوات متنافرة ومنافرات من الجدل المستحكم المطرد المتواصل ، وفاتحة رنات من النزاع حادة غير متآلفة:

والحادثة التاريخية التى تم بها انشاء مملكة إيطاليا وروما عاصمة لها ، لأجل شأنا واعظم خطرا ، من ان تحصر فى نطاق قاعدة سياسية واحدة . وليس من السفه أن نصفها بأنها أهم حقيقة ظهرت فى تاريخ أوروبا مدة قرنين أى منذ صلح « وستفاليا » ولهذين الحادثين الجليلين (أى تشييد مملكة إيطاليا وصلح وستفاليا) وجه واحد ذى أهمية كبرى . فكلاهما خاتمة تغير هام وتحول لا يمحى فى حياة الدول والكنائس على حد سوى . وقد أثر كلاهما فى نظام العلاقات بين السلطتين ، السياسية والروحية ، بحيث غيرا من أسسهما ، وجددا من أنظمتهما ، فكانت خاتمة نظام القرون الوسطى . فى حين أنه مازالت ثمة حلقات ثقيلة باقية من السلاسل المحطمة تحيط كالنير برقبة الحكام المحررين .

الحرية الدينية

وان أقرب العبارات لنا وأكثرها حيوية فى مناقشات هذا الزمن ، لهى الحرية الدينية . فهى مسألة مضطرمة الاوار فى فرنسا و إيطاليا و فى ارلندا و إيقوسيا ، وحتى فى انكلترا لم تخب نارها تماما حتى تنقلب رمادا فى جوف التاريخ . ومع كثرة تداول هذا اللفظ بيننا ، فانه يشمل معانى مختلفة تمام الاختلاف فى مبناها ومدلولها . وقد اهتدى « ليون الثالث عشر » الى اثنين منها فى حرية الضمير ، احدهما حرية الفرد فى اتباع أوامر الله ، والآخر حرية تحديد الاشادات الألهية حسب تصوره وادراكه وهداه واختياره .

واحيانا تدل الحرية الدينية على الحرية غير المقيده فى التعبير عن الآراء والمناداة بها فى المسائل الكهنوتية واسسها ،كحقائق مسطورة. وتفسيراتها للمعتقدات الراسخة وتآلفها واتساقها او تناقضها وعدم توافقها تماما مع المعايير والاقيسة المسلم بها فى دائرة العلوم الاثباتية والنقد الجرىء،اللذين يتسع نطاقهما كل يوم .واحيانا تدل على ادعاء هيئة لاهوتية حق فرض قواعد الزواج والتعليم والاجتماع لاحياء الشعائر الدينية ، وغير ذلك مما يختار رؤساء الكهنوت فرضه على المخلصين والمتطوعين من الاعضاء والأتباع دون اعتبار النزعات الاجتماعية المتغلغلة فى الانسان ، او مقتضيات الدولة . وهل ينتهك مبدء الحرية السياسية حين يمنع البوليس موكبا من الكاثوليك من المرور فى شوارع « وستمنستر » . ؟ او حين يطرد جمعا من الرهبان او الراهبات من الفرنسيس ؟ او حينما تقرر محكمة انكليزية (كما حصل منذ سنوات قلائل) الغاء وقف على جمعية تعتنق آراء مخالفة للمسيحية ؟ وما رأيك فى القوانين الشديدة والقرارات الصارمة التى لا محيد عنها ، والتى اتخذت فى العالمين ، القديم والجديد ، مدى قرن ونصف ضد جماعة الجزويت المهيبة . وقد كان الاغريق و بعض الشعوب الأخرى . فى القرنين السابع والثامن ، مغرمين فى كفاحهم ضد السلطة العليا المتحكمة ، بالالتجاء الى المصطلحات الدينية ، مما توحى به الضغائن السياسية والطائفية . ولم تقلع بعض الجماعات ذات المدنية الراقية ، التى لا تبعد عنا اكثر من الاستانة ، عن اساءة استعمال هذه المدلولات . غير انه يمكننا القول،عن انصاف و بعد عن كل غلو وزهو ، أننا فى نظامنا الحكومى على الاقل، قد وصلنا فى جيل واحد الى تغلغل قانون التسامح فى أنظمتنا وسريانه لا فى قوانيننا ومحاكمنا لا غير ، بل اشربت به عاداتنا ، ومألوفنا ، وسبل تفكيرنا العادية . ولم يكن ذلك التحول ثمرة عدم المبالاة والتشكك وانتفاء العقيدة ، بل هو أحد حركات التطور العميق الصامت ، التى تجعل التاريخ محتملا غير مملول

اشكال الحكومة

وفى الميدان الشاسع للمسائل المتصلة باشكال الحكومة،تتوارد اكثر المصطلحات شيوعا فى اضطراب وابهام . وقد كتب « السر جورج لويس » وزير المالية سنة ١٨٥٧ ومن اعلم الرجال الذين اسندت اليهم هذه الوظيفة ، رسالة صغيرة فيما اسماه استخدام المدلولات السياسية وسوء استعمالها . والحق يقال انه لم يشع علينا من

نور الهداية اكثرما اوصلنا اليه حوار اشراف فارس السبع قبل المسيح بخمسة قرون. (هيرودوت ــ الكتاب الثالث) وما فى هذا الحوار درس يبدأ باسئلة عن التقسيم الدقيق لاشكال الجمهورية والملكية ، حيث يكون لاغلبية الذكور تأثير قانونى مباشر فى تكوين الهيئة السائدة فى الامة . هناك الديموقراطية . فان لم يكن لهذه الاغلبية نفوذ قانونى مباشر ، فهناك الارستقراطية . وهل الديموقراطية هي النظام الذى بمقتضاه تحكم الاكثرية ، او كما افترض ارسطو هى النظام الذي فيه يحكم الفقراء ؟ او هل يكفينا ان نوجز ونختصر ونحمل الديموقراطية على انها نظام يفتح امام اولى المواهب السبل ويهيء لهم طرق الحياة وغير ذلك من مقترحات التعاريف العامة والمصطلحات المفككة التى لا روابط بينها . بل هى غير قابلة للتطبيق ، فضلا عن أنها حلقات السلاسل تقيد الناس فى طرق من التفكير لا تستند الى المعقول ، كما لو كانت نصف شرور العالم لا تحدث من تلك المخادعة التى لا سبيل الى شفائنا منها ، وهى اتخاذ لفظة والاصطلاح عليها بدلا من شيء محدودا و فكرة معينة . وقد انتشر لفظ (سوسيوكراسى) اى حكم الجماعة منذ زمن لويس . بيدان هذا الخليط المركب من اللفظ الذى يستدل به احيانا على التوافق المشكوك فيه ما بين اتساع نطاق الديموقراطية وبين البلوتوقراطية (حكم الاكثرية) لم يتأقلم فى بيآتنا الفكرية بعد .

وقد وصفوا الجمعية الحاكمة عندنا بانها أم المجالس النيابية . وهذا التشبيه مما يثير فينا الفخار القومى الحق . بيد ان الفوارق فى السلطة ومنبع هذه السلطة بين الاصل والفروع ، تحجب جميع أوجه الشبه خذ مجلس العموم مثلا . فهناك من كتاب الطراز الاول من يتكلم على مداولاته وقراراته وميول اعضائه وامتيازات سلطة خلال الحرب مع مستعمراتنا الامريكيه أو ضد نابليون : كما لو كان هذا المجلس مدة هذين الحادثين التاريخيين الجليلين ، هو نفس مجلس العموم الذى يحكمنا الآن ــ أى انه منتخب باصوات الشعب . والحقيقة ان اعضاءه كانوا مرشحى عدد من الاشراف ذوى الامتيازات السياسية لا يزيدون على اصابع اليد عدداً .

(يتبع)

الغراب والبستانى

(عن الجزء الأول من ديوان « وحى العام » للدكتور أبى شادى الذى ستنشره قريبا « دار العصور » ، والترجمة الانجليزية من نظم الأديب النابغة الاستاذ محمد افندى عبد الله مصطفى

(١)

إنى لأذكر فتاناً سُرِرْتُ به ... نعيمُه كُلُّهُ فى حَظ بستانى

يهوى الجمالَ ويوفيه عبادتَه ... وإنْ تنوَّع في شكلٍ وألوانِ

ما كان يُؤثر منه مَظهراً ابداً ... بل كان يعشق رُوحَه الثانى

كُلُّ المظاهرِ كانت عنده شَرَعاً ... وحُبُّهُ هو صِنْوَ النُّورِ روحانى

لكنما فتنَتْهُ زهرةٌ بَسَمَتْ ... كأنما هى جَمْعُ الحُسْن فى آن

فصار يُعْنَى بها من عَهْدِ نشأتها ... وزاد عُمْراً لها مِنْ برِّهِ الحانى

وخصَّها بأغانيه ومُهْجَتِهِ ... فى اليُسْرِ والعسْرِ ، فى صَفْوٍ وأشجانِ

وغاب عنها ولمَّا عاد فى شَغَفٍ ... وكأنَّه خَشْيَةً مِنْ بُعْدِهِ الجانى

قال الغرابُ له : « لا تخشَ سقطتَها ... فقد خَدَمْتُكَ عرفاناً لإحْسَانِ

أنْظُرْ إليها ، تجدها لم تزل مَلَكاً ... فى عالَمِ الزَّهْرِ ، قد خُصَّتْ بتيجانِ »

فراح يشكر هذا الودّ مغتبطاً ... وأمَّ زَهْرَتَهُ في شوقِ جَذْلاَنِ

فلم يَجِدْ عند رؤياها سوى شَبَحٍ ... قد شوَّهَتْهُ جنايات لِغِرْبَانِ !

(٢)

THE CROW AND THE GARDENER.

An Allegory

An artist I ver'ly remember,
Whose lot was that of a blest gard'ner.

With love of Beauty him did the Muse
Instil and enchant with her forms and hues.

This shape or that design should she take,
His love, light-begot, never did shake.

Once charmed was he by a blooming bud,
Which he with tender care did fain tend,

Until a flower did she become
And smile and shine in fragrance wholesome

Of her radiant grace he sang and thought
In times of joy, grief, plenty and naught;

Yet was a doomed by absence to part
From the adored concern of his heart,

And when he with yearning did return,
His exaltéd symbol to discern,

A crow, to him obliged for favours,
Him on the way did meet with murmurs

And unto him did say earnestly : —
„ Thy flower have I treatéd kindly,

Thou wilt anon behold her a queen
Crowned in a hole of lustrous sheen. "

Deluded by the crow's sham saying,
To the flower goeth hastening

The Gardener, her to find defiled
By the mischiefs of crows fierce and wild.

رد مفتوح

إلى اسماعيل مظهر محرر مجلة العصور

الند كالند والنظير مثيل والسؤال يجوز من أى كان والى أى كان ، وحرية الفكر لا تحتقر الأديان ، وآداب الصحافة لا توافق على مثل ذلك

قد تلطفتم بنشر كتابى المفتوح (المرسل اليكم) فى عدد ٢١ من مجلتكم وبردكم القيم عليه مطولا فى عدد ٢٢ منها وبعد أن كنت سائلا جعلتمونى مناظرا وخاطبتمونى خطاب الندللند فشكرا جزيلا لكم

ولقد أساءنى وآلمنى كما يسوء كل مسيحى وكل مسلم أيضا ما احتوت مقالة الالحاد والتى نشرت فى عدد ١٩ من (مجلتكم) من الطعن والتحقير فى الكتب المقدسة لذلك انتقدت ذلك التحقير وليس إنى تعديت أو عارضت حرية الفكر كما نسبتم إلى

— ١ — سبب السؤال

وحيث أن شعار المجلة المصدرة به هو « انتقادية » فى الأدب والعلم والسياسة فقط ، لا فى الدين ، ارسلت كتابى المفتوح اليكم لأنكم حدتم عن ذلك الشعار . وكان المنتظر من حضرتكم كمسلم يعتبر هذه الكتب أن لا تنشروا مقالة كهذه لما تحويه من مطاعن الملحدين فى الكتب المنزلة منه تعالى وبأفواه أنبيائه الكرام . بل أن تراعوا شعور مئات الملايين الذين يعتقدون صحتها من يهود ونصارى ومسلمين

وقلت إن حق الانتقاد بحسب عنوان المجلة « انتقادية » هو لما يعرض عليها من المؤلفات أو تهدى اليها وليس لنشر مطاعن رئيس جمعية نشر الالحاد فى الكتب الدينية وإلا فلتزد المجلة على شعارها بعد « الأدب والعلم والسياسة كلمة « والدين » أيضا

وقد اتضح من ردكم على كتابى بأنكم مسلم يؤمن بالله ويحمده تعالى على ذلك ومن كان مسلما لا ينتظر منه أن يحبذ الالحاد بحرية فكره وينشر مقالات ضد الدين

وشرائعه الآلهية. وإذا فعل مثل ذلك يكون جامع الضدين الدين و الالحاد معا. كما يجتمع النور والظلمة والحق والباطل ، و هذا لو أمكن يعد مقدرة عظيمة لفاعله

— ٢ — خطأ حداد عندكم

إذا راجعتم كتابي المفتوح اليكم بتأن تجدون أنني لم أخطىء بقولي فيه كما تصورتم . فقلت ، من يطالع المقالة ولا يجد تعليقا عليها منكم ولا بكلمة تعارض فحواها يظن حالا بأنكم على رأى كاتبها و من دعاة الحاده . فهل أنتم على مبدأ هذا الملحد ومن دعاة الالحاد حتي نشرتموها بدون تعليق أو انكم بنشرها حسب القول « ناقل الكفر ليس بكافر » فتلطفوا بالافادة على صفحات مجلتكم الغراء بكلمة صريحة.

وهذه الخطيئة الكبرى التي صدرت منى فعظمتموها وحسبتم أنها « من روح التعصب القديمة ظهرت على يد القس حداد و الحمدلله ». وقلت : يظن بأنكم وليس إنى أؤكد أنكم الخ . الا يظن هكذا كل من يقرأها غيرى ؟ . وعلى فرض انني غلطت بقولي يظن و ان الحق لا يظن هكذا . فكان يكفى أنكم تجاوبونى بحلكم بنعم أو لا. أو بأن هذا الظن ليس بمحله وأناحر فانشر ما أريد ولا حرج على . وليس لك ياحداد أن تسألني هكذا .. و حينئذ أعرف أنه لا يعنيني واعتذر لكم إن كان السؤال إساءة اليكم

و كيف نسمع أو نقرأ كلام الطعن و الهزء بالكتب المقدسة والتحقير بصعود السيد المسيح بقول ملحد ينشر فى مجلة راقية وهو « جسد يختفي فى الجو: لو ٢٤ : ٥٠ أسأل أحد الفلكيين أو لندبرج اين مقرة (وياالها من وقاحة) ولانغار و نتقد نشر ذلك الهزء . و إن كان على لسان ملحد غير محرر المجلة الذى نشره . و من البديهى أن من أنكر صعود المسيح إلى السماء فقد أنكر ضمنا صعود غيره من الأنبياء مثل أخنوخ و إيليا ومعراج النبي ص بالتبعية أيضا

وما يصدق من التكذيب على صعود المسيح يصدق على صعود غيره . ولا واحد من المسلمين يسلم بذلك أو لا يغار و يغتاظ إذا سمع أو قرأ مثل ذلك الطعن . ولا ملامة على إذا قرأت تلك المقالة فى ١٠ صفحات من المجلة وكلها مطاعن وسألتكم ذلك السؤال الذى أغاظكم ، طالباً جوابكم صريحاً بحرية الفكر والضمير .

حيث يظن كما تقدم أنه لولا موافقتكم عليها لما نشرتموها وفيها ما فيها من التحقير ولو كنتم غير موافقين لعلقتم عليها رأيكم بمعارضتها . أو تمنعتم عن نشرها . لكنكم حنفتم من السؤال وأجبتم بحدة كما ظهر منه التهكم والاستخفاف على القس حداد ولم تترفقوا به

والدين الاسلامى منذ ظهور صاحب الشريعة الاسلامية قام لازالة الكفر والالحاد وعبادة الاصنام (١) . ولارجاع الناس الى عبادة الله والايمان به . ولم يزل لا يسمح بشيء من مثل ذلك الالحاد ويندد به . والا لما صار مسلمون يؤمنون بالله والقرآن الكريم والتوراة والانجيل بل بقى الناس فى الجاهلية والوثنية والكفر ومعلوم ان كل المؤمنين بالله يقاومون الالحاد ولا يوافقون مبدأه ويدافعون عن الدين . ولا يحسب ذلك تعدياً منهم ولا تعصباً كما نسبتم الى

ولو انى كنت البادىء بالافتراء على الملحدين وعلى ناشري الحادهم لصح ان ينسب الى التعصب ولكننى كنت سائلا ودافعاً هجوم اعداء الدين . والالحاد هو ضد الدين الاسلامي كما هو ضد الدين المسيحى . والسؤال أيها المحترم يجوز تقديمه من أى كان والى أى كان . وحرية الفكر لا تمنع حرية السائل أيضاً لأن السائل له حق حرية الفكر . وهكذا لم تتكرموا بان تجيبوا على السؤال بنعم أولا بصراحة

— ٣ — الهدم المقصود

من المؤكد ان الكتب المقدسة هى كاساس للقرآن الكريم الذى اقتبس منها ويشهد لها لانها أنزلت قبله . واذا انتقض الاساس أو تخلخل فلا يثبت البناء فوقه . وهكذا فاذا نقضت هذه الكتب بحملة كهذه من دعاة الملحدين أو من نشر الحادهم لايثبت القرآن دونها بل ينقض بحملة أخرى عليه من أولئك أو ضمناً وبالتبعية دون حملة عليه لانه كالكتب المقدسة . وكل مسلم نظيركم يوافقنى على ذلك ولا يرضى بأقل اساءة لهذه الكتب المنزلة جميعها اذا كان مخلصاً لدينه

ولا يوافق أن يكون الانسان مسلما مومناً بالله فى داخله وبما أنزل من الله ويحسن الالحاد ويطنب فى مدحه وهو ضد دينه وشعبه . ولا ان يكون مستريح

---

(١) أنظر ماقلناه فى مجلة المنبر عدد ٢٢ يونيو صفحة ٦٨١ فى الهامش رقم ١

الضمير فى داخله بالالحاد ويتظاهر بالدين فيكون جباناً ومرائياً بل الافضل له ان يكون ظاهره كباطنه علانية وجهاراً و بلا خوف ولا خجل

— ٤ — التشكى من حداد

قد طالعت ردكم فوجدت كثيراً منه تظلماً مني وتشكيا على كذنب اساء اليكم بذنب عظيم لانكم توجهون كلامكم لغيرى وتشيرون إلى بالغيبة (أى كغائب) و كان يلزم على فرض اننى أخطأت اليكم بذاك السؤال أن تظهروا خطئى و لا تعاملونى بما تفضلتم به من التهكم و الهزء مثل « وماذا يعمل القس حداد . وماذا يعنى القس حداد » إلى غير ذلك . وتخاطبون غيرى كمظلومين منى ولمن وجهتم كلامكم بذلك ؟ فكتابى المفتوح اليكم والجواب على سؤالى يكون منكم إلى . وان كان السؤال ثقيلا كما حسبتموه لكن لى عذر آ بأن أغار على الكتب المقدسة التى أجلها وأؤمن بصدقها لسبب ما احتوت تلك المقالة الطاعنة من التنكيت التحقير و الاستهزاء فيها وفى السيد المسيح أيضاً .

٥ — حرية الانتقاد

ان كنتم خولتم نفسكم حرية الانتقاد و نشرتم انتقاد ملحد مخالفين شعار المجلة حسب حرية فكركم . فكذلك يحق لغيركم أن ينتقد تلك المقالة ونشرها ويسأل لماذا نشرتم ما لا ينشره مؤمن بالله وبالكتب المقدسة المنزلة منه . ولم تناقضوها كمسلمين أو تؤيدوها بالموافقة على صحتها بمجاهرة وصراحة .

لكن السؤال كان هكذا صعبا على مسمعكم فاغتظتم وكتبتم ما كتبتم فى ردكم من الاستخفاف والهزء بالناقد بل بالسائل . وكأنه يصعب كثيرا على الناقد المستقل أن ينتقد من الغير . فلذلك يحنق ويتكلم ويكتب متوجعا من الانتقاد عليه . ويحكم لنفسه كمن له ارادة سنية لا تعارض وهو مقدس غير مسؤول .

إنما قد مضى عصر الاستبداد فى جميع الشعوب الراقية وغيرها وصار فى خبر كان . ونحن حمداً لله قد صرنا فى عصر الحرية الراقى . وحقا كما يقال « إن الحقيقة تجرح » .

وهكذا قد ظهر بردكم على كتابى المفتوح انكم تدعون العصمة فيما نشرتم أولا وفيما رددتم بعد سؤالى مستندين على حرية الفكر كمن لا يغلط ولو كانت المقالة ضد الدين المسيحى والاسلامى أيضا الذى أنتم من اتباعه . ولكن جل من لا يغلط وحده والتشبث بالغلط غلط أكبر . « ومن قال لا أغلط فى أمر جرى فانها أول غلطة ترى » .

٦ — الاحتكار

وقد اتضح من ردكم انكم احتكرتم الانتقاد بحسب حرية الفكر لكم فقط ولا حصة ولو قليلة منه لغيركم . فتنتقدون وتكتبون كما تشاءون . وكأن الانسانية قد أعطتكم ذلك الحق وحدكم . واذا انتقد أحد فالويل له فتقذفونه بسهام الاستهزاء والتهكم . وتخيفونه بالتهويل والتطويل . وتحكمون عليه وهو برىء بأحكام ما أنزل الله بها من سلطان إلا لكم . وليس هذا من شعائر الرقى والتمدن الصحيح الذى تشوقون اليه فى كتاباتكم وتأليفاتكم القيمة وترجماتكم المنيرة للعقول البشرية .

وتعلمون أن الحرية لا تجرح احساسات الآخرين بدون داع . وحرية الفكر لها حدود لا تتخطاها . واذا تخطتها لا تبقى حرية بل تكون استبدادا وظلما وتعديا على حقوق الغير وعلى حريتهم . ولا تجيز لصاحبها المسلم الحر أن يوافق ملحدين يبذلون الوسع لابطال كتب سماوية محترمة ومقبولة عنده وعند الشعوب اليهودية والمسيحية والاسلامية ومعمول بها فى مئات القرون . أى كل منهم يحترم ما يخصه من تلك الكتب . والفضيلة هى بين رذيلتين الافراط والتفريط واذا تعدى على حقوق الغير بالطعن والتحقير بالقول أو بالعمل لا تبقى فضيلة (بل رذيلة)

— ٧ — الاعتداد بالنفس

تقولون فى ردكم « ها نحن عرضنا لنقد هذه الكتب فماذا يريد القس حدادا ان يفعل ؟ وماذا فى استطاعته ان يفعل ؟ ولكن القس حداد هو المتكلم لا كردينالا من كرادلة محاكم التفتيش ولا رجلا من رجال مجمع الفهرست .. لقد نشرنا هذا المقال من غير ان نعلق عليه ويمكننا ان نعيد نشرة مرة اخرى من غير ان نعلق عليه ايضاً بل وفى استطاعتنا ان نترجم كل كتب جمعية نشر الالحاد الامريكية وتوزعها باسمنا

وتحت اعين القس حداد ومن هم على شاكلته . ومن هم على اكثر من شاكلته . وليفعل القس حداد بعد ذلك ما يشاء ، . . اليس هذا إقراراً على انه توجد غاية وقصد عندكم بما نشرتم ؟

برافو !!! وهذه رجولة ومقدرة عجيبة و يالها من براهين مقنعة وباهرة . وكم هو محبوب اسم القس حداد لديكم حتي تذكروه كثيرا وحقا « من احب شيئاً اكثر من ذكره » فاشكركم كثيراً على ذلك

والجواب المقدر من سؤالاتكم هذه « ماذا يفعل حداد وليفعل ما يشاء الخ ، ، فى جمل تكررت فى ردكم مراراً انه لايفعل شيئاً . لانه عاجز وضعيف لا يستطيع الرد على هذه الحجج القاطعة او يقاوم حاكما بامره يفعل ما يشاء و يريد . وكأنه بقوله يعلن حربا هى حرب القوى مع الضعيف . نعم فحداد لا يفعل شيئاً ولا سلطة له او قوة ليفعل . وهذا حق واسلم به لانى لست باستعدادكم للمناظرة والردود . ولكن آداب الصحافة تفعل ومكارم الاخلاق لاتجيز التحقير والعلم الصحيح لا يكون موصلا الهزء والمذمات

وكذا فالقس حداد لا يعلن حرباً عليكم ولا يستطيع ذلك ومهما نسبتم اليه او افتكرتم عنه او تهكمتم لا يغتاظ منكم . بل يعلن الصلح معكم والصداقة ولا سيما بعد ان عرفكم هكذا كما انتم واطلع على مقدرتكم والاخلاق الراقية فيكم دونه

— ٨ — التعصب

انا مسيحى اغار للدين وادافع عنه كما يجب على وعليكم كمسلم ولا اعاب على ذلك . وارفض نظرية الالحاد وما شاكلها بحرية ضميرى وافكارى . . ولاحياء فى الدين « دعوتمونى متعصباً وهذا كل ما قدرتم ان تقولوا . فلا بأس لان التعصب ليس بجريمة اقترفتها . انما يوجد فرق عظيم بين التعصب للدين من اتباعه و بين التعصب للالحاد من المسلم المؤمن بالله نظيركم والذى يحمد الله لانه مسلم . فانا أتعصب لنفسى فى دينى وانتم تتعصبون أكثر للحدين فى الحادهم بعد ما نشرتم لهم تلك المقالة التى اعجبتكم كثيراً « وتردون النقاد » . « وماذا يعمل حداد »

واذا كنت بالفرض متعصبا للكتب المقدسة و الدين فانى لا ارفض حرية

الفكر مطلقا كما تظنون بى،بل احبذها مثلكم اذا لم يكن اكثر . ولا اوافق قطعياً على مسك حرية احد واغتصابه فى امور الدين الذى علاقته بين الانسان و بين الله فقط . ولا اجبر ملحدا بدين لانى اعلم ان لا احد يطالب بغيره امام الله الديان العادل بل كل يطالب بنفسه فى يوم الدين الرهيب والموقف المخيف الذى لا ينفع فيه الحاد ولا كفر ولا حرية فكر ولا مال ولا بنون ولا جاه ولا رتب ولا صحافة ولا محاماة الخ ، ولا اكراه فى الدين »

— ٩ — التعارف بيننا

حيث قد نسبتم الى ما انا برىء منه وتوهمتم بما ليس فى فاعلمكم من انا

انا القس اسكندر حداد (كذا) بنعمة الله (كما امضيت كتابى المفتوح) من افراد الكنيسة الانجيلية القسوسية سورى المولد فلسطينى التبعة حالياً ولست من رؤساء الكثلكة ولا قاضياً من قضاء محاكم التفتيش كما قلتم تهكماً ولا من اصحاب الحكم عليكم مع علمكم بانه لا محاكم كهذه الآن ولا أنا من قضاتها ولا أنتم بروتستنت لتحاكموا منها ولا خوف عليكم من ذلك أبداً . ومع ذلك تر ددون مثالا من أحكامها على سبيل الاستهزاء فى ردكم وبالحق لو كان توجد محاكم وقضاء له حكم عليكم لما نشرتم فى مجلتكم احتقار المسيح و بطلان الكتب المقدسة مطلقاً . وايرادكم ذلك المثال هو هزء بالسائل و باولئك.

ولا دخل لمحاكم التفتيش و أحكامها الآن بيننا . ولا يخطر على البال انى أطلب محاكمتكم أو تظنون بذلك . وكنا فى سؤال و جواب لا أكثر . ولم نزل فى ذلك السؤال بدون جواب صريح منكم . ولا يكفى التهويل و لا يفيد الفرار من الجواب

ولست مطراناً ولا كردينالا من رؤساء الكثلكة الذين اشرتم اليهم فى ردكم وتصرحون بأنى لست منهم وتحمدون الله على ذلك ولكنكم تخاطبونى بصاحب نيافة تهكماً وهزءاً فأشكر لكم لطفكم على هذا اللقب الوهمى الذى أوليتمونى إياه من فضلكم وأنا لا أستحقه و لا أريده قط و لا أقول ياليتنى أكون هكذا . فمقبول « وكل ما يأتيك من المحبوب محبوب »

ولست أيضاً من الذين أشرتم اليهم استخفافاً بهم بقبولهم سخافات وبينهم غفرانات وتمسكهم بخرافات وتعاليم باطلة قد أدخلها رؤساء الأديان المختلفة لما ترب شخصية

ومنافع مادية ولتغرير رياسة وسيادة . بل أقول ببطلانها ولا أسلم إلا بأقوال الله حسب الوحى الالهى لانبيائه الملهمين ورسله المكرمين

حضرتكم

أنتم حضرة اسمعيل بك مظهر من أهالى مصر الكاتب الاجتماعي الفذ والمؤلف البارع الشهير . والمترجم كتب دارون فى النشوء والارتقاء وأصل الأنواع المشهود له بطول الباع وسعة العلم والمعارف . والعصرى الحر الفكر المتساهل حتى مع الملحدين بمبدئهم كما أوضحتم فى النشر والرد . إلا من يعارض بشيء مثل القس حداد فتغتاظون منه وترشقونه كأنه استحق الرجم لأنه تجرأ على سؤالكم

أنتم مسلم يحمد الله على أنه مسلم ولكنه يمدح الالحاد ويحبذه وينشر مقالاته السمجة ويحامى عنه كأقدر محام . وبذلك يكون متعصباً أكثر منى ولكن للالحاد كما ينسب إلى التعصب للدين

وأمر مستغرب كيف يكون الانسان مسلماً حقاً ويحمد الله لأنه كذلك ويعجبه الالحاد . ويساعد على نشر مقالاته وفى هجماته على كتب مقدسة . وإذا اعترض أحد الدينيين يقوم عليه بحدة شديدة واستخفاف

— ٩ — سعادة الملحد

قلتم فى ردكم « فما قول القس حداد فى أن الملحد الذى يلحد عن ايمان وعقيدة ينال من هدوء النفس ما ينال المؤمن المسلم بكل شيء تسليم ايمان ... فلماذا لا يكون الالحاد بدوره ديناً ككل الأديان ولماذا يستحق الملحدون احتقار القس حداد وأمثاله . وقد يجوز أن يكونوا أكثر اطمئناناً وسعادة بالحادهم من القس حداد بايمانه »

وهذا استنتاج عظيم . ومتى احتقر القس حداد الملحدين أمامكم . ومن افترى أولا . وما هو ايمان الملحد وبماذا يؤمن بغير ما يشاهد عياناً ؟ وهذا ليس بايمان ولا عقيدة . ولا يكون الالحاد ديناً وهو عدم الدين وهكذا فلا تنكر أنه يجوز أن يكون الملحدون فى اطمئنان وسعادة بالحادهم أكثر منا كما تفضلتم . وكذا فالحيوانات باطمئنان كلى أيضاً والمجانين أيضاً . وغير خفى على حضرتكم ان الخمرة والحشيش والمخدرات تنيل شاربيها لذة وكيفاً وسعادة أيضاً ولكن كله وقتى وفى بعض الساعات دون غيرها

وفى حياتهم الحاضرة فقط. وهنيئاً لهؤلاء الملحدين بهذه السعادة التى يعقبها الموت والعذاب. وتكون التعاسة أفضل لهم منها حين يقفون أمام الديان العادل الذى كفروا به للمحاسبة. وهذا رأينا بحسب اعتقادنا ولا نلزم أحداً به . « وويل للكافرين من عذاب شديد الذين يستحبون الحياة الدنيا على الآخرة ويصدون عن سبيل الله ويبغونها عوجا أولئك فى ضلال بعيد » سورة ابراهيم. وفى الدين وحده راحة الفكر وطمأنينة النفس وسلام القلب دائماً فى الدنيا والآخرة

— ١٠ — ثبات الكتب المقدسة

قد أعجبتكم مقالة الألحاد « الكتب المقدسة فى الميزان فنشرتموها فى عدد ١٩ : مارس سنة ٢٩ من المجلة وقلتم فى ردكم « لخصنا فيه أراء شارلس سميث رئيس جمعية نشر الالحاد فى أميركا . وماذا يعنى القس حداد أن يكون للمجلة جولة فى أبحاث حرة تتناول الدين فى أطرافها أو أن تكون مجلة ملحدة لاتؤمن بشىء » . أقول ظننتم أن تحصل فوائد جمة للقراء منها . ولذلك لخصتموها فجاءت منشورة بعد تلخيصها فى عشر صفحات بقطع المجلة الكبير وبحرف صغير فى تلك الجولة وكلها طعن . وكيف لوجالت المجلة جولات عدة . لكن المقالة بتوقيع بندلى البيلونى مترجمها من سانبولو . وليس بتلخيص محرر مجلة العصور الغراء.

ولم يعرف كم صفحة كانت المقالة لو نشرت بدون تلخيص . ولا بد كانت المنافع منها أكثر لخدمة الأنسانية وفائدة القراء من النشء العصرى . وياويل الأديان وأصحابها إذ ذاك . ولكنكم ترفقتم وخففتم الوطأة عليهم بهذا التلخيص إذ قلت الاضرار بنوع مافى هذه الكتب المقدسة التى اعترض عليها كثيراً منذ انزالها إلى الآن ولم يزل يعترض عليها أيضاً من ملحدين وطبيعيين وغيرهم . ولكن لم يحصل لها أقل تزعزع بل هى ثابتة كالصخر المتين ومقبولة ومنتشرة فى كل لغات العالم الكثيرة وفى جميع ممالك الأرض . وتوزع النسخ منها بالملايين سنوياً .

وقد اهتدى بها ألوف الملايين من البشر واستناروا وتجددوا ورجعوا عن الشرور والرذايل إلى حياة التقوى والفضيلة والصلاح والاخلاق الفضلى وتطوروا من ذئاب خاطفة إلى حملان وديعة . ولم يعمل الالحاد وأصحابه أقل شىء من الفوائد الحسنة فى كل أطواره وفى جمعياته منذ القديم ولحد الآن

— ١١ — رجال الدين

رجال الدين هم الذين حفظوا الكتب العلمية فى الاجيال الماضية وحافظوا على العلوم والفنون . والفلاسفة الذين أخذت الفلسفة عنهم من اليونان وغيرها ما كانوا ملحدين وبلادين ومعبودات الامن ندر منهم

ولو لا الأديان الأهلية لما انتشرت العلوم فى البلدان العديدة قبلا ولافتحت المدارس وتشيدت المعاهد والكليات والجامعات والملاجىء الخ. ولما ارتقى الغرب من الهمجية . ولا تخلص الشرق من نير الوثنية الثقيل ولبقى الجميع فى الجهل والغباوة

والدين هو الذى فعل فرق المجتمعات البشرية ولم يزل يفعل . وتعلمون كيف كانت حالة العرب وأفريقيا قبل انتشار الدين الأسلامى . وكيف كانت همجية الغرب قبل اعتناق شعوبه الدين المسيحي . الدين هو سبب الحضارة الحقة والثقافة العظمى والتمدن الصحيح . ولكن جزاءه من الملحدين والعلماء العصريين الذين تخرجوا من كلياته وجامعاته نكران الجميل . و رحم الله من قال بعد تعليمه

وكم علمته نظم القوافى ... فلما قال قافيـــة هجانى

و فى جواب أحد الأسئلة قلتم . فماهو دخل الدين فى النظام الاجتماعى . ولكى تؤيدهذا القول بالمشاهدة ندعو القس حدادا أن يذهب الى جزائر تاهيتى أو جزائر أرض النار أو مجاهل استراليا ليرى بعينى رأسه أقواما لا دين لهم على وجه التقريب ومع كل هذا فان لهم من القوانين (العادات) ما يقوم عليه نظامهم الاجتماعى،

أقول ان هؤلاء لا يحسبون ملحدين ولا يفهمون ما هو الالحاد . وليسوا بلادين بالكلية . والانسان بالفطرة ديني حتى ان البرابرة لهم دين بحسب معرفتهم ولو ذهب مبشر إلى أولئك الناس وبشرهم بالدين الالهى لقبلوه بكل سهولة . و عرفوا الخالق علة وجودهم وآمنوا به . ولكن إذا ذهب دعاة الالحاد إلى آكلة لحوم البشر فى بعض الجزائر و بشروهم بالحادهم فماذا ينتج من ذلك ؟ أيصير تمدن و رقى واصلاح فى أخلاقهم وعوائدهم الرديئة الوحشية كما ينتج من الدين . أو إذا أرسلتم اليهم تلك المقالة التى يقصد بها أبطال الكتب المقدسة فماذا تكون النتيجة من تلك البشارة وأية سعادة يحصلون عليها من ذلك ؟

الختام

ان كنتم كررتم اسمى بردكم على القس حدادوهو واحد لاأكثر . وتذكرونه تارة كمخاطب موجهين الكلام اليه وتارة كغائب هزءاً به وتخاطبون القراء متظلمين منى وتشكونى اليهم فارين من المجاوبة على سؤالي الذى أغاظكم . وتارة كصاحب نيافة للتهكم فهذا كله لا يغيظنى لأنه لا يحسب قوة برهان ولا عظيم حجة للاقناع . بل وان ازددتم أكثر لا أغتاظ . وأحيل الحكم بيننا إلى قراء المجلة الكرام وإلى علماء الاسلام الأفاضل الذين أنتم واحد منهم وإلى الرأى العام ليحكموا بعد اطلاعهم على كتابى المفتوح اليكم وردكم عليه وعلى ردى هذا وعلى ما ترون كما تشاؤن أيضاً

وبعد ذلك فلينظروا فى أنه هل يحق لمسلم يؤمن بالله وبما أنزل منه أن ينشر مقالة ملحدين على رؤوس الملأ فى مجلته الراقية التى شعارها « انتقادية فى الأدب والعلم والسياسة » فقط ليقرأها المشتركون فى المجلة وغيرهم من كل طائفة ؟ . وهل تلك المقالة أدبية أو علمية أو سياسية ؟ . وهل حرية فكر الصحافى الراقى تجيز له أن يوصل طعن الملحدين فى الكتب المقدسة لاصحابها وهو مسلم ؟ . وهل أن آداب الصحافة الحرة ومكارم الاخلاق توافق على نشر تحقير فى الكتب السماوية وفى صعود المسيح الذى يؤمن به جميع المسلمين أنه من روح الله وتأيد بالروح القدس وبأنه وجيه فى الدنيا والآخرة . ويشهد القرآن الشريف بذلك ويثبت صعوده بقول الله له « انى متوفيك ورافعك الى ومطهرك من الذين كفروا وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا (بك) الى يوم القيامة » سورة آل عمران وكذا القول « وسلام على يوم ولدت ويوم أموت ويوم أبعث حيا » سورة مريم

ومنذ الف وتسعمائة سنة يعيد مئات الملايين من جميع الطوائف المسيحية لهذا الصعود سنويا ولا يظن بأن مسلما يرضى بهذا التحقير المار ذكره وبتكذيب الكتب المقدسة التى هى نور وهدى للعالمين

وختاما أطلب اليكم بحق حرية النشر وحرية الفكر أن تنشروا ردى هذا فى مجلة

العصور الغراء كما هو بحروفه تماما ولو كان طويلا (١) لانه آخر رد مني واكتفى ولا أزيد ولو رددتم مهما رددتم . وأنتظر من لطفكم وشهامتكم أن تفعلوا ولكم مزيد الفضل والشكر سلفاً والسلام

القس

بيت جالا فلسطين فى ٣ تموز سنة ٩٢

اسكندر حداد

العصور — نشرنا المقال السابق عملا بحرية النشر ونترك للقراء الحكم عليه بعد أن يرجعوا إلى سؤال القس حداد ورددنا عليه . ولا يفوتنا أن ننبه القراء أننا ما نشرنا المقال على علاته بل أصلحنا فيه أكثر من مائة غلطة لغوية ونحوية وعجزنا عن اصلاح الاسلوب. وكذلك نسأل القس حداد سؤال واحد . فهو يقول فى أول المقال أن حرية الفكر لا تحتقر الاديان — ونحن نسائله : وهل تحتقر الاديان حرية الفكر ؟

---

(١) ومن الممكن نشره فى غير مجلة العصور

اطلب من دار العصور للطبع والنشر

ومن جميع المكاتب المعروفة

مؤلفات معضلات المدنية الحديثة

ومقالات أخرى

بقلم

اسماعيل مظهر

النقد والتأليف

١ - مرجريت أوغادة الكميليا

نقلها عن الفرنسوية الدكتور احمد زكى ونشرتها لجنة التأليف والترجمة والنشر مطبوعة فى مطبعة الاعتماد طبعة ثانية — ١٩٢٩ — فى ٢٧٨ صفحة من القطع الكبير ومصدرة بمقدمة من قلم الدكتور منصور فهمى

تنظر فى الصفحة الأولى فتهيجك الذكرى الى حوادث قرأتها وأنت صغير إن كنت بلغت الاربعين مثلى . أما اذا كنت لاتزال فتى فى مقتبل العمر، فتتوقع انك سوف تقرأ شيئاً يلذ لك أن تقرأه. لان رواية تطبعها لجنة التأليف والترجمة والنشر، بعد ان يقرها أعضاء اللجنة وهم من تعرف من الاساتذة والادباء ، لابد من أن يكون فيها من المتعة الادبية مايرضيك .

غير انك لا تقلب هذه الصفحة وتمر عينك على « بسم الله الرحمن الرحيم » ثم كلمة « المقدمة » الا وتقع على هذا السطر الطويل المكتوب بحروف الرقعة الضخام واليك هو :

« بقلم الفيلسوف الكاتب الدكتور منصور فهمى »

فلا تلبث أن تقول فى نفسك « سبحان واهب الالقاب » !!! أو « سبحان فرضى العالم » .

وقديماً قرأت مقالا للمرحوم المنفلوطى تحت عنوان « خداع العناوين » محصله أن للعناوين خداعا وان لها أثراً نفسياً شديداً . ولقد أنحى المرحوم المنفلوطى على من يتخذون خداع العناوين ذريعة لرواج البضاعة . وفكرت طويلا فى هذا السطر ثم فى ذلك العنوان ثم قلت « خداع العناوين » فى الماضى انقلب فى هذا الزمان فصار « خداع الالقاب » . ثم قلت ان هذا على كل حال لا يليق بلجنة التأليف والترجمة والنشر ، ولعلها سقطة ليس للجنة فيها من يد . فقد جرت العادة فى هذه الأيام أن

يرسل صاحب الكتاب الى الصحيفة او المجلة كتابه مصحوباً بتقريظ ينشر من غير أن يراه محرر المجلة أو رئيس تحرير الجريدة : وربما تكون العدوى قد سرت الى المقدمات . فترسل المقدمة مع اسم صاحبها وألقابه . ويصبح نزع لقب من الالقاب جريمة لا تغتفر .

ثم تنتقل الى الرواية ذاتها فتقع على اسلوب من السهل الممتنع قد ملىء جمالا وزاده انتقاء الالفاظ روعة ، فكان فى أول الرواية كما هو فى آخرها صورة صحيحة لمقدرة الكاتب وتضلعه من اللغتين المنقول عنها والمنقول إليها . فاذا أضفت الى هذا الامانة فى النقل والمحافظة على المعانى الاصلية التى ارادها « دوماس » ، وعرفت فوق ذلك ان الكاتب كثيراً ما ضحى باللفظ فى سبيل المعنى ، وذلك قليل فى الرواية لحسن الحظ ، كما أنه دليل ساطع على مقدرة المترجم ، لم يكن لديك بعد هذا ما تقول فى نقد هذه الترجمة الفذة التى جاءت ، كما قال حافظ ابراهيم ، كالحسناء وخيالها فى المرآة » .

اما إذا أردت على صحة مذهبي فى اسلوب الرواية وترجمتها من دليل فاقرأ القطعة الآتية ! وهى من كلام مرجريت لدوفال

— « انه الحق . انا معاشر المخلوقات الموكلات الى الاقدار ، لنا من الاهواء أعاجيب ومن الحب صنوف لا يتصورها انسان . طوراً نهب أنفسنا لأمر وتارة نهبها لغيره . ومن الناس من يفلس نفسه ولا ينال منا قليل شيء ، ومن الناس من ينالنا أجمع بباقة زهر . قلوبنا بها أهواء هى وحدها معاذيرها . وقسماً لقد وهبتك نفسى أسرع مما وهبتها لأحد غيرك . ولم ؟ لانك وجدتني أبصق الدم فأخذت بيدى لانك بكيتني ، لانك المخلوق الوحيد الذى رحمني . لا بأس عليك من السخافة التى سأذكر . كان لى فى زماني جرو كان يلحظني لحظ الحزين عند ما أسعل فهذا من الخلق أجمع من أخال أني أحببته . ولما مات بكيته فوق ما بكيت أمى . لست انكر انه عاش معى اثنتى عشرة سنة من حياته . والآن قد أحببتك سريعاً قدر ما أحببت كلبي هذا — ألا لو عرف الناس ما وراء دمعة تسيل ، لكانوا أسرع فى الدخول الى قلوبنا مما هم وكنا أبطأ فى إخرابهم مما نحن » . . . .

واستطردت مرجريت

ـــ ، وبعد فقد كنت الوحيد الذى حسبته يستطيع فهم آرائى وأقوالى سريعاً اذا أنا فكرت صريحا أو تكلمت بلا كلفة . على حين أن من يلتفون حول فتاة مثلى لا يفوتهم ان يمعنوا فى كل كلمة تفوه بها و يستنتجوا اعقد الامور من أتفه أقوالها . نحن بالطبع ليس لنا أصدقاء ، بل أحباب انانيون ينفقون اموالهم علينا كما يدعون . ولكن على اهوائهم . وهم لا يرضيهم منا الا ان نظهر بابتهاج إن كانوا مبتهجين ، او بالصحة والشهية ان كان العشاء معنا ، والا نظهر بالشك مثلهم فى كل قضية وحقيقة من حقائق الكون وقضاياه . ونحن غير مأذون لنا فى أن يكون لنا عاطفة او بقية من قلب . ومن اذن لنفسه منا بشىء من ذلك فسرعان ما تضيع الثقة فيه ويطارد بالصياح خلفه والنباح . لم نعد بعد ملكا لانفسنا . لسنا من الاحياء ، ولكنا من الاشياء . اذا تولى الناس حب ذواتهم و ملكتهم سورة شهواتهم ، وضعونا فى المكان الاسمى و الذروة العليا ، حتى إذا جاءت ساعة التوقير والاحترام . فلنا المكان الاسفل والمرتبة الدنيا ، الخ .

ولعلى أكون قد اخترت على هواى أيها القارىء . فارجع إلى الاصل لترضى نزعتك بما يلائم هواك ، وأنا الكفيل بأنك سوف تقع على بغيتك . وان بلغت بك غرائب النزعات مبالغها القصوى .

٢ ـ سفر التكوين

بحث نظرى فلسفى تشريحى لبيان من هو كاتب هذا السفر ؟ الذى هو أقدم سفر تاريخى فى العالم والغاية من كتابته . تأليف الاستاذ جبر ضومط ب. ع. م. ع. بالجامعة الاميركانية فى بيروت . أخرجته مطابع قوزما فى ٦٤ صفحة من القطع الكبير . والعناية ظاهرة فيه من كل ناحية .

يحاول الاستاذ الكبير جبر ضومط أن يثبت بهذا الكتيب ، على حد قوله فى اهدائه الينا ، ان كاتب سفر التكوين هو يوسف الصديق ابن عم موسى وابن يعقوب ـــ اسرائيل ـــ عليهم السلام . على أنه إذا صح ما يذهب اليه النقاد من ان ذكر وفاة موسى ووصف دفنه من أسفار التوراة دليل قاطع على أن موسى لم يكتب هذه

الاسفار ، صح لدينا أيضا أن ذكر وفاة يوسف فى آخر سفر التكوين دليل على أن السفر لم يكتبه يوسف .

جاء فى آخر سفر التكوين اصحاح ٥٠ : ٢٢ إلى ٢٦ ما يلى :

«وسكن يوسف فى مصر هو وبيت أبيه . وعاش يوسف مائة وعشر سنين . ورأى الأفرايم أولاد الجيل الثالث . وأولاد ماكير بن منسى أيضا ولدوا على ركبتى يوسف. وقال يوسف لاخوته أنا أموت . ولكن الله سيفتقدكم ويصعدكم من هذه الارض إلى الارض التى خلف لابرهيم واسحاق ويعقوب . واستحلف يوسف بني اسرائيل قائلا الله سيفتقدكم فتصعدون عظامى من هنا . ثم مات يوسف وهو ابن مئة وعشر سنين . فحنطوه ووضع فى تابوت فى مصر» . . . وهنا ينتهي سفر التكوين.

ولا جرم أن من أصعب الصعاب أن نحقق تاريخيا أو اخباريا على حد قول الاستاذ الكرملى — ما يختفي وراء مثل هذه النصوص الصريحة من الوقائع الصحيحة . فاذا كان كل ما فى سفر التكوين سياق واحد فى قصة ابراهيم وأولاد ابراهيم من أبناء العبرانيات لا من أبناء الاماء كما يذهب الاستاذ ضومط ليكون دليلا على ان اهتمام يوسف وجه الى جده الاكبر ابراهيم وأولاده الذين انحدر منهم يوسف، وان هذا دليل على أن يوسف كتب هذا السفر ؛ فلماذا يقتصر الدليل على يوسف ولا يتعدى إلى موسى ، ما دام لموسى فى ابراهيم جدهما الأكبر من الحق بقدر ما لموسى ، وما دام أن موسى ويوسف نبيان ، أو «بطريقان» على حد قول الاستاذ ، وأن ما يشير اليه أحدهما فى سفر التكوين جائز أن يكون فخراً للاخير كما هو فخر للاول ، وان الاحتفاظ بسيرة ابراهيم وأولاده من العبرانيات كاملة ظاهرة جلية، تفيد يوسف كما تفيد موسى؟

على انى والحق يقال قد أعجبت على الرغم من اكبابى على درس سفر التكوين على الاخص وبقية اسفار التوراة على وجه العموم ، بكثير من الملاحظات التى أدلى بها الاستاذ ، والبراهين التى أيد بها مذهبه . فانها ملاحظات وبراهين قد فاتنى الكثير منها ، وكان كتاب الاستاذ أول حافز لى على مراجعتى لها واعادة درسها فى ضوء أقواله الجديدة .

هذا ما أرى فى هذا الكتيب الصغير . غير أنه لا يجدر بى أن أترك الكلام فيه من غير أن أشير إلى نقد للكتاب ظهر فى مجلة « لغة العرب » للاستاذ الكرملى ببغداد وهى مجلة لها فى نفسى كبير الاحترام . فبعد أن شرح مرمى الكاتب وبعد أن وجه اليه بعض الانتقادات اللغوية والنحوية قال :

« وهناك عدة أدلة تنقض ما جاء فى هذا الكتاب لا محل لذكرها هنا إذ ليس هذا البحث من موضوعات مجلتنا ، فنطلب من حضرة الاستاذ المعذرة »

ونحن نتساءل — إذا لم يكن هذا موضع سرد هذه الادلة التى تنقض ما جاء فى الكتاب . فأين موضعها ؟

ثم جاء فى ذلك النقد بعد ذلك ما يلى :

« أما عبارة هذا التصنيف فركيكة . وما كنا نتصور أنها تصدر من قلم الصديق لكثرة ما فيها من الاوهام وقد لا يرتكبها الطلبة ، فكيف به وهو أستاذ الاساتذة »

والحقيقة أن هذه الجمل لا يحسن أن تصدر عن مجلة كلغة العرب فى حق زميل لصاحبها الاستاذ ضومط . وكان من الواجب أن يراعى الكاتب ظروف الاستاذ وسنه وطول جهاده المبرور فى سبيل اللغة وأهل اللغة . على أنه مما يسلينى أن للغة العرب فى رد الالفاظ الى أصولها المنحوتة عنها أوهام لو أردنا عدها لفاتت الحصر .

٣ ـ ابراهيم باشا فى سوريا

هو تاريخ بدء النهضة الحديثة فى الشرق الادنى وأحوال سوريا فى عهد محمد على وثورات السوريين ودروز حوران على حكومته وصفحة من تاريخ المسألة الشرقية ومطامع دول أوربا فى البلاد العثمانية . تأليف الاستاذ سليمان أبو عز الدين طبع ببيروت فى المطبعة العلمية ليوسف صادر — ١٩٢٩ — فى ٣٤٤ صفحة من القطع الكبير حسن الطبع والورق .

يمتاز هذا الكتاب بطلاوة أسلوبه ، حتى انك لا تستطيع أن تميزه عن اخص الاساليب المصرية البسيطة الجميلة ، لو لم يقع نظرك على أنه صادر عن بيروت وعن أديب سورى بحت ، أمعن فى البحث واستقصى الموضوع من كثير من أطرافه الهامة

التى تخرج الكتاب سفراً تاريخيا طريفا فى الفتح المصرى لسوريا فى عهد محمد على وما ترتب عليه من النتائج الاجتماعية والسياسية

وأخص ما يمتاز به هذا الكتاب أنه أظهر بجلاء ووضوح النتائج الاجتماعية الاصلاحية التى يتحتم على شعب غاز أن يأخذ بأسبابها اذا ما أزمع غزو أمة مجاورة له . وهذه ميزة قلما تجدها فى كتاب من الكتب التى اختصت بالكلام فى تاريخ الفتح المصرى لسوريا فى عهد محمد على وابنه ابراهيم ، فلقد أوضح الكاتب ببراعة فائقة أن الفتح السورى كما كان نصراً حربيا كان خذلانا سياسيا لمصر فى سوريا . وبمثل هذه المهارة اظهر الكاتب ما جنت مصر من ضروب الاصلاح الاجتماعى لتكون على الاقل قادرة على القبض على زمام الحالة فى سوريا — التى كانت تجعل مهمة الفاتح والحاكم محفوفة بالمشقات لاختلاف نزعات السكان وصعوبة مراسهم ووعورة المسالك وانتشار النظام الاقطاعى ولكثرة المتغلبين واصحاب الامتيازات المحلية . والامتيازات المحلية لم تأت أصحابها عفواً بل نشأت فى أكثر الاحوال عن أسباب وضرورات كانت مبررة لوجودها عند نشوئها ، كقيام أصحابها بنصرة حزب أو مبدإ أو عجز الدولة عن حماية أرواحهم وأموالهم واضطرارهم للذود عن حياتهم بسلاحهم . وعلى كل حال فان من تمتع بحق ما ردحا من الدهر لا يهون عليه التنازل عنه بدون عوض مهما كان منشؤه ولا يصبر على سلبه منه فوراً وبدون مقاومة . كما أن الحاكم القادر لا يسمح بقيام مملكة فى وسط مملكة . وثبات الملك وانصاف المحكومين يستوجبان نفوذ سلطة الحاكم ومساواة الرعايا فى الغنم كحماية الارواح والحقوق ، وفى الغرم كالتجنيد ودفع الضرائب . ولا سبيل الى بلوغ هذه الغايات إلا اذا كان شعار الحكومة الحكمة والعدل واهتمامها موجه الى اسعاد الرعية وتوطيد دعائم العمران والأمن وكانت لديها قوة يرهبها ويحترمها المحكومون — هذا مثال من الكتاب وهو كاف عندى لتعريف القراء بماهيته .

وقد صدر المؤلف الكتاب بمقدمة وجيزة بين بها الغرض من الكتاب والاسلوب الذى اتبع فى تأليفه ، وكذلك أثبت فيه أسماء كل الكتب التى رجع اليها فى توليفه . كما أتم فائدته بكثير من الخرائط والرسوم التاريخية وصور المشهورين

فى تلك الحوادث ، والكتاب ككل تأليف ينشد الحق و الحقيقة يختتم بعبارة ملؤها العظة التاريخية إذ يظهر لك كيف غرم الشرق وغنم الغرب

٤ــعقد الايجار

هذا الكتاب حلقة من شرح القانون المدنى فى العقود وهو خاص بايجار الأشياء تأليف الأستاذ عبد الرزاق أحمد السنهورى دكتور فى العلوم القانونية والاقتصادية والسياسية ودبلوميه من معهد العلوم الدولية بجامعة باريس ومدرس القانون المدنى بكلية الحقوق . نشرته لجنة التأليف والترجمة والنشر ــ١٩٢٩ــ مطبوعاً طبعاً أنيقاً فى مطبعة دار الكتب على ورق جيد فبلغت صفحاته ٧٠٠ صفحة من القطع الكبير

لقد تكونت لدينا بالفعل مكتبة قانونية حديثة نادرة المثال فى كل الأمم التي تنطبق بالضاد وهذا الأمر يكاد يكون الأساس الوحيد الذى يقوم عليه التقدم فى ناحية من أهم نواحى الاصلاح المدنى المنشود ، بل انه قاعدة من قواعد الحضارة التى نريد أن نقيمها فتكون مصرية بحتة فى ثوب حديث . ولقد ساعد على اظهار هذه التواليف فى هذا العصر أمران : أولهما علاقة مصر بالقانون الفرنسوى و بعلماء فرنسويين منذ سنين عديدة لا يقل مداها عن ثلاثة أجيال : وثانيهما مرونة فى اللغة العربية وسعت كل المصطلحات القانونية ، حتى لقد أخبرنى أحد المتضلعين من القانون الفرنسوى يوما انه يرى ان اللغة العربية من أخصب اللغات فى المصطلحات القانونية وانها من أطوع اللغات على التعبير عن المعانى القانونية الدقيقة .

ونحن نكتفى هنا بنقل تصدير الكتاب وقد نشر تحت عنوان « كلمة افتتاحية » تثبتها بنصها لانها خير وسيلة نعرف بها الكتاب للقراء مادمنا نتحاشى النقد فى موضوع لا علم لنا به . قال الكاتب :

« هذا كتاب فى الايجار أخرجته وأنا أول من يحس مواضع النقص فيه ، وقد سلخت فى تأليفه زهاء ثلاثة أعوام ، ولم يصح عزمى على اخراجه الا بعد ما قدرت انه يسد فراغا ، ايا كان مبلغ التوفيق فى وضعه ، فقد ظهرت كتب قيمة فى شرح

معظم اجزاء القانون المدنى المصرى ، ولم يكد يبقى الا الايجار بنوعيه : إيجار الاشياء وإيجار العمل . فتوليت فى هذا الكتاب شرح إيجار الاشياء ، مستبقياً مايسمى « بايجار العمل » الى مؤلف آخر وعندى لذلك سببان :

(أولهما) انى فضلت أن أخص بكتاب كل عقد من هذين العقدين ، حتى يتسع المجال لشىء من الاسهاب والتفصيل ومقارنة الشرائع ، وحتى لا يقتصر البحث على الوجهة العلمية . بل يتناول الناحية العملية أيضاً هذه الناحية تلمستها فى قضاء المحاكم ، فافسحت للقضاء المصرى والقضاء الفرنسى من حواشى الكتاب ، ولم أتهيب فى ذلك ان ترتفع هـذه الحواشى حتى تأكل من الصحيفة نصفها أو أكثر . فأن القانون مادة حية غذاؤها التطبيق العملى ، ولو اقتصر الأمر فيه على المنطق المحض ، ولم يلامس الحاجات العملية ، لكان علماً نظرياً ، ولأخطأ التوفيق فيما خلق من أجله . وقد كان للقضاء المختلط فى هذا الكتاب نصيب أوفر من القضاء الأهلى . ولا أدرى ان كان هذا راجعاً لنقص فى المجموعات التي تنشر أحكام المحاكم الأهلية ، أو أن المحاكم المختلطة تعنى أكثر من زميلاتها بالتبسط فى ارجاع الأحكام إلى أصولها القانونية . وأكثرت من الحواشى من الأشارة إلى المراجع التى يحتاج اليها الباحث إذا أراد التعمق فى موضوع من الموضوعات . وكذلك سجلت فيها النصوص القانونية من أهلية ومختلطة وفرنسية وشرعية . معتمداً من الشريعة الأسلامية على كتاب مرشد الحيران . »

(وثانيهما) هو أن الاتجاه العلمى الحديث لايجمع فى عنوان واحد بين إيجار الأشياء وعقد الاستصناع والعمل (إيجار العمل) لأسباب بينتها فى مقدمة هذا الكتاب . فجاريت هذا الاتجاه الحديث ، وأفردت لكل عقد كتاباً قائماً بذاته » .

« وانى أرجو أن لاتكون عثراتى فى هذا الكتاب فوق ماقدرت . وان أسد به من الفراغ القدر الذى أملت » .

ونحن ازاء هذا المجهود المشترك الكبير من جانب الاستاذ المؤلف ولجنة التأليف والترجمة والنشر . لا يسعنا الا أن نظهر اغتباطنا الشديد ببوادر هذه النهضة التى وضعت مصر فى موضع التاج من مفرق الامم الشرقية .

٥ ـ الخواطر العراب

فى النحو والاعراب

تأليف الاستاذ جبر ضومط م . ع أستاذ اللغة العربية فى المدرسة الكلية السورية الانجيلية فى بيروت . والكتاب مهدى الى المرحوم جورج بوست م . ع . د . ط د . ج . س . د . ش . وهو مطبوع فى المطبعة الأدبية سنة ١٩٢٨ — طبعة ثالثة واقعاً فى ٣٤٨ صفحة من القطع الكبير مضبوط الشواهد و بعض العبارات ضبطاً حسناً وعلى ورق جيد .

ان شهرة الاستاذ ضومط غنية عن التعريف وخدماته الجليلة للغة العربية معروفة ذائع أمرها بين الناطقين بالضاد ولا تقتصر أبحاثه على قواعد اللغة ذاتها فان له فى فلسفة اللغة جولات واسعة ، وآثار خالدة

هذا فى الاستاذ المؤلف . أما فى الكتاب نفسه ، فانا لا نستطيع ان نعرف الكتاب بأبين مما عرفه به الاستاذ نفسه فى كلمة ننقلها بحذافيرها اعترافاً بما للكتاب من قيمة و تعريفاً به على أبين صورة :

« النحو قسمان قسم مصطلحات او تسميات تضاف اليها احكام خاصة وقسم فهم و تمييز . وهذان القسمان لا ينفك احدهما عن صاحبه ولا بأس من ان نطلق على القسم الاول اسم النحو ،وعلى الثانى الاعراب وان كان علم النحو عند الاطلاق يشملهما معاً . »

« بناء على ما تقدم، فقد يراد بالنحو معرفة ما يراد بالاصطلاحات التى لا بد منها فى هذا العلم كمعرفة المعرب والمبنى والعامل والمعمول وعلامات الاعراب والبناء وماذا يلحق كل نوع منها من انواع الكلمة الثلاثة الى آخر ما هنالك فضلا عن معرفة ما يراد بتسميات خصوصية الاحوال اولاعتبارات خصوصية كالمبتدإ والخبر والفاعل ونائب الفاعل والمفعول به وفيه وله الخ وكالحال والتمييز والاستثناء والنعت والتوكيد والبدل الخ فان جميع هذه مما ذكرناه ومالم نذكره لابد لمتعلم النحو من معرفته وحفظه . »

« الا أن هذه المعرفة لوحدها قشور لا فائدة منها . ما المنفعة ايها الطالب العزيز من معرفتك حد العامل والمعمول غيباً وانت لا تميز بين الواحد منهما وصاحبه فى المركب؟ ام اية فائدة تستفيد من مجرد استظهارك غيباً ان المبتدأ قسمان والخبر اقسام وانت لا تميز المبتدأ من الخبر فى الجملة ؟ »

« ايها الاخ الاستاذ هب ان تلميذك حفظ عن ظهر قلبه (وينبغى ان يحفظ) ان المرفوعات هى المبتدا والخبر والفاعل ونائبه و. و . الخ والمنصوبات هي المفاعيل والاستثناء والحال والتمييز و . و . والمجرورات هى المجرورات بالحروف او بالاضافة على التفاصيل المذكورة فى المطولات النحوية . والمجزومات (والمنصوبات ايضا) هى الفعل المضارع على الشرائط الكثيرة المعروفة — هب حفظ كل هذه كما يحفظ — ابانا الذى فى السموات .او سورة الفاتحة — ولكنه لايستطيع ان يميز ما اذا كان هذا المرفوع مبتدأ او خبرا ولا هذا المنصوب مفعولا به اوحالا ، ولا هذا المجرور مجروراً بالاضافة او بالتبعية فما الفائدة من هذا الحفظ ؟ »

« إن من لا يستطيع ان يميز ان هذه الكلمة مثلا تستحق الرفع فيرفعها غير شاك فى حكم وتلك تستحق النصب او الجر فينصبها او يجرها كذلك ، فاولى به أن لا يتعرض لدرس هذا العلم وكد قريحته به اصلا . والاستاذ الذى لا يتطلع الى اكثر من أن يملأ ذاكرة تلميذه بحدود المعرب والمبنى والمنصرف وغير المنصرف وباقسام المبتدإ والخبر الخ فاقل ما يقال فيه انه لم يؤد امانة العلم حقها . »

« إن علم النحو اذا اقتصر فيه على مجرد الحفظ من غير إشراف على فهم او تمييز كان مصيبة وايما مصيبة على المعلم والمتعلم معاً اما إذا صحبه الفهم وبعبارة اخرى إذا اقترن بالاعراب فهو من اجل العلوم التى تعلم فى المدارس لغاية ترويض العقل وتنبيه قوتى القياس والاستنتاج لايفضله فى ذلك علم من العلوم بل هو من هذا القبيل يكاد يفضل على الرياضيات والمنطق والفلسفة العقلية معاً »

« جرب نفسك وافتح كتاباً واقرأ وضع علامات الاعراب و البناء المقتضاة لكل كلمة تقرأها فانك تشعر من نفسك ان لابد لك من ان تشغل أعلى قوالك العاقله اعنى قوتى الفهم والتمييز وقوتى القياس والاستنتاج . ثم مالم يكن فهمك صحيحاً وقياسك واستنتاجك كذلك

تكل لفظة تلفظها تؤذن بجهلك وتنم بضعف فهمك وفقر تميزك فالفهم الفهم اذن ايها الطالب العزيز والتفهيم التفهيم ايها الاخ الاستاذ . »

« ان الخواطر العراب مراد بتأليفه الفهم اكثر مما هو مراد الحفظ وإليك اطلب ايها الاخ المعلم ان توجه التفاتك الى ان يفهم تلميذك مايقرؤه وافضل محك لذلك ان يطبق القواعد على الامثلة والشواهد . فان لم يكف الموجود من هذه فاضف اليها ماتراه ملائماً حسب الحاجة . والمرجح عندى ان التلميذ اذا فهم الاحكام والضوابط النحوية حق الفهم وطبقها على ما امامه من الأمثلة والشواهد بعد ان يفهم معناها اجمالا ومعنى مفرداتها مفصلا، فتلك الشواهد والامثله ترسخ فى ذهنه وتصبح من بعض محفوظاته ايضاً. فان لم تصبح من محفوظاته فأشير عليك أيها الأخ الاستاذ ان تطالبه بحفظ معظمها إن لم يكن كلها فان هذا الحفظ من قبيل تعلم اللغة امر مقصود بالذات يتعلم له الصرف والنحو والمعانى والبيان والبديع وكل علم يتعلق بفصاحة وبلاغة بل حتي علم المنطق قد يتعلم واسطة ليتوصل بذلك الى اتقان تعلم اللغة وفهم مغازى الكلام ومراميه فتأمل . »

« اذا فهم تلاميذك أو معظمهم ايها الاخ الاستاذ مايقرؤون من الخواطر العراب حق الفهم فلا تطالبهم حالا ان يمتد بهم الفهم الى حيث هو ممتد بك ولا ان يسرعوا فى احضار مافهموه مع الاصابة التى ترضاها كما تسرع انت .فان ذلك (اى سرعة الاحضار مع الاجابة وامتداد الفهم) متوقف أما على شدة ذكاء التلميذ او على كثرة المراجعة واعمال الرؤية .وهيهات ان تجد دائما تلميذاً سريع الفطنة شديد الذكاء اذا مر به شيء انطبع على لوح ذاكرته وفهمه كما تنطبع صور المرئيات على الواح التصوير الشمسى الحساسة ثم لايعود يمحى من هناك فانك إذا طلبت ان يكون كل تلامذتك على شاكلة من وصفنا فقد طلبت شيئا يكاد يكون مستحيلا . فاقنع اذن من اغلبهم ان يفهموا ابتداء ماتفهمهم اياه وكل أمر الأحضار مع السرعة والاصابة وامتداد الفهم ،إلى الايام وكثرة المراجعة . ولا يسؤك ماتراه كثيراً من تباطىء البعض وغفلة الكثيرين عما ترى التباطؤ فيه تقصيراً والغفلة عنه ذنباً، واذكر أنا لم نكن منذ بضع سنين نفهم ما نفهه الآن ولا نحضر مانحضره بالسرعة التى تطلبها من تلامذتنا الآن . »

. قلت ان الخواطر العراب موضوع للفهم اكثر مما هو للحفظ ، وأزيدانه منظور فيه إلى تنشئة التلميذ على الاعتقاد ان علوم اللغة ومن بينها النحو هي علوم خاضعة لاحكام العقل يتصرف فيها بما يناسب المصلحة والغاية لامستعصية عليه مستبدة به وان آراء النحاة حتى المشهورين منهم إن لم تطابق المنقول عن اللغة فيما يحتاج فيه الى النقل او المعقول فيما يحتاج فيه العقل، فهي مما لا يعتد بها وحسبي من الاخ الاستاذ ان ينشىء تلامذته على الفهم في النحو كما ينشئهم على حفظ مفردات اللغة وشواهدها البليغة وان يصلح عن طريق العقل والنقل كل ما يحتاج إلى الاصلاح في الخواطر العراب وإذا تفضل إلى مطالعتي بما يراه محتاجاً الى الاصلاح أو التعديل ، كنت بغاية المنة والشكر لتفضله واختم بتقديم الشكر الجزيل لصديقي الاستاذ الفاضل داود افندي قربان على كثير من الملاحظات والاصلاحات والتعديلات التي اشار اليها في اثناء وقوفه على المسودات المقدمة للطبع كما اني اشكر الاستاذ نجيب افندي نصار على ملاحظته مسودات هذه الطبعة. والحمد لله اولا وآخراً اللهم اجعل كل اعمالنا خالصة لوجهك الكريم وقنا شر انفسنا وارحنا برحمتك انك ارحم الراحمين وخير المسؤلين آمين . »

٦ — العدل الآلهي

واين اثره في المخلوقات

تأليف الاستاذ حسن حسين يقع في ٨٨ صفحة من القطع الكبير مطبوع في مطبعة المقتطف والمقطم طبعاً حسناً وعلى ورق جيد

بدأ المقدمة بهذه الكلمات :

(١) « ما كل ما يعرف يقال ولا كل ما يقال جاء أوانه ولا كل ما جاء أوانه حضر أهله » الامام علي

(٢) « ليس في العالم شيء هو خير بذاته ولا شيء هو شر بذاته ، بل بالوضع . وقد ينقلب الخير شراً والشر خيراً ، فلا تكون هنالك حقيقة » ارسطو

(٣) « فاما الزبد فيذهب جفاء واما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض » قرآن كريم

يهتم الاستاذ حسن حسين بالبحث فى الغيبيات ، بل وفى اكثر مباحث الغيبيات. التواء وتعسراً على الفهم . فمسألة العدل الآلهى والبحث عن اثره فى المخلوقات من تلك الابحاث التى يجد فيها لذة ويكب عليها كل اكباب .

ولقد بحث كثيرا فى مسألة الأرواح ونقل مذهب يوجا الهندى وهو مذهب قائم على الروحانيات الصرفة ، وليس للعمليات بالمعنى العلمى فيه اقل اثر . بل كل ما فيه من العمليات تمرينات رياضية يعتقد اصحاب المذهب أنها مفيدة فى تزكية الروح مؤدية بها الى الخلاص من سجن البدن الكثيف .

وتتجلى هذه النزعة فى مؤلف العدل الآلهى فى برهانه الذى يقيمه على وجود الله . فانه ينزع الى برهان اهل الباطن ، وذلك البرهان الذى لا يمكن أن يقتنع به الا الشخص الذى يتجلى له هذا البرهان فى أخذة من الاخذات النفسية التى يعتقد اهل الباطن انها من البراهين التى لا تنقض . ولكنه على اية حال برهان لا يمكن أن يقتنع به احد من طريق التدليل لانه لا دليل عليه الا دعوى صاحبه . قال فى ص ٤ ، ٥ ما يلى :

« والحق أننا بحاجة الى حاسة أخرى (غير الحواس الخمس التى هى عماد العلم بالضرورة) ليست لنا الآن ولا نبلغها الا بعد ان يبلغ روحنا درجة النقاء من غواشى المادة وما علق بها من خلق وصفات مكتسبة »

« نقول : وانما نحن نستطيع ان نستدل على صفات ضرورية فى الله جل شأنه ! — من مقدمة برهان وجود — واجب الوجود — مطلقا ، ويجب أن تكون هذه الصفات القدسية او الكمالات ! ! ! — محور الدائرة فى كل دين من الاديان »!!!!!

أما النتيجة التى يصل اليها فى اثبات وجود الله فهي ما يلى :

« اندمج فى حسك وآنس الى نفسك ، بعيداً عن كل ضوضاء أو خيلاء ، فى وحدة وسكون — هنا لك وانت منسجم مستسلم — تشعر بميل غريزى يجتذبك نحو الحق — وتحس بانه يحقق لك وجوده دون حاجة الى تدليل أو برهنة »

وهذا ولا شك دليل أهل الباطن . بل يعترف المؤلف أنه ليس بدليل ولا برهان بل تجربة دينية يقتنع بها مجربها اقتناعاً شخصياً بل تراه بعيداً عن طريقة البرهنة اتبعها ديكارت والادلة التى أقامها « بيتى كروزيار » المعروف . ذلك لان الاول ينهج طريق المنطق ، والثانى طريق التدليل بالسببية .

فاذا رجعت الى الابحاث النفسية الحديثة لتعرف ما هذا « الانسجام والاستسلام » من قيمة فى اقامة دليل يمكن ان يكون له أثر فى اثبات وجود الله أو شىء من الغيبيات، وقرأت الفصول القيمة الخالدة التى عقدها الاستاذ الكبير « وليم جيمس » فى كتابه Varieties of Relijious Experience فهنا لك تعرف أن قيام الحالات النفسية التى يباشرها أهل الباطن كلها حالات غير طبيعية بل هى عبارة عن أعمال جسمانية تحدث حالات نفسية يخيل لمباشريها أنها حق بل أنها الحق ، وهى لدى البحث النفسى الدقيق ليست سوى حالة نفسية ناشئة عن نظام جسمانى

اما الامثال التى ضربها (ص ٥) فى أن الكون دليل على وجود الله كقوله إن الساعة المضبوطة فى صحراء اذا عثر عليها عابر سبيل تكون عنده دليلا على وجود صانع لها حكيم مدبر ، فامثال تقود الباحث الى القول بان الله ليس أكثر من فرض ضرورى. وهذا ما قال به « كروزيار » ولا جرم ان هذا بعيد كل البعد عن ان يقبله رجل من أهل الباطن الذى يلجأ المؤلف الى برهانهم فى وجود الله .

ومما يدلك على ان المؤلف ينزع الى براهين أهل المنطق أكثر من نزوعه الى برهان أهل الباطن . وأنه لم يقل ببرهان أهل الباطن الا استسلاماً للفكرة الاصلية التي أراد أن يبثها فى تضاعيف الكتاب ،انه عاد فى (ص ٢٢) فعقد فصلا قصيراً تحت عنوان « فكرة وجود الله » . فكان الله فى هذا الفصل ليس أكثر من « فكرة » قد يكون لها حقيقة وقد لا يكون لها حقيقة البتة . شأن كل فكرة من الفكرات الأنسانية قال : —

« نقول : ان المقبول عقلا والمألوف المعروف انه لابد لكل معلول من علة ولكل مسبب من سبب. انما عظمة العلة وقوتها وأهميتها — تكون بمقدار عظمة وقوة وأهمية المعلول — ولو كانت العلة خفية غير ظاهرة — فما كان عدم ظهور العلة بمانع لوجودها ولا حائل دون فعلها وأثرها » — وهذا الكلام لا يكون صحيحاً إلا بعد أن يثبت المؤلف ببرهان قاطع أن العالم معلول أولا ! وهذا مالم يفعل المؤلف بل فرض أن العالم معلول لاغير ،مستنداً الى فكرة فى وجود الله التى يتمثلها العقل الانسانى من نظره من آثار الطبيعة

و لذلك كان موقف المؤلف ازاء العلة ، أو بالاحرى « علة العلل » فانه لم يحاول نفى هذا الاشكال الكبير ولم يبحث فى ماهية العلة . فاذا كان الله علة كاملة لايتخلف عنها معلولها ، وجب ان يوجد المعلول مع العلة وان يشاركها فى صفة القدم . فى حين أن من شروط المعلول ان يكون حادثا والا شارك العلة فى كل صفاتها حتما . وهنا تختلط العلة والمعلول اختلاطاً لايمكن الفصل بين أطرافه . وكذلك لم يبحث مشكلة الحدوث فان العالم اذا كان حادثاً ثبت أن علته كانت ناقصة (يتخلف عنها معلولها) ثم كملت فلما . كملت وجد العالم لزاماً لوجود علته عند تمام كمالها

ولقد رأينا الاستاذ المؤلف يشير الى اعتقاده بحقيقة الطوفان العام اعتقاداً يلزم صاحبه الاعتراف بان الطوفان قد عم كل الأرض واهلك كل المخلوقات . وهذا ما نقضته الابحاث الجيولوجية الحديثة نقضا تاماً صريحاً

وعلى جملة من القول فان الكتاب جدير بأن يقرأه كل باحث يريد أن يستوغل فى مثل هذه الابحاث القصية العميقة

* * *

٧ ـ اللؤلؤ المنضود

فى دفع نقود

بقلم الشيخ أمين ظاهر خير الله نشره السيد الياس روفائيل الكك أخرجته مطبعة الاجتهاد ببيروت — ١٩٢٩ — فى ١٥٢ ص من القطع الاوسط على ورق جيد وطبع أنيق

صدر الكتاب بالبيتين الآتيين

أن الحقيقة بنت البحث ما برحت مناظرات رجال العلم تبديها
فالمبتناة على التحقيق تثبتها والمبتناة عـــلى البطلان تنفيها

والكتاب مجموعة نقود فى النحو والاعراب لها فائدتها الجلى لكل المشتغلين بعلوم اللغة والآداب ، وليس لنا ان نعرف الكتاب باكثر من فاتحته التى قام فيها المؤلف

« كتب علوم العربية ضربان : الاول ماوضع للتلقين . فيورد الحقائق التى انتهى الى تقريرها العلماء بعد جهد جهيد ، ومعظمه يأتى بالأدلة لترسيخ القواعد والتمثيل

منها،والثانى ماوضع للناظرة فى تلك الحقائق فيأتى بالادلة متضاربة ليثبت الحق و يزهق الباطل،فقائدته اجزل ومركبه عسير »

« وكتابى هذا من الضرب الثانى بذلت جهدى فى أن أدون به الحقائق مؤيدة بالبينات وتصفحت اثناء جمعه كثيراً من المؤلفات النفسية فعزوت كل قول الى قائله وعينت موضع وروده ليسهل على من شاء أن يتصفحه الاطلاع عليه .ولا ريب فى ان المباحث التى محصتها المناظرة يثق مطالعها بانه يأخذ أحكامها عن ذى خبرة. والله أرجون أن يكون كتابى هذا نافعاً لمطالعيه فان » :

« مناظرة العلماء مغاص فمن غاص فيه يحوز اللآل »

« براهينها الراهنات كفلن بنيان حق ونقض محال »

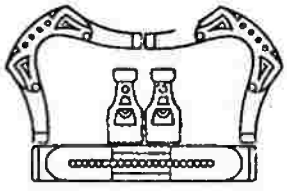

رابطة الأدب الجديد

بالقاهرة

أغراضُ الرابطة بَث رُوح التعاون والاخاء الأدبى ونشر الثقافة الحديثة ، وتوَجَّه المراسلات عنها الى حضرة سكرتيرها الأستاذ كامل كيلانى بدار « العصور » بشارع الخليج المصرى بالظاهر بالقاهرة .

بين الصحف والمجلات

قفلنا هذا الباب لان بعض اخواننا الصحفيين صرف غرضنا منه الى غير ماتوخيناه ولاننا كنا قد قصرناه على النقد وحده . واليوم نعود اليه لنجعله ميداناً نختارفيه من الصحف والمجلات مايروق،ونتقد مالا نوافق عليه، لنكون بذلك اقرب للنصفة، وانفع لقرائنا .

١ — مجلة المنار — فاتحة المجلد الثلاثين . مقالة مطولة فى ١٦ صفحة من القطع الكبير بقلم منشىء المنار السيد محمد رشيد رضا صاحب التفسير السلفى الاثرى المدنى العصرى الارشادى الاجتماعى السياسى — نفعنا الله بعلمه وارشاده : آمين .

المقال غير مهور بامضاء ولكنه استنتاجاً من قلم الاستاذ المسلم الكبير ، أحد اعضاء مؤتمر الخلافة . بل والاصبع الضاغط على أحد ازرار المؤتمر فى مصر ، لترن رناته فى جنبات مكة المكرمة .السيد محمد رشيدرضاً ، صاحب المنار وتليذ الاستاذ الامام ، عليهما من الله السلام . فالمقال فى مفتتح المنار وتصدير للسنة الثلاثين من سنى المجلة التى انفقتها فى جهادها المبرور فى مؤتمر الخلافة وامثال مؤتمر الخلافة وفى تجهيز كشوف النفقات التى بعثرت فى مؤتمر الخلافة . رحمه الله ورحم زماناً أغاثتنا فيه اليد المعروفة .اليد العليا صاحبة الحول والطول ، وثابت القول ، من مؤتمر الخلافة، وقصاع مؤتمر الخلافة ، وشيوخ مؤتمر الخلافة ، فعلى مؤتمر الخلافة الرحمة الواسعة، وللسيد محمد رشيد بن رضا السلفى الاثرى المدنى العصرى الارشادى الاجتماعى السياسى ، الصبر والسلوان .

ليت شعرى من للاسلام بعد أن انحلت روابطه ، وتصدعت قوائمه ، وعملت فيه يد الاتراك بالهدم ، وسامه الملحدون الخسف والهضم ، وضربت فيه معاول التخريب يحملها الزنادقة ، والغمت اسسه أيدى الملاحدة ، من للاسلام وقد تآمر عليه المستشرقون والشرقيون ،وتآزر عليه الساسة والكاتبون . من

للاسلام يمسك يده ، يقيم عثرته ، وينفض من التراب لمته ، الا السيد السلفى الأثرى المدنى العصرى الارشادى الاجتماعى السياسى محمد رشيد بن رضا ، وسيده عبد العزيز آل سعود ملك نجد والحجاز وملحقاتهما ، وملحقات ملحقاتهما ، وملحقات ملحقات ملحقاتهما ، الى ماشاء الله من الصحارى القاحلة ، والبوادى الماحلة ، والاركان الخراب ، التى لاينعق فيها بوم ولاغراب ، عليهما من الله السلام . والتجلة والتحية والاكرام

ولقد حفز السيد الى كتابه هذا المقال الفائض الجوانب المملوء بحرارة الايمان ما رأى من ماحل الرأى تنشره مجلات الملاحدة ، وتذيعه صحف الزنادقة ، وقد اختار من هذه المجلات وأصحابها ـ صاحب مجلة ومطبعة فى مصر معروف وفى حلب مجلة حديثة مثلها يظهر ان صاحبها مقلد ينقل اقوال اشهر الكتاب من ملاحدة مصر ، وقصائد شيخ ملاحدة العراق وامثالهم ويثنى عليهم وينوه بآرائهم ولكنه لايتجرأ على التصريح بكل مايصرحون به بامضائه . ومنهم احد محررى الجرائد اليومية المأجورين الذى كتب مقالات فى تقبيح النص فى الدستور المصرى على جعل الدين الرسمى للحكومة المصرية الاسلام ، وطلب أن تكون حكومة معطلة (لادينية) ومقالات فى سن قانون مدنى للاحوال الشخصية ، لايتقيد فيه بشىء من الاحكام الشرعية الاسلامية ، وقد كان من اركان محررى السياسة ويقال إن له صلة وعلاقة ببعض جمعيات اليهود . وأفراد هذه الطبقة لايدعون التدين ولايتعضون لوصفهم بالتعطيل بل منهم من يفتخر بذلك . . ـ وهؤلاء عند الاستاذ هم الطبقة الاولى من الملاحدة ، وقد وصفهم بقوله ـ « إنهم الذين سممتهم التربية الافرنجية ، وافسدتهم الآراء المادية ، وخنثهم الاسراف فى الشهوات البدنية » ـ وقد نسى الاستاذ ـ بيض الله وجهه وأعلى كعبه ـ أن يضم اليهم أنصارهم وأنصار أنصارهم ، وتلطف فلم ينزل عليهم اللعنة الابدية ، ولم يفصلهم عن حظيرة الاسلام ولم يطردهم من الجنة ، وهذا اقصى مايصل اليه رجل ثقفته علوم الشرع ونزهه الايمان ، عن أن يحتل مركز الديان ، فللاستاذ من هؤلاء جميعاً الشكر والمنة ، تنقلها اليه عنهم تطوعا . ومن رائق آداب الاستاذ انه لم ينعتهم بسوى انهم المسممون المخنثون . و والله إن هذا لمنتهى الكرم ، وأسمى منازل الادب

والفضيلة . كيف لا و الاستاذ من ورثة النبي العربي الامي القائل - « إنما بعثت لأتمم مكارم الاخلاق » . ؟

وما أحلى قول الاستاذ وأسمى أدبه اذ يقول :

« ومما ثبت عندنا بالخبر المستفيض ، والخبر الطويل العريض ، أن من أفراد اولئك الملاحدة دعاة للكفر ، وسعاة للصد عن الاسلام ، وأن منهم من يأخذ على ذلك جعلا من جمعيات التبشير النصرانية و منهم من يتقاضى مكافأة من بعض جماعات اليهود البلشفية أو الصهيونية ومنهم من يخدم الدول الاستعمارية و يأخذ أجره منها ، و أعظم هذه الاجور المناصب والوظائف فى البلاد المسيطرة عليها ، ومنهم من لذته فى ذلك التشبه ببعض فلاسفة الافرنج وكتابهم الاحرار والحظوة عندهم ، والثناء عليهم فى كتبهم وصحفهم وهم لايثنون إلا من كانوا عونا لهم على أقوامهم » (حفظ الله أستاذنا السيد رشيد رضا من مدحهم وحوطه برعايته) .

بل نعوذ الاستاذ برب الفلق من شر ما خلق ومن شر حاسد اذا حسد .

وقد تحفظ الاستاذ فى هذا الكلام كل تحفظ فلم يذكر اسما ولا اشار الى شخص فهو انما يناهز فكرة و يجالد مبدأ . دفاعا عن الاسلام وعن حظيرة المسلمين، حذر ان يجابهه احد هؤلاء الملاحدة وجلهم (مكشوف الوجه) بعلاقته بابن السعود الذى هدم القبور و بعثرها واغتصب الارث القديم من اولاد النبى ، وتربع على عرش الرمال يقطع مفاوزها على الصادر والوارد ، والذاهب والعائد ، و يجبي جباية ملكه من الحادى والبادى ، والرائح والغادى . خشى الاستاذ الحكيم أن يتخذ احد هؤلاء المكرة الخبثاء هذه العلاقة التي ظهر فيها الاستاذ بمظهر العبد الرقيق للسيد المطاع ، خدمة منه للاسلام والمسلمين وتطوعا للدفاع عن الدين الحنيف ، وهو يعتقد من صميم قلبه ان ابن سعود غير جدير منه بهذا الخضوع ، ذريعة لأن يلوكوا بالسنتهم ما تذيعه العامة الجهلاء عن اكياس الذهب وقناطير الفضة التى يدرها ابن سعود على المنار وصاحب المنار اجر دفاعه عنه وعن الاسلام . تعالى الاستاذ عن ذلك علواً كبيراً . وهذا لعمرى دليل واضح على أن الاستاذ قد جمع الى حكمة الدين ، لباقة السياسة التى يتطلبها العيش فى الدنيا . ابقاه الله واسعده أبد الآبدين ، ودهر الداهرين ، الى ان يرث الله الارض ومن عليها وهو خير الوارثين .

قال الاستاذ لافض فوه :

« وقد أخبرنا من خبر حالهم ، وعاشر رجالهم ، بطرق الدعوة التي يفتنون بها الشبان عن دينهم ، ولا سيما الاذكياء الفصحاء منهم ، وسنبينها فى مقال آخر . ومما بلغنا من امرهم انه لم يكن لهم نظام للدعاية الى عهد غير بعيد ثم وضعوه » — مرحى . مرحى — « ذلك من انباء الغيب نوحيه اليك وما كنت لديهم اذ اجمعوا امرهم وهم يمكرون » .

قال الاستاذ بلغه الله مناه ، وجعل الجنة مثواه :

« ولما ألفت فى مصر جمعية الشبان المسلمين ، عارضوها بتأليف (جمعية الشبان المصريين) لاجل القضاء عليها بدعاية الوطنية ، قبل ان تشب عن الطوق ، وتشب نارها ، فلا يكون لهم بها طوق ، ولكنهم لم يقاوموا جمعية الشبان المسيحيين بقول ولا عمل . بل وجد فيها من يكبر شأنها ، ويلقى المحاضرات فى ناديها » .

نقول — والعلم عند الله والاستاذ — إن الذى كون جمعية الشبان المسلمين اعضاء من الحزب الوطنى حزب الاسلام والمسلمين ، فاراد ان يعارضهم اعضاء من الوفد سياسياً (بجمعية الشبان المصريين) ولقد كشف لنا الاستاذ عن سر من الاسرار الخفية التى احتجبت وراء هذه الدعوة ، فاظهر لنا الوفد فى ثوبه الصحيح . وعلى رأسه الاستاذ النحاس المصلى الصائم الراكع الساجد القانت القائم الليل واطراف النهار . فللاستاذ من الامة الشكر على كل حال .

وبعد ان مضى الاستاذ فى مقارنة طويلة عريضة بين تجديد المجددين فى أوروبا وتجديد الملحدين فى مصر والشرق ، اثبت هذه الالفاظ الذهبية التى هى جديرة بان يحفظها عن ظهر قلب كل متعلم لتكون له فى ادب المناقشة مقياساً . وللاستزادة من علم الاستاذ نبراساً .

« واما ملاحدة بلادنا ودعاة الكفر والاباحة فيها ، فالتجديد الذى يدعون اليه هو هدم كل ما يربط الأمة ويشد ازرها ، ويجمع كلمتها ، ويهذب اخلاقها من روابط الدين ، والمحافظة على العرض ، ويسمون الكفر والفجور واباحة الاعراض تجديداً طريفاً ، ومدنية وتقدماً وترقيا ، ويسمون ما يقابل ذلك من التقوى والعفة والصيانة قديماً بالياً ، وقد استشرى عبثهم وفسادهم وعظم خطرهم بكثرة الجرائد والمجلات التى

ينفثون فيها سمومهم ، على صغر شأنهم ، وسوء سيرتهم الشاف عن خبث سريرتهم ، فانه لا مزية لاحد منهم فى علم نافع ، ولا عمل صالح ، وانما هى خلابة الالفاظ التى وافقوا فيها اهواء كبار الفساق وصغار الاحداث ، وأن اهل الرأى والبصيرة عندنا يجزمون بان زعزعة العقائد وفساد الاعراض و إباحة النساء يناط بفساد اكثر الجرائد والمجلات ، . . . وهكذا والله تكون اخلاق المتأدبين بأدب القرآن الكريم ، لا كل « هماز مشاء بنميم ، مناع للخير معتد اثيم ، عتل بعد ذلك زنيم » من ملاحدة هذا العصر .

غير ان الاستاذ — نفعنا الله بعلمه وأدبه — قد نسى أن من أولئك الملاحدة فئة تتعمم و تلبس الجبة والقفطان ، وتتمنطق باحزمة الخز والديباج ، وتبالغ فى تكبير العمامة حتى يصير عندحد قول حافظ — كالبرج لكن فوق تل نفاق — مبالغة فى الاثم والعدوان و اخفاء لأمرها ان يعرف ، وسرها ان يكشف ، فتحارب الدين باسم الدين ، وتقاوم الاسلام باسم الاسلام ، سراً لا علناً ، واستخفاء لا جهراً ، وهؤلاء والله يا سيدى الاستاذ لاكثر شراً ، وألام نفساً ، وأشد فساداً ، وأعظم إثماً ، عليهم وعلى الملاحدة المجددين اللعنة الأبدية .

واظن ان الاستاذ لايزال يذكر منهم شيخا ، معمما ربعة القوام ابيض الوجه عريض المنكبين يمشى الهوينا — كما يمشى الوجى الوجل — لا خشية من الله ، ولكن خيلاء واسرافاً ، وكان يجلس الى طاولة معروفة وفى مكان معروف بقهوة « سبلندد بار » وهى لا تزال قائمة الى اليوم ، ومحله منها لايزال مسوداً بالخزى اعاذنا واعاذه الله ، فاذا ما استوى فى مجلسه اجتمع من حوله جماعة من المرد الوسماء ، حتى اذا انتصف الليل قام ومعه منهم جمع ، لا للمسجد ولا للمحراب ، ولكن للذة « يباشرها أو تباشره » .

افلا تعتقد ياسيدى الاستاذ أن هذا الشيخ وأمثاله شر على الاسلام والمسلمين ، من ملاحدة المجددين ؟

وانى لارجو أن يوفقك الله فى خطواتك السديدة ، وان يزيدك من فضله ، ان الفضل لله يهبه من يشاء ، وهو العزيز الحميد .

٢ - مجلة المقتطف عدد يوليو سنة ١٩٢٩ من مقال تحت عنوان « الله والعالم » وهي خطبة مطوية للدكتور صروف رحمه الله

« الذين ذهبوا إلى معرض باريس رأوا هنالك آلات مختلفة الأشكال والصفات. رأوا آلة تطحن القمح وتعجنه وتخبزه ، وأخرى تبل التبغ وتفرمه وتنسقه ، وأخرى تطبع الورق وتطويه وتخيطه إلى غير ذلك ، فذهلوا عن أنفسهم وقالوا ما أحكم الانسان وما أعجب ما وصل اليه . ولو حاولت اقناعهم بأن هذه الآلات وجدت من نفسها أي ان رقائق الحديد و رقائق الخشب تجمعت وتركبت فصار بعضها عوارض وبعضها مخارز وبعضها دواليب وبعضها أساطين إلى غير ذلك من الأجزاء المختلفة الأقدار والهيئات ، ثم تركبت على أوضاع خاصة فتألفت منها تلك الآلات العجيبة، ثم أن هذه الآلات جذبت إليها الفحم من طبقات الأرض ، وأضرمت فيه النار وملأت جوفها من مياه الينابيع فسخن الماء بحرارة النار فصار بخاراً و رفع الأساطين التي فوقه فارتعت وأدارت الدواليب الكثيرة وحركت الأدوات المختلفة فتسبب عنها طحن القمح وعجن الطحين وخبز العجين وطبع الورق و بل التبغ الخ وقد جرى كل ذلك ولم تدخل فيه يد الانسان — لو صرحت لهم بهذه النتيجة — لعدوك مجنوناً أو هاذراً . بل من تراه يسلم بذلك وأي عقل يعتقد به ، سخيفاً كان أو ثقيفاً . أيمكن أن توجد هذه الآلات من نفسها ؟ أيمكن أن تختار هذه الأوضاع بلا صانع قادر على صنعها ؟ كذلك العقل والنقل لا يسلمان بذلك . العقل والنقل يرفضانه . واني لأرى التصديق بأن واحداً و واحداً سبعة . أيسر من أن المطبعة وجدت من نفسها الطبيعة ، والتصديق بأن واحداً و واحداً سبعون أقرب من التصديق بأن الآلة البخارية التي تسير السفن الكبيرة وتقضي بأكثر مصالح الانسان وجدت من نفسها .

« لكن ما هذه الآلات بالنسبة إلى أصغر الحيوانات التي لصغرها لا تراها العين والتي لو جمع ألف حيوان منها معاً ما بلغ جرمها كلها جرم الخردلة الصغيرة ؟ ما هذه الآلات بالنسبة إلى العفن الذي تراه مذروراً كالرماد الأخضر ؟ وإذا نظرنا اليه بالميكرسكوب رأيناه غابات من الأشجار وكلها تحيا وتنمو على صورة تصرت عقول البشر عن إدراك كنهها ؟ من يتحاسر فيقول إن هذه الحيوانات وهذه النباتات وجدت هكذا

من نشء الطبيعة ؟ ولكن ماهذا بالنسبة إلى الحيوانات الكبيرة ذات الأيدى والأرجل والعيون والآذان ؟ أين آلات البشر من جسد الانسان ؟ من عينيه ذات الطبقات العديدة والتراكيب العجيبة ، فلو جمعت كل آلات البشر شرقاً وغرباً ما ساوت كلها عيناً واحدة فى الاتقان والغرابة . ولو اجتمع كل علماء الأرض وصناعها وأرادوا أن يصنعوا عيناً باصرة كعين البعوضة ، وصرفوا عمرهم كله فى هذا العمل إلى ان حانت منيتهم لجثتهم فى آخر حياتهم ، وقد رموا آلاتهم فى النار وقالوا كلهم عجزنا عجزنا ؟»

وقد ذكرتنى هذه القطعة بأخرى اثبتها العلامة داروين فى الفصل السادس من كتابه أصل الأنواع آثرت نقلها هنا اتماماً للفائدة و دليلا ندحض مزاعم الذين يقولون ان النشوء لزام الالحاد (١)

وليس من الهين فى هذا المقام أن نتنكب مقارنة نضعها بين العين والمنظار المقرب للاشباح — تلسكوب — فاننا نعلم أن هذه الآلة لم تصل إلى ما هى عليه من الكمال إلا بعد أن أفنى كثير ممن نعتبرهم صفوة العقول البشرية جهودهم فى سبيل تحسينه . ونحن بالطبع مسوقون إلى القول بأن العين قد تكونت بطريقة مشابهة لتلك الطريقة. ولكن ألا يكون ذلك القول محض اعتبار تصورى ؟ وهل لنا أن نخطر بقولنا خطرة من الظن بأن الخالق العظيم يدبر الكائنات بقوة عقلية مشابهة لقوة الانسان ؟ أما إذا لم يكن بد مما ليس منه بد ، ومضينا فى مقارنة العين بآلة مبصرة ، أنبغي لنا أن نكون بقوة الوهم صورة طبقات مترا كمة من أنسجة مشفة ، بين بعضها وبعض مادة سائلة ؛ ومن وراء ذلك جهاز عصبى كاشف للضوء حساس له ، ثم نفرض من بعد هذا كله أن كل جزء من أجزاء هذه الطبقات ماض فى سبيل التغاير من حيث ثقله النوعى وكثافته ، مستمر فيه ببطء عظيم ، متجهة تلك الأجزاء نحو التمايز بالانفصال بعضها عن بعض إلى طبقات مستقلة يختلف ثقلها النوعى كما تختلف كثافتها . ثم تأخذ أوضاعاً فى أبعاد متناسبة ! فى حين أن سطح هذه الطبقات يكون ممعناً فى سبيل التغاير من حيث الصورة والشكل . ثم نقول إن من وراء ذلك كله « قوة » نمثلها لأنفسنا باصطلاحات نضعها كالانتخاب الطبيعي أو بقاء الأصلح ، ملاحظة بعين المجاز كل تحسين أو تهذيب

(١) راجع ص ٢٥٥ من الجزء الثانى من أصل الأنواع (الطبعة العربية)

وصفي يطرأ على تلك الطبقات المشفة ، ماضية ، حين تأثر هذه الطبقات بمختلف الظروف التي تحوط بها ، في الاحتفاظ بكل شكل من أشكال التغاير ، ايا كانت وسيلته ، ومهما كانت درجته ، متي كان من شأنه الكشف عن الأشباح بصورة أكثر دقة. ومن ثم نفرض أن كل حالة تتمشى فيها تلك الآلة نحو الكمال قد تتكرر مليوناً من المرات تبقى في كل مرة منها محتفظة بكيانها زماناً ثم تزول ، بعد أن يجد في التراكيب العضوية غيرها أقرب إلى الكمال رحمة . فان التغاير في الأجسام الحية ينتج ارتقاءاً ضئيلا يتضاعف أثره جيلا بعد جيل إلى ما لا نهاية له ، في حين أن الانتخاب الطبيعي يكون إذ ذاك مجداً دائباً على الاحتفاظ بكل تهذيب يحدث بعين لا تأخذها سنة ولا نعمة لا يعرفها الكلال . دع تلك القوة تؤثر في همودها وسكونها تأثيرها الدائم مليوناً من السنين ، متخذة في كل سنة ملايين من أفراد العضويات المختلفة موضعاً تبرز فيه نتائجها ، أفلا نعتقد بعد هذا أن آلة مبصرة حية من المستطاع أن تكون قد استحدثت على مر العصور بحيث تكون نسبة الفراق بينها وبين العدسة الزجاجية ، كنسبة الفرق بين تدبير القوة الخالقة العظيمة ، وبين الصناعات البشرية ؟

* * *

٣ — عن المقتطف شهر يوليو سنة ١٩٢٩ من مقال بقلم الدكتور أبو شادى تحت عنوان في سبيل العربية — مابين الجمود والأصلاح .

« لعل من خير الأنسانية أن تكون لها لغة واحدة ، ولعل اللغة العالمية التي سوف تكون لها الغلبة هي الأنجليزية — لسان العالم الجديد : مقر أسمى حضارة عرفها البشر ، ولسان الأمبراطورية الأنجليزية ، ولسان التجارة الدولية ، ولسان الثقافة والتعامل في شعوب ناهضة : كثيرة كاليابان والصين والهند. بيد أنه من خيال الخيال أن نتصور إمكان القضاء البات على اللغات القومية مادامت هذه اللغات وليدة معارف وحضارات وعقائد مجلة . وغاية مايسوغ لنا العقل تصوره إمكان ذيوع لغة ظاهرة ذيوعا كافياً لتكون اللسان الأول للحضارة العالمية ، فيصبح تعلمها فرضاً على جميع الشعوب المتحضرة ، دون أن يتعارض ذلك وواجبات تلك الشعوب نحو لغاتها الخاصة بها .

وقد ذكرت آنفاً أن اللغة الأنجليزية مرشحة قبل سواها (ولا أستثنى الفرنسوية) لتبوء هذه المكانة ، وربما نالتها قبل شروق القرن التالى . وقد اصبحت الأنجليزية بما تستوعبه من شتى العلوم والفنون والآداب كنزاً وفيراً لانفس معارف الأمم ، وصار التبحر فيها مغنياً فى معظم الأحوال عن الألسنة الأوروبية الأخرى . ولكنه برغم ذلك لم يعرف قديماً ولا حديثاً عن أمة من الأمم التابعة للتاج البريطانى انها استغنت بهذه اللغة السهلة المرنة الزاخرة بالعلوم والفنون والآداب ، عن لسانها القومى الرؤوم. ذلك لأنها تحس أنه وحده مستودع أسرارها وأحلامها وآلامها » .

« هذا مثل نسوقه لنسوغ به تعلقنا (لا من جانب العاطفة وحدها ، بل من جانب المنطق أيضاً) بلساننا القومى ، دون أن تكون فى هذا التعلق مسكة من التعصب المشين ولا أية مضادة لنزعتنا العالمية . وما من شك فى أن اللغة العربية — وريثة الكثير من اللغات القديمة ، — قد برهنت على استطاعتها أن تتكيف فى أقطارشتى لهجاتها وتعابيرها ذلك التكيف العجيب الذى يجعل حتى من صورتها الفصحى السنة ومية متعددة لافارق بينها إلا فى مايسبغه عليها الذوق المحلى من ألوان التعبير وما يكسبها من جرس خاص ترتاح اليه كل أمة تتخذها لسانها القومى » .

* * *

٤ـ مجلة الهلال عدد شهر يوليو سنة ١٩٢٩ من مقال تحت عنوان التنمية أو أكل لحوم البشر (كانيبالزم) بقلم محمود سامى .

الأيحاء قوة نفسية عجيبة تعرف بمظاهرها ويتعذر تعليل أسبابها . فالذى يعيش فى أرض تكثر فيها الأفاعى ويعتاد قتل الكثير منها يصبح قتل الأفاعى فى نفسه أمرا يدفعه اليه الأيحاء . والجندى الذى يشترك فى حرب تطول مداها يكون أرغب فى القتل من غيره . ومن يفكر فى ارتكاب جريمة . لا يرتكبها بمجرد التفكير فيها ، بل ينفذها عندما يبلغ به التفكير فيها درجة الايحاء وقد يرتكبها ببساطة طبيعية ولو كانت أشنع الجرائم .

وكاتب هذا المقال يعلل التنمية كما دعاها — بانها شىء تدفع اليه الضرورة وما ضرورة ذلك الا الجوع . يقول :

« قد تدفع الظروف بالمرء إلى حيث يتعذر عليه وجود الطعام فيدفع الجوع إلى أن يقتات باول شيء يصادفه . والجوع لا يعرف الرحمة ونداء المعدة تختفي معه العواطف وتفر منه حتى انسانية بنى آدم » — وعلى هذه الوتيرة يسير فى تعليل أكل لحوم البشر والاعتياد عليه . فى حين أن الأرجح ان لا سبب لهذه الظاهرة إلا الايحاء الذى تخلقه العادة أولا ثم يصير من بعد ذلك شيئاً ضرورياً من مقومات الحياة ، فيلوح لمن لم يرجع إلى أصله كأنه شيء طبيعى تدفع اليه دوافع طبيعية

* * *

٥ ـ مجلة المشرق التى تصدرها ادارة آباء كلية القديس يوسف عدد يوليه — ١٩٢٩ — من مقال بعنوان « قس بن ساعدة » — ماذا نعرف عنه — بقلم ميشيل سليم كيد

من خطب قس بن ساعدة

« أيها الناس : اسمعوا وعوا . واذا وعيتم فانتفعوا . أنه من عاش مات . ومن مات فات . وكل ماهو آت آت ، مطر ونبات ، وأرزاق وأقوات ، وآباء وأمهات ، وأحياء وأموات . وجمع وشتات . وآيات بعد آيات . ألا إن أبلغ العظات السير فى الفلوات . والنظر إلى محل الأموات . إن فى السماء لخبراً . وأن فى الأرض لعبراً » .

ولا شك عندى مطلقاً فى أن قوله « ألا أن أبلغ العظات السير فى الفلوات والنظر إلى محل الأموات » — مدسوسة على قس ، فانها من أول الخطبة « كالبقعة الخراب فى صور الجغرافية » كما يقول الاستاذ صادق الرافعى . وإنى لأذكر مكان هذه القطعة قطعة أخرى حفظناها ونحن فى المدرسة هى أكثر اتساقا ولب الخطبة من هذا الكلام البور وفيها يقول « يامعشر إياد ، أين الآباء والأجداد ، وأين الفراعنة الشداد . أين من بنى وشيد ، وانث ونجد . أكلهم الدهر بكلكله ، ومزقهم بتطاوله ، فتلك أجسامهم بالية ، وبيوتهم خاوية ، عمرتها الذئاب العاوية » .

ويزيد بعض النساخ على هذه الخطبة قوله

« أقسم قس قسما : لا خائنا فيه ولا آثما . ان لله دينا هو أحب اليه من دينكم الذى أنتم عليه ، ونبياً قد آن أوانه ، وأظلكم إبانه . فطوبى لمن آمن به فهداه ، وويل لمن خالفه وعصاه » .

ومنزلة هذه القطعةمن الانتحال أرجح عندى من منزلة الأولي

ثم أنشأ يقول :

فى الذاهبين الاولين من القرون لنا بصائر
لما رأيت مواردآ للموت ليس لها مصادر
ورأيت قومى نحوها يمضى الاصاغر والاكابر
لا يرجع الماضى ولا يبقى من الباقين غابر
ايقنت انى لا محالة حيث صار القوم صائر

ومن خطب قس النفيسة :

« أيها الناس ! شارفوا بابصاركم فى كر الجديدين ثم ارجعوها كليله عند بلوغ الأمل.فان الماضى عظة للباقى (١) ولا تجعلوا الغرور سبيل الفخر فتنقطع حجتكم فى موقف الله سائلكم فيه ومحاسبكم على ما أسلفتم . أيها الناس ! أمس شاهد فاحذروه واليوم مؤدب فاعرفوه، وغداً رسول فاكرموه .وكونوا على حذر ، من هجوم القدر ، فان اعمالكم تطلق أبدانكم والصراط ميدان يكثر فيه العثار فالسالم ناج والغابر فى النار »

ولم يعرف أن قساً وصف مابعد الموت ولكن أمية بن أبى الصلت معاصر قس ومن فرسان اياد المعدودين له ما يأتى

فكل معمر لا بد يوماً وذى دنيا ، يصير الى الزوال
ويفنى بعد ،جدته ويبلى سوى الباقى المقدس ذى الجلال
وسيق المجرمون وهم عراة الى ذات المقامع والنكال
فنادوا : ويلنا ويلا عظيما وعجوا فى سلاسلها الطوال
فيلسوا ميتين فيستريحوا وكلهم بحر النار صال
وحل المتقون بدار صدق وعيش ناعم تحت الظلال
لهم ما يشتهون وما تمنوا من الأفراح فيها والكمال

وعندى أن البيت الأخير فى غاية الضعف لايتسق وبقية القصيدة مطلقاً . وقس أول من أفتتح الخطابة بكلمة « أما بعد » . ومن مأثور قوله :

---

(١) من أحكم ماقيل وأبلغ ماسمع

« من فاته حسب نفسه ، لم ينفعه حسب » .

« البينة على المدعى ، واليمين على ماأنكر » .

ومن خطبه الذائعة قوله :

« أيها الأشهاد ! أين ثمود وعاد ، أين الآباء والأجداد . اين ذهب أبرة ذوالمنار ، وعمرو ذو الأذعار ؟ هل تدرون ماصار اليه عبادة الفتاح ، وأذنية الصباح ، وجذيمة الوضاح ؟ غزوا فقهروا ، ونهوا وأمروا . وجددوا المصانع والآثار ، وجدولوا الأنهار ، وغرسوا الأشجار ، . واستخدموا الليل والنهار . فهجمت الآجال . دون الآمال . ألا وأن كل شيء إلى الزوال » .

ثم أنشأ يقول :

قد كنت أسمع بالزمان ولا أرى ... ان الزمان يطيق تنف جناحى
فأراه أسرع فى حتى أصبحت ... بيضاً متون عوارضى وصفاحى
وأنا الكبير لنسبة فى قومه ... هيهات ! كم ناسمت من أرواح
صافحت ذا جدن وأدرك مولدى ... شمر بن عمرو ، يتقي بالراح
والقيل ذو يزن رأيت محله ... بالقهر بين جنادل وصفاح
فتك الزمان بملك حمير فتكة ... تسعى بكل عشية وصباح
أودى أبو كرب ، وعمرو قبله ... وأباد ملك أذينة الصياح (١)

* * *

وغدا بابرهة المنار فأصبحت ... أيامه ، مسلوبة الأصباح

* * *

لاتمس فى شك المنون ، أماترى ... أيامه مشهورة الأيضاح
لاتأمنن مكر الزمان ، فانه ... أردى الزمان بشمر الوضاح
برك الزمان على بن هاتك عرشه ... وعلى أذينة ، سالب الأنواح
أفبعد أملاك مضوا من حمير ... يرجي الفلاح ، ولات حين فلاح

---

(١) فى الأصل الذى نشرته المشرق يقول « أذينة الوضاح » ، وهو خطأ واضح حتي من سياق الخطبة ذاتها .

من ذا تصافق كفه كف الردى يشرى التقى ، عن بيعة الأرواح

* **

يقول كاتب هذا المقال

و مما يلصق بقس ، بعض كلمات حكيمة زعموا أنه قالها لقيصر حين وفد عليه مرة فقال له قيصر :

ما أفضل العلم ؟

— معرفة الرجل نفسه .

ما أفضل العقل ؟

— وقوف المرء عند علمه .

ما أفضل الأدب ؟

— استبقاء الرجل ماء وجهه

ما أفضل المروءة ؟

— قلة رغبة المرء فى اخلاف وعده .

ما أفضل المال ؟

— ما قضى به الحق .....

يقول الكاتب — إنها كلمات على جانب عظيم من الحكمة والعقل. كلمات حوت أثمن النصائح ، لا نظن أن قساً قائلها ، ولا شك أن العرب اتهموه (١) بها لما أطلعوا على آداب الاغريق ، فأراد الزعم بوجود حكيم عندهم يماثل ديوجينيس فى اجابة الرد الحكيم ، ولم يجدوا مرتعاً أخصب من قس ، فألوا هذه وكفنوه بها »(٢)

ولست أدرى أى دليل يستند اليه الكاتب فى مذهبه هذا . و لا نظن أن العرب فى جاهليتهم يعجزون عن مثل هذه الأجوبة ، وكان منهم مثال قس ، اسقف نجران، و زهير بن أبى سلمى وسحبان وائل والمهلهل والمقنع الكندى وامرىء القيس وأعشى ميمون والحارث بن حلزة اليشكرى و طرفة العبد وغيرهم . فلماذا تكون هذه الأقوال الحكيمة لليونان و لا تكون للعرب . ؟

---

(١) أسخف التعبيرات وأبعدها عن المقصود (٢) ياحفيظ يامغيث !

مضى الامس

نشرنا فى العدد الماضى من العصور ابياتا للدكتور عبد الله عبد العزيز تحت هذا العنوان وقد بعث الينا الدكتور زكى ابو شادى بأبيات يرد بها على الدكتور عبد الله ونحن ننشر القصيدتين ليخرج القارىء منهما جميعا بصورة واضحة يتجلى فيها متجه الشاعرين ونزعة كل منهما الفكرية والروحية اذ أن أحدهما يميل الى التشاؤم حينما الاخر يدين بالتفاؤل

(١)

أ أذكر - والدنيا أمامى مأتم ليالى والدنيا منى وبشائر
وهبنى ذكرت الراح - والسم فى فمى أيغني عن التبريح ما أنا ذاكر ؟

***

مضى الامس بالقلب الذى يرتجى المنى وعوضت قلبا كل ما فيه فاتر
سواء لديه خيره وضراره فلا هو بالشاكى ولا هو شاكر
وإن غدا — لوزف فيمايزفه — ألذ وأشهى ما يرجيه خاطر
لأعجز أن يهدى الى القلب سلوة مضت ورجاء خيبته المقادر

عبد الله عبد العزيز

***

(٢)

مضى الأمس لاتأسف طويلا لفقده فانى بذاك الأمس واليوم ساخر
وما ثرت عن وهم ولكن لأننى على الوهم فى دنيا التناقض ثائر
وساويت فى عينى كل رجائها وخيبتها حتى كأنى قاهر
وهبت فؤادى غير دنياى هذه فانى الى دنيا العظائم سائر
أعيش بروحى بل وجسمى عندها وأنقل عنها ما يرتل شاعر
وأضحك من جرحى بأمسى وحاضرى فانى على تضميد جرحى قادر
وما كان عمرى رهن دنيا متاعبى وما الحظ ما أملاه ماض وحاضر

أبو شادى

بين الأدباء

ننشر فى هـذا الباب الرسائل التى دارت بين كبار الأدباء والطرف التى تقال فى مجالسهم ، تكميلا للناحية الناقصة ، وسداً للفراغ الناشىء عن إهمال هـذه النواحى التى يعتمد عليها المؤرخون فى تسجيل تاريخ العصر الحديث. ومن مميزات هذه الرسائل أنها كتبت عفو الخاطر ، فلم يتعمل كاتبوها ولم يتكلفوا تزويقها وتنميق عباراتها لأنهم لم يكتبوها للجمهرة من الناس بل لأصدقائهم خاصة . وسيتعرف القراء من هذه الرسائل نواحى كثيرة كانت جد خافية عليهم . فلعل أكثر القراء يجهلون مثلا أن للأستاذ العالم الجليـل فريد وجدى بك شعرا، والعصور ترحب بكل ما يردها من حضرات الأدباء من هـذه الطرف ،

***

إلى الأستاذ العلامة فريد بك وجدى

ألا من لنـار بين جنبى توقد ... اذا ماخبت أذكى لظاها محمد
وقلب أبى إلا مقاماً على الأسى ... تصدعه ذكرى خـليط تبدد
فياقلب حتام الهوى لك شاغل ... وياجفن حتام المنـام مشرد
أنهنه زفراتى وأحبس عبرتى ... فلا زفرتى تخبو ولا الدمع يجمد
أرى كل حسن فى الورى مذكراً بكم ... فؤادى ، فشوقى نحوكم ليس ينفد
يذكرنى طيب الرياض وحسنها ... شمائل ينسى الروض فيها ويزهد
ويذكرنى ضوء الصباح إذا بدا ... يحلى ظلام الليل والليل أربد
براهين تجلو الشك ـــ وهو مطنب، ... و يعلوبها صرح الهدى و يؤيد
فلا زلت ذخراً للبلاد فأنما ... بأمثالكم ترقى البلاد وتسعد

أحمد الزين

إلى الأستاذ الشاعر المجيد أحمد الزين

وفت يتقاضاها ولاء وموعد ... ووفيت بحد وفى بغرام بجدد
فابه أيازين القريض وبجده ... وأنت لما أرجو بابه لأرشد
أقمت صروح الشعر بعد انهيارها ... فقر بك الطائى واعتز أحمد
وما زلت حتي جددت قديمه ... بجدك ، وازدان الطريف المولد
أراك كتابى عنك شغل تزاحفت ... كتائبه ترمى إلى وتصمد
وانى أدرى بالذى يستبيحنى ... وماهو إلا العلم لا اللهو والدد (١)
فدونك من قلب حواك تحية ... يكررها نفح الصبا ويجدد

محمد فريد وجدى

إلى الأستاذ عبد الله عبد العزيز (٢)

أخى :

الآن وأنا أكتب اليك — أذكر جملتك التي قلتها لى حين تحرك القطار ، وأنت مسافر إلى فرنسا — :

« هنا ياسيد مفترق الطرق . »

نعم ، كان مفترق الطرق ، ياعبد الله ، فهل يتيح لنا الزمن أن نذهب إلى فرنسا — كما ذهبت — ونتمتع بأحاديثك المعجبة فى تلك البلاد المشرقة بالحياة .

لقد طالما دارت بنفسى هذه الأمنية منذ زمن الطفولة ، حتى قلت — وأنا فى العاشرة من عمرى — متمثلا أنني قد طفت أرجاء البلاد — :

وطفت بلاد الله شرقا ومغربا ... كأن زمام الدهر طوع بنانى
ومتعت بالأسفار نفساً مشوقة ... لرؤيتها قبل انقضاء زمانى

ولعل هذا أول شعر قلته فى حياتى .

و بعد فمتى نراك ياأخى !

---

(١) الفرح والسرور

(٢) من رسالة كتبها الأستاذ سيد ابراهيم إلى الدكتور عبد الله عبدالعزيز حين كان فى مونبلييه

أخى قد مرت الساعا ت والأيام تتلوهـا
ولم ننعم بلقيـاك ولا بالكتب توليها
فهل أشجتك مصر اليو م أم هل أنت ناسيها ؟
وهـل تذكر أياما نعمنـا مدة فيهـا
فطوراً فى شوارعها وطوراً فى حواريهـا
وطوراً فى حدائقها وطوراً فى ضواحيهـا
وطوراً فى معاهدها وطوراً فى ملاهيهـا
أتنسى هـذه الأيا م ، أم أشجاك ماضيها ؟

***

أخى إن البقاء النز ر فى الدنيا لأهليها
وما ننعم باللذا ت ، بل نشقى بما فيها
فهـل يدخر الخيـ ر لغير الناس باريها
تساوى الحلو والمر وباديهـا وخافيهـا

***

متى تجمعنا الدنيا متى تصفو لياليهـا
إذن أغفر للدهر ذنوبا لست أحصيهـا

« سيد ابراهيم »

الى الاستاذ الهراوى (١)

أبت زفرة المشتاق إلا تصعدا وإن كنت لا تزداد إلا تجلداً
أأذود حفونى أن ترى النوم بعدكم فما بالكم بعدى تطيبون مرقداً
وتسكب عيناى الدموع لبينكم فما لما قيكم على البين جحدا
تذكر زماناً قد تولى بغبطة وعيشا لنا ما كان أحلى وأرغدا
لعلك يوم البين أجريت عبرة على بعد من لو بنت كان لك الفدا

(١) من كتاب بعث به الأستاذ أحمد الزين إلى الأستاذ محمد الهراوى

أعاتب من لو كان يشهد لوعتى ... عليه لأمسى النوم عنه مشردا
يرق لى الأصباح أن ير عبرتى ... فيبكى كما أبكى بدمع من الندى
وما عيش من لا يطرق النوم جفنه ... فيصبح محزوناً ويمسى مسهدا
يود لو أن الليل أبطأ نجمه ... فليس يرى غير الكواكب مسعدا
فوالهفا إذ يطلع الصبح مسفرا ... ولست أرى — فيمن أراه — محمدا
أرى الماء يصفو كى يذكرنى أخا ... شمائله أصفى من الماء موردا
وتبسم لى الأزهار تحسب أننى ... أراها فأنسى بشره والتوددا
لعل زمانا منك يوماً يعود لى ... فنهدأ أشجانى وأشفى بك الصدى

أحمد الزين

من الدكتور أبى شادى
الى الاستاذ كامل افندي كيلانى

يا صديقى العزيزُ « كاملُ » حُيِّيـ ... ـت بقلبٍ وهبْتَهُ صفوَ قلبكْ
ليس أسمى من المحبةِ إهدا ... ءً فهل لى سوى مجاراةِ حُبّكْ
وأراكَ الغنىَّ عن كلّ شُكْرٍ ... كغناءِ الضياءِ والطيبِ عنّا
إنّ مَنْ طبعهُ المحبةُ والاذ ... ـصافُ يَغْنَى بطبعهِ حين يَغْنَى
ولو اخترتَ فى اكتفاءٍ مثالاً ... لوفاءٍ لعشتَ سيّدَ خَلْقِ
فاذاك الذى أضاف كمالا ... من نبوغ إلى مكارمِ خُلْقِ
وتحمّلتَ — فى سنين توالت ... كتوالى الأعباءِ — تهذيبَ جيلِ
واتخذتَ التواضعَ الحُلوَ كالسّتـ ... ـر لما قد وهبتَه من جميلِ
فاذا أصبح الصغارُ أساتيـ ... ـذ وما زلتَ أنتَ محضَ الأديبِ
فعليك الملامُ وَحْدَكَ فى بَعْـ ... ـدكَ جَنْبَ الأريب غيرَ الأريبِ
واذا أنكر الغبيّون جَدْوَا ... كَ وأمثالُهُمْ مِنالُ الجُحُودِ
فلأنتَ الذى تَسامَى ولم يَعْـ ... ـبأ بما قالَهُ شُيوخُ القرود!

عزاء (١)

عزاء ، فمثلك — إن يمتحن — تكشف عن جوهر منتخب
له من عقيدته مفزع ومن حسن ايمانه محتسب
وإن له الجول (٢) الخالدا ت ، يبيض منهن وجه الأدب

محمد فريد وجدى

---

(١) بعث الأستاذ محمد فريد وجدى بك بهذه الأبيات إلى الأستاذ أحمد الزين يعزيه بها فى خاله . (٢) القصائد التى تجول البلاد

أطلب من دار العصور للطبع والنشر
بشارع الخليج المصرى : بالظاهر بمصر

الاشتراكية

أقوم بحث فى حقيقة الاشتراكية ومناقشة مبادئها

نظرات فى تاريخ الاسلام

« وأشترط على نفسى أن لاأتعرض لذكر ما أعتمده فيما أجده مخالفا لما اعتقده ، فان التقرير غير الرد ، والتفسير غير النقد »

« فخر الدين الرازى »

(٣)

ومن ثم ترى أن الحزب المناوىء للاسلام لم يهدأ له بال حتى أخضع المدينتين المقدستين اخضاعا ، وحتى جعل مسجد المدينة اصطبلا ، وحرق الكعبة ، وأذل أبناء مؤسسى الاسلام إذ لالا وأرغم أنوفهم ارغاما .

ولقد دخلت تلك الفئة القليلة فى الاسلام مرغمة كارهة فى جملة من دخل فيه من العرب ، ثم عرفت فيما بعد كيف تدفع ثمن هذا النصر المضاعف ، غاليا .

وما كان عصر بنى أمية كله إلا انتقاضا وثورة على الاسلام وانتصارا للمبدأ الوثني

ولقد كان الخلفاء أنفسهم — اذا استثنينا الشاذ منهم — لا يأبهون للدين ، وان شئت فقل انهم كانوا من الجاحدين، الا ترى إلى أحدهم — وهو الوليد الثانى ، كيف يطوح به الاستهتار الى أبعد مدى ، وكيف يذهب الى صلاة الجماعة مصطحبا معه بعض محظياته ، وكيف يتخذ من المصحف هدفا له يخرقه بالنشاب (١)

---

(١) قالوا انه فتح المصحف ذات يوم فرأى فيه قوله تعالى : « واستفتحوا وخاب كل جبار عنيد » فغضب ومزق المصحف واهوى به الى الأرض وخرقه بالنشاب وهو يقول — :

أتوعد كل جبار عنيد فها أنا ذاك جبار عنيد

اذا ما جئت ربك يوم حشر فقل : يارب مزقنى الوليد

وتهتك الوليد واستهتاره مما لايحتاج الى تنويه ، وان تغالى أعداؤه فى اضافة شنع الى شنعه ونسبة مخاز الى مخازيه ، والوليد هو القائل لما أحاط الثائرون بقصره — :

ولقد كانوا لا يرحبون باسلام من يسلم من الأمم التى يخضعونها ؛ من مسيحي الشام وقبط مصر ، ومن الفرس و برابرة شمال أفريقيا ، وكانوا لا يهشون لاسلام هذه الشعوب نظراً لما يعرفونه من الباعث الحقيقى الذى يدفع جمهرتهم إلى التظاهر بالاسلام

دعوا لى « هندا » و « الرباب » و « فرتنى »

ومسمعة حسبى بـــذلك مالا

خـــذوا ملككم لاثبت الله ملككم

فليس يساوى بعد ذاك عقالا

وخلوا سبيلى « قبل عيروما جـــرى »

ولا تحسدونى ان أموت هـزالا

يريد بالبيت الأخير : « اتركوا لى هـذه الأشياء ثم خذوا الملك منى بعد ذلك فانى أتركه لكم فى الحال ولا يهمكم من أمرى شىء بعد وقوله « قبل عيروما جرى » مثل يضرب للسرعة

ولقـد كان الوليد متهتكا مستهترا يميل الى مراغمة الناس ويجاهرهم بعصيانه وآثامه واحتقاره ماتواضعوا على احترامه

قالوا : « وكان شجاعا شديد البطش طويل أصابع الرجلين وكان يوتد له سكة حديد فيها خيط ويشد الخيط فى رجله ثم يثب على الدابة فينتزع السكة ويركب دون أن يمس الدابة بيده »

***

حدث بعض الموالين للوليد فقال — :

كنت عند « هشام » وعنده الزهرى فذكر الوليد فتنقصاه وعاباه عيبا شديدا ولم أعرض فى شىء مما كانا فيه فاستأذن الوليد فأذن له — وأنا أعرف الغضب فى وجهه فجلس قليلا ثم قام

فلما مات هشام كتب فى فحملت اليه فرحب بى وقال :

« كيف حالك يا ابن ذكوان ؟ »

وكان مفروضاً على كل فرد لا يدين بالاسلام من الأمم المغلوبة فى البلاد التي فتحها المسلمون أن يدفع الجزية ، فاذا أسلم فقد أعفى من أدائها فى الحال . وكان هذا الاعفاء من أكبر أسباب الدعاية للاسلام ، وقد دخل ملايين من الناس فى دين

والطف المسألة ثم قال — :

أتذكر يوم الاحول ، هشام الخليفة ، وعنده الفاسق ، الزهرى ، وهما يعيبانى قلت أذكر ذلك فلم أعرض فى شىء مما كانا فيه ،

قال — : « صدقت أرأيت الغلام الذى كان على رأس هشام ؟ »

قلت : « نعم »

قال : « فانه نمى الى ماقالا ! وايم الله لو بقى الفاسق لقتلته »

قلت « قد عرفت الغضب فى وجهك حين دخلت ! »

ثم قال — :

« يا ابن ذكوان ! ذهب الأحول بعمرى ! »

فقلت :—

بل يطيل الله عمرك يا أمير المؤمنين ، ويمتع الأمة ببقائك فدعا بالعشاء فتعشينا وجاءت المغرب فصلينا وتحدثنا حتى جاءت العشاء الآخرة فصلينا ، وجلس قال : « اسقني » فجاءوا باناء مغطى وجاء ثلاث جوار فصففن بين يديه بيني وبينه ، ثم شرب وذهبن فتحدثنا

واستسقى فصنعن مثل ما صنعن أولا

فما زال على ذلك يتحدث و يستسقى و يصنعن مثل ذلك ، حتى طلع الفجر ، فأحصيت له سبعين قدحاً . »

***

نقول : « ولعل هذا من أعف مجالس الوليد ، ونحب أن لا ينسى القارىء أن راوى هذا الخبر ليس من أعداء الوليد ولا من المتحاملين عليه .

على أن للوليد أخبارا أخرى لاسبيل لنا إلى ذكرها فى هذ المقام لشناعتها وفحشها

الاسلام أفواجاً رغبة فى التخلص من دفع الجزية وكان لهذا الاعتبار أكبر الأثر فى اقبالهم على هذا الدين . وقد قلل ذلك من خراج الدولة ، ونقص من بيت المال . فقد وصل الخراج الذى يجبونه من مصر فى زمن عثمان نفسه إلى أكثر من ضعفه بعد وفاة « معاوية » بزمن يسير . بسبب تهافت قبط مصر على الاسلام . وكان بعضهم يقبل على الاسلام لأنه ممن لا يرون للدين فى نفوسهم خطراً ، وبعضهم يسلمون حباً فى المال وهرباً من الجزية ، وقد وضع الخلفاء قيوداً وشروطاً للدخول فى الاسلام . ورفض كثير منهم أن يعفى المسلمين الجدد من دفع الجزية محتجاً بأنهم لم يسلموا عن اخلاص ، وأن اسلامهم ليس إلا صورياً وأنهم لا يؤدون شعائر الاسلام .

وكان الخليفة عمر الثانى (١) هو الأمير الوحيد الذى كان مثالا للتقى وصحة التدين فلم يأبه للمال وكان قلبه عامراً بالايمان والتقوى . وقد بذل وسعه فى نشر الدعوة إلى الاسلام دون أن يعنى بزيادة الخراج الذى كان هم غيره الوحيد .

* * *

ولقد قال له بعض عماله : —

« إذا سارت الأمور فى مصر على هذه الوتيرة فسيصبح كل مسيحييها مسلمين ، وسنفقد بذلك كل الخراج ! »

فقال له عمر — :

« لو أسلم كل مسيحى فيها لكان ذلك أكبر سعادة تتطلع اليها نفسى ، فقد أرسل الله رسوله للناس هادياً ونبياً ، ولم يرسله اليهم ليجمع الخراج ويجبى الضرائب : »

ومن آيات استهتار الوليد بكل شىء مما تواضع الناس على احترامه ، ذهابه إلى صلاة الجمعة وهو سكران وارتجاله أرجوزة بدل خطبة الجمعة

وقد ذكر له أبو العلاء فى رسالة الغفران — كما ذكر له ابن القارح فى رسالته إلى أبى العلاء — شئنا يستطيع القارىء أن يرجع اليها ان شاء

ومن رأى أبى العلاء أن الوليد — مع استهتاره — ليس بدعا فى الخلفاء وأن له أشباهاً ، لا فرق بينهم وبينه إلا أنهم يستترون ويجاهر بعصيانه .

« المترجم »

(١) عمر بن عبد العزيز .

وبمثل هذا أجاب عامل خراسان أيضاً حينما شكا له اقبال الكثيرين من الفرس على الدين الاسلام لالشيء سوى رغبتهم فى التخلص من دفع الجزية ، وقال له: إنهم لا يختتنون أيضاً .

فأجابه الخليفة

إن الله قد أرسل محمداً هاديا للناس الى الطريق السوى ولم يرسله اليهم ليعلمهم الاختتان ،فهو لم يشددفى تنفيذ هذه الأمور بدقة لالأنه يجهل أن أكثر الداخلين فى الاسلام غير مخلصين فى ذلك ، ولكنه لأنه يعلم - وهو محق فيما ذهب اليه - أن أبناءهم وأحفادهم سينشأون فى مهد الاسلام ويكون منهم المسلمون الصادقون ، الذين قد يفوقون العرب أنفسهم فى الصلاح والتقوى . « للكلام بقية »

اطلب من دار المصور للطبع والنشر

ومن جميع المكاتب المعروفة

تاريخ الفكر العربي

فى نشوئه وتطوره بالترجمة والنقل عن الحضارة اليونانية

سنابل وأزهار

مختارات من الأدب

منازغاة اعرابية ابنتها (١)

ما لأبى حمزة لا يأتينا
يظل فى البيت الذى يلينا
غضبان أن لانلد البنينا
تالله ما ذلك فى أيدينا
وانما نأخذ ما أعطينا
ونحن كالأرض لزارعينا
ننبت ماقد زرعوه فينا

بكت فلم أنثن (٢)

إذا ماراد الغزو لم تثن همه حصان عليها نظم درينها
نهته فلما لم تر النهى عاقه بكت ، فبكى مما شجاها قطينها

---

(١) قالتها اعرابية رزقت بنتا فغضب عليها زوجها وهجرها الى بيت قريب منها ، فكانت تناغى ابنتها بتلك الأبيات

(٢) قالوا : إن عبد الملك بن مروان كان يوجه إلى مصعب جيشا ، بعد جيش فيهزمون، فلما طال ذلك عليه واشتد غمه ، أمر الناس فعسكروا ، ودعا بسلاحه فلبسه فلما أراد الركوب قامت اليه أم يزيد ابنه . وهى عاتكة بنت يزيد بن معاوية فقالت : « يا أمير المؤمنين ! لو أقمت وبعثت اليه لكان الرأى » فقال : « ما إلى ذلك من سبيل ! » فلم تزل تمشى معه وتكلمه ، حتى قرب من الباب ، فلما يئست منه رجعت فبكت و بكى حشمها معها ، فلما علا الصوت ، رجع اليها عبد الملك ، فقال : « وأنت أيضا ممن يبكى ، قاتل الله كثيرا ، كأنه كان يرى يومنا هذا . حيث يقول » وأنشد البيتين الأولين من تلك الأبيات »

ولم يثنه يوم الصبابة بثها غداة استهلت بالدموع شؤونها
ولكن مضى ذو مرة، متثبت بسنة حق واضح مستبينها
كثير

خلافة عبد الملك

أحاطت يداه بالخلافة — بعد ما أراد رجال آخرون اغتيالها
. . . . . .
فما أسلموها - عنوة - عن مودة ولكن بحد المشرفى استقالها
وكنت . إذا نابتك يوما ملمة . نبلت لها (٢) أبا الوليد نبالها

***

سموت فأدركت العلاء . وإنما يلقى عليات العلا من سما لها
وصلت . فنالت كفك المجد كله ولم تبلغ الأيدى السوامى مصالها
كثير

رثاء (١)

هذه الأرض أمنا وأبونا حملتنا بالكره ظهرا وبطنا
إنما المرء فوقها . هو لفظ فاذا صار تحتها . فهو معنى
لو رجعنا إلى اليقين . علمنا أننا فى الدنا نشيد سجنا

***

إنما العيش منزل . فيه بابا ن . دخلنا منه ومنه خرجنا
وضروب الأطيار لو طن ماطر ن فلا بد أن يراجعن وكنا

***

يحسب الهم عمره كل حول فاذا استكثر الحساب تمنى
مبتدانا ومنتهانا سواء فلماذا من الأخير عجبنا ؟

---

(١) أعددت وأخذت أهبتك لها
(٢) من نظم صردر فى رثاء ابى نصر بن صميلة صاحب الديوان

فوجدنا من بعد ما قد عدمنا وعدمنا من بعد ما قد وجدنا

* * *

قد رأينا ، وقد سمعنا لو ان النفـــس ترضى عينا وتأمن أذنا
خدعات من الزمان ــ إذا أبـ كين عينا منهن ، أضحكن سنا

* * *

لو درت هـــذه الحمائم ما بد رى لمـار جعت على الغصن لحنا
صابع الأسهم الصوائب لم يخ لق لأهدافهن ـ عمد ـ رمحنا
تتوارى بالسابرى وننسى من وراء الضلوع ضربا وطعنا
مورد غص بالزحام ، فلولا سبق من جاء قبلنا لوردنا

* * *

وأدرى الدهر مفردا ــ وهو فى حا ل ــ يشن الغارات ــ هنا وهنا
ما عليه لو أنه كان أبقى من أبى نصر المهذب ركنا
والدا للصغير برا وللتر ب أخا مشفقا وللاكبر ابنا
ما مشت فى فؤاده قدم العـــش ، ولا أسكن الجوانح ضغنا
إن يكن للحياء ماء ، فما كا ن له ، غير ذلك الوجه مزنا

* * *

أغمض العين ، بعده ، فغريب أن ترى مثله ، وأين ؟ وأنى ؟
فالقصور المشيدات تعزى والقبور المبعثرات تهنى

صردر

قيس بن رفاعة يفخر بنفسه (١)

من يصل نارى بلا ذنب ، ولاترة يصل بنـار كريم غير غـــدار

* * *

أنا النذير لكم منى ــ مجاهرة ــ كى لا ألام على نهى وانذار

---

(١) قالوا : لما قتل عبد الملك ــ مصعب بن الزبير ، دخل الكوفة ، فصعد المنبر ،

فان عصيتم مقالي ـــ اليوم ـــ فاعترفوا أن سوف تلقون خزياً ظاهر العار
لترجعن أحاديثاً ملعـــنة لهو المقيم، ولهو المدلج الساري
من كان في نفسه حوجاء (١) يطلبها عندي، فاني له رهن باصحار (٢)
أقيم عوجته ـــ إن كان ذا عوج ـــ كما يقوم قدح النبعة البـاري
وصاحب الوتر، ليس الدهر مدركه عنـــدي، وإني لدراك بأوتار

نادرة

قال أبو علي الفارسي:

دخلت مع شيخنا أبي اسحق الزجاج على القاسم بن عبد الله الوزير فورد اليه الخادم. فساره بسر استبشر له، ثم نهض، فلم يكن بأسرع من أن عاد وفي وجهه أثر الوجوم، فسأله شيخنا عن ذلك ـــ لأنس كان بينهما ـــ فقال له: «كانت تختلف الينا جارية لاحدى القينات، فسمتها أن تبيعني إياها فامتنعت من ذلك، ثم أشار عليها أحد من ينصحها، بأن تهديها إلى رجاء أن أضاعف لها ثمنها، فلما جاءت أعلمني الخادم بذلك فنهضت مستبشرا لاقتضاضها فوجدتها قد حاضت، فكان مني ما ترى.

قال: فأخذ شيخنا الدواة من بين يديه، وكتب:

فحمد الله وأثنى عليه، وصلى على النبي ثم قال:

«أيها الناس: إن الحرب صعبة مرة، وإن السلم أمن ومسرة، وقد زبنتنا الحرب وزبناها (دفعتنا ودفعناها)، فعرفناها والفناها، فنحن بنوها وهي أمنا.

أيها الناس: فاستقيموا على سبل الهدى، ودعوا الأهواء المردية، وتجنبوا فراق جماعات المسلمين، ولا تكافونا أعمال المهاجرين الأولين، وأنتم لا تعلمون أعمالهم، ولا أظنكم تزدادون ـــ بعد الموعظة ـــ إلا شراً. ولن نزداد ـــ بعد الاعذار اليكم إلا عقوبة، فمن شاء منكم أن يعود بعد لمثلها فليعد، فانما مثلي ومثلكم كما قال قيس ابن رفاعة: (وأنشد تلك الأبيات)

(١) حاجة (٢) بروز إلى الصحراء. أي أني لا أختفي منه ولا أستتر عنه

فارس ماض بحربته حاذق بالطعن فى الظلم
رام أن يدمى فريسته فانثنته من دم بدم (١)

---

(١) ولهذه القصة رواية أخرى ، وهى أن المأمون حين دخل على بوران بنت الحسن بن سهل — بعد أن عمل لها من الولائم والأفراح ما لم يعهد مثله — وجدها حائضاً ، فتركها فلما قعد للناس من الغد دخل عليه أحمد بن يوسف الكاتب ، وقال يا أمير المؤمنين : هناك الله بما أخذت من الأمر باليمن والبركة والظفر بالمعركة ، فأنشده المأمون :

فارس ماض بحربته صادق بالطعن فى الظلم
رام أن يدمى فريسته فانثنته من دم بدم

الايمان

قصيدة لإلفونس دى لامرتين

أيها العَدَم ! أيتها الهاوية الصامتة التى خرجتُ منها ، وسأعود اليها ، لماذا تركت المرءَ يفلت منك ؟ فقد كنتُ أنام فى أحضانك نوماً عميقاً ، لا تزعجه أحلام ، ولا تُخيفه يقظة ، نوماً هنيئاً وأنا ملتحفٌ بالنسيان الابدى فى أزلية اللا نهاية ، دون أن ترى عيناى هذا النهار الزائف الذى أمقتُه ، وهذه الحياة التى لا أجدفيها ، غير شقاء يتكدس فوق شقاء ، وتعاسة تَزحم تعاسة .

لقدشاءت الاقدار أن آتى إلى هذا الوجود ، ولو خُيِّرْتُ لآثرتُ البقاء فى غياهب العَدَم ، ولكن أنّى للانسان أن يؤوبه برأيه ، فقد حُكم عليه أن يرى الحياة ، ولا مَرَدّ لحكم القضاء ، فما ذلك الشَفَق البادى لاول مرة ؟ وتلك اليقظة المضطرَبة ، يقظة المخلوق الذى يجهل نفسه ؛ وهذا الفضاء الممتدُّ أمامه ؟ وهذه النظرات العميقة ، التى يلقيها المرءُ مسائلاً السماوات ؛ وهذا الافتتان المُبْهَمْ والامل الذى يملأ الجوانح ؟ . . . كل هذا يَبهر بصره ، وهو لم يزَل بعد على عتَبَة الوجود ، وفى فجر الحياة .

سلاماً ! أيها المقرّ الجديد حيث أَلْقانى الزمن ، سلاماً أيتها الكُرَة الشاهدة لما يخبّىءُ لى المقدور بين طيّات الغَيب ، سلاماً أيها المصباح المقدس المغذّى للطبيعة ، أيتها الشمس الحبيبة الاولى لكل كائنٍ حىٍّ ، سلاماً أيتها السماء الحاجبة وجه الخالق العظيم ، وأنت أيتها الارض

مَهْد الانسان . لَأَنت قصر مُنِيف يقضى فيه المرء حياته الفانية ، ثم ينحلُّ غلافه الى ذرّات ، تندغم فى ذراتك .

سلاماً أيها الانسان ، الآتى الى هذا العالم الفانى على كَرَهٍ منك ، انك خَدِيني واخى ، وانتِ أيتها الكائنات ، يا أداةَ سعادتى وهنائي ، — اذا كان ثَمَّ هناء وسعادة فى هذا الوجود — سيرى فى الطريق الذى خُطَّ لكِ ، غير عابئة بشعور يتألم ، وآمال تتحطّم ، فقد أضفتُ بمجيئي اليكِ ، قلباً الى تلك القلوب الكسيرة ، وفؤاداً الى تلك الافئدة المنسحقة .

انه لحكم لذيذ ، يستأثر اللب ، ويستهوى المشاعر ، ولكنه : وا أسفاه ! لم يخرج عن كونه حلماً فقد بدأ قريبا ، وانتهي وَشيكاً ، لان الآلام المبرِّحة فتحت لى قبل الاوان ، أبواب القبر ، الذى يتطلّع الىَّ ويدعوني ، فسلاماً يا يومى الاخير ، وكن لي أجمل يوم اكتحلت به عيناى فى رِحلتى الارضية .

لقد عشتُ ؛ لقد قطفتُ مفازة هذه الحياة ، حيث تذبل دائما تحت قدمىَّ ، كل زهرة من أزاهير الهناء ، حيث دائماً الامل يخدع الاماني ، مظهراً لى السعادة فى أفق خافق مضطرب ، حيث أنفاس الموت الحارّ تُيبس تحت شفتىّ كل الينابيع العذبة الباردة .

ولقد أرى غيرى يذوب حسرة على ما ولّى من حياته ، فيلتمس من الماضى عَوْداً ؛ باكياً على فجر ربيعه الآفل ، نادبا الاوقات التى اقتطعها الزمن من حياته ، كأن العيش بهجة وصفاء ، لا تعاسة وشقاء .

أما أنا ، فلو أنّ القدَر بلّغنى منى النفس وامانيها ، وحبانى

بالثراء والسؤدد والمجد ، واعطانى كل مفاخر العالم ، ومنحنى الحكمة والجمال والصبا الخالد ، لأعرضت عن المنح غير آسف ، لانى لااصبو الى العيش فى دنيا زائلة فانية ، تذبل ذبول وردة عند لفح السموم ، دنيا كل مافيها مضطرب مشوّش مبهم ، فالذكرى الخالدة تبلى فيهاويعفو أثرها ، ويوم الهناء لاتبزغ فيه شمس ؛ ولا يعقبه غد

أيها اللهيب الذى يفترسنى ، أيها الرُوح ، أى شىء أنتَ ؟ هل ستحيا بعدى ؟ هل ستتألم اذا تركتك ؟ أيها الضيف الخفىّ المستتر ، ماذاسيحلّ بك بعد هجرى ؛ هل ستنضم الى مشعل النهار وتندغم فيه؟ اذ قد تكون شرارة ضئيلة من ناره ، أو شعاعاً تائهاً يرتد اليه ، ويعود الى مصدره ، أو عصارة نقية كونتها الارض ، أو طيناً نفخت فيه نسمة الحياة، أو صلصالا حيًّا مفكّراً ، . ولكن ماذا أرى ؛ لِمَ ترتعد فرَقاً؟ أتخشى العَدَم وأنت تَعِب من الآلام ؛ أتخاف الحياة وترتجف من الموت ؟

أيها اللغز الخفىّ ، من يحلك ، ويفسّر أحاجيك ؟ عَبَثاً أصغى الى أصوات حكماء العالَم ، فالشك قد تطرّق أيضاً الى هذه العقول الجبّارة اذ لم تخرج عن كونها مجبولة من صلصال كغيرها ، فمنذ الفى سنة ونيّف افنى سقراط عمره باحثاً منقّباً ، واحتذى حذوه افلاطون ، ولكن عبثاً وها أنذا اليوم أسعى وأبحث ولن أفوز بضالتى ، وستمضى ألوف السنين ، وبنو آدم يتخبطون فى الظلام الذى نحن فيه ، والحقيقة الشاردة بمنجاة من قبضة أيدينا ، والله وحده يجمع كل أشعتها المتفرقة

والآن وقد أوشكتُ أن أغمض عينى عن نور هذه الحياة ، فلا

أجد اقل أَمَل يواسيني في ساعتي الاخيرة ، فستسير رُوحي دون دليل ولا ضياء ، من ليل هذه الحياة الداجي ، الى ليل القبر الحالك ، حاملة الى العالم المجهول ، فضائلي دون أمل ، وآلامي دون ثواب .

أَجِبْني أيها القضاء الظالم الغشوم — اذا كان ثَمَّ شيء يسمي قضاء — اذ لي الحق المشؤوم ان العن شرائعك ، فبعد كدّ النهار وتعبه ، يحق للأجير أن يأوي الى ظلال الراحة والهدوء ويقبض كراءَه ، ولكني عندما أَنوء تحت حِمل القَدَر ، لايكون جزائي بعد مشقة الحياة وآلامها غير الموت !

* * *

ولكن بينما في يعبق بِنَتْنِ الشك والتجديف ، وعيناى تنظران الى قبرى ، وتبكيان على نفسي ، استيقظ فيّ الايمان كأنه ذكرى لطيفة ، والقى شعاعاً من الامل على مستقبلي الكالح ، فانعشني تحت ظل الموت والهب قواى ، واعاد الى أيامي العتيقة شباب النفس وريعانها ، فصعدتُ تحت ضوء هذا المِشعل المقدس ، من مغرب حياتي الى صباحها الضاحك ، وتجلّى أمامي حظ الانسانية جمعاء ، وتبدّى لناظري نظام الكون البديع وتسلسلَ اشيائه المنسجم ، وقرأت في صفحة المستقبل صواب الحاضر ، فاغلقَ الامل ورائي أبواب العَدَم ، فاتحاً الأفق لرُوحي النَّشْوَى ، ومفسِّراً بالموت لغز الحياة

وهذا الايمان الذكي ينتظرني على حافة القبر ، وا أسفاه ! لقد تذكرته : فقد حام فوق مهدي ، وهو الإرث الخالد لارض المَعاد ، يتركه الآباء للابناء من جيل الى جيل ، ويتقبّله عقلنا منذ يقظته الاولى ، عطية آلهية

كما يتقبل الحياة ونور الشمس ، فهو اللبن المغذّى للروح ، ينسكب من فم الام ، فيملأ جوانحنا ثقة ، وقلوبنا أملاً . يتغلغل الى الانسان فى فصله الغضّ ، فيشع نبراسه فى الفؤاد ، قبل أن ينفتق الذهن ويعيى العقل ، والطفل فى مهده لا يكاد يتلفظ بمخارج الكلام ، حتى يتمم قانونه السامى فينمو فى قلبه ، تحت رعاية الام الحنون ، جنباً الى جنب مع الفضيلة ؛ دون أن يشعر به حتى تتأصل جذوره ، فيورق ويثمر .

حبذا لو أن الحقيقة جُعِلَتْ لهذه الارض ، فقد عُرضت على أنظارنا منذ طفولتنا ، وتسللت الى نفوسنا من كل جهة ، عن طريق الحواس ، كما يتسلل الشعاع الطاهر ، من اللهيب السماوى ، فقد أحاطت بنفوسنا منذ انبثاق فجرها ، وانحدرت الى قلوبنا من مداركنا ، فانضمت لتذكاراتنا ، وذابت فى أخلاقنا ، كحبّة مخصبة يُدثّرها الشتاء ، فتنبت فى أفئدتنا طويلا قبل أن تفرخ ، حتى اذا جاوز الانسان صيفه المملوء اعصاراً برزت أغصانها ، وتفتحت اكمامها ، واينعت اثمارها الالهية للخلود .

أيتها الشمس السرية ، مصباح العالم الآخر ، أعيرى عينىَّ المطفأتين نورَك الرمزى . إنبعثْ من احضان العلىّ أيها الشعاع المعزّى ، أشرقْ فى قلبى أيها الكوكب المحيى . لهفَ نفسى ، ليس لي غيرك فى ساعاتى العصيبه ، فهذا العقل الانساني سراج ضئيل ، يخبو كالحياة على أعتاب القبر ، فتعالَ لتحل محله أيها النور السماوى ، تعالَ لتفيض على جفنىّ يوماً لاسحاب فيه أعضْنى عن الشمس التى لن أراها فيما بعد وأَنِرْ الافق كما ينير كوكب المساء ، لأحظى بحياة سرمدية خالده ، برهتها آجال ، وهنيهتها اجيال .

طنطا

نصيف جورجى نيقولاوس

نساء العرب والحرب

للنساء فى الاسلام حضارة واسعة المدى مترامية الاطراف إذ نبغ منهن من اشتهرن بالعقل والحكمة وسعة الاطلاع وكان لهن أكبر تأثير فى الهيئة الاجتماعية والانقلابات السياسة وضربن بسهم وافر فى مختلف العلوم حتى ظهر منهن من قدن الجند وتولين الملك ومن شغلن مراكز كبيرة فى الدولة . فضلا عن المشتغلات بالفنون الجميلة والكاتبات والشاعرات والطبيبات والمشتغلات بعلوم الحديث والفقه حتى أن جهابذة الرجال اخذوا عنهن وأجزن (١) للكثير منهم مثل العلامة ابن عساكر المحدث والمؤرخ وأبو نواس الشاعر المشهور والعلامة ابن حجر العسقلانى المؤرخ وغيرهم مما لا تتسع هذه العجالة لذكرهم

وقد حفظ لنا التاريخ اسماء النابغات منهن منذ صدر الاسلام الى وقتنا هذا .

وسندلى بشذرات صغيرة عن اشتراكهن فى ميادين القتال ومداواتهن الجرحى واكبابهن بما لهن وحليهن لمساعدة الجيوش

غزوة بدر — سنة ٢ هـ — ٦٢٤ م فى هذه الغزوة تقدمت أم سليم ورقة بنت نوفل إلى النبى صلى الله عليه وسلم وقالت له ائذن لى فى الغزو معك امراض مرضاكم لعل الله يرزقنى الشهادة . قال قومى فى بيتك فان الله عز وجل يرزقك الشهادة . فكانت تسمى الشهيدة

غزوة احد شوال سنة ٣ هـ مارس سنة ٦٢٥ م من ابطال هذه الغزوة أم حبيب نسيبة بنت كعب

وكانت أم قيس بنت عبدالله تملأ الماء فى القرب وتسقى الجيش

وبينما كان المسلمون تتقاتلون كانت النساء فى حصن حسان بن ثابت ومعهن صفية (٢) عمة النبى صلى الله عليه وسلم وإذا بيهودى يطوف بالحصن فنزلت صفية

(١) الأجازة بمثابة الشهادة فى عصرنا

(٢) فى تاريخ الاسلام للذهبى أنها كانت يوم الخندق

وأخذت سيفا وقيل هراوة فضربت اليهودى حتى قتلته.

غزوة تبوك — سنة ٩ هـ ٦٣٠ م فيها اعان النساء الجيش بكل ماقدرن عليه وقدمن لرسول الله صلعم معاضد وخلاخل وأقراطا وخواتيم لاعانة المسلمين فى جهازهم والناس فى عسرة شديدة

فتح اليمامة — سنة ١٢ هـ ٦٣٣ م من نابغات النساء فى هذه المعركة أم حبيب نسيبة بنت كعب ظلت تقاتل حتى انصرفت وبها جراحات. وأم عمارة بنت كعب الانصارية

واقعة القادسية سنة ١٤ هـ — ٦٣٥ م اشترك فى هذه الواقعة الصبيان والنساء مع المجاهدين فكن يدفن الشهيد وتحمل اليهن الجرحى لمعالجة كلومهم

ومن الشجاعات فى هذه الوقعة الخنساء الشاعرة. قاتلت ومعها نبوها أربعة رجال فقالت لهم أول الليل

«يابنى انكم أسلمتم طائعين وهاجرتم مختارين والله الذى لا اله إلا هو انكم لبنو رجل واحد كما أنكم بنو امرأة واحدة ماخنت أباكم ولا فضحت خالكم ولاهجنت حسبكم ولا غيرت نسبكم. وقد تعلمون ما أعد الله للمسلمين من الثواب الجزيل فى حرب الكافرين. واعلموا أن الدار الباقية خير من الدار الفانية. يقول الله عز وجل «يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون» فاذا أصبحتم غداً إن شاء الله سالمين فاغدوا إلى قتال عدوكم مستبصرين وبالله على أعدائه مستنصرين، فاذا رأيتم الحرب قد شمرت عن ساقها واضطربت لظى على سباقها، وجللت نارا على أرداقها، فلتيمموا وطيسها وجالدوا رئيسها عند احتدام خميسها تظفروا بالمغنم والكرامة فى دار الخلود والمقامة». فخرج بنوها قابلين لنصحها عازمين على قولها. فلما أضاء لهم الصبح بادروا إلى مراكزهم واستمروا يقاتلون حتى قتلوا رحمهم الله تعالى فبلغها الخبر فقالت الحمد لله الذى شرفنى بقتلهم وأرجو من ربى أن يجمعنى بهم فى مستقر رحمته

وكان عمر بن الخطاب رضى الله عنه يعطيها أرزاق أولادها الأربعة لكل واحد مائتا درهم حتى توفى.

ومن نظمها

تعرقنى الدهر نهسا وحزاً واوجعنى الدهر قرعاً وغمزاً

وأفنى رجالى فبادوا معا فأصبح قلبى منهم مستفزا
ومن ظن ممن يلاقى الحروب بأن لا يصاب فقد ظن عجزا

وفيها تقول

ونلبس للحرب أثوابها ونلبس فى الامن خزاً وقزا

مرج الصفر — سنة ١٤ هـ (٦٣٥م) أقام المسلمون بها خمسة عشر ليلة من المحرم ثم رجعوا إلى دمشق فحاصروها ستة أشهر إلا يوماً

ولما كانت وقعة اجنادين التقوا على النهر واشتد القتال وانتصر المسلمون وقتلت يومئذ أم حكيم أربعة من الروم بعمود فسطاطها

واقعة اليرموك (سنة ١٥ هجرية — سنة ٦٣٦ م) فى هذه الوقعة انتصر المسلمون انتصارا باهرا على الروم وكان للنساء فى هذا النصر نصيب يذكر بكل ثناء واعجاب فقد قاتل نساء من قريش بالسيوف حين دخلن العسكر. منهن أم حكيم بنت الحارث بن هشام

ولقد كان لهن فى هذه الواقعة مواقف مشهودة واليهن يرجع الفضل فى نصرة المسلمين ففى ميدان القتال بعد ان خطب ابو سفيان بن حرب فى الجيش مشجعا ، رجع الى النساء اللاتى مع المسلمين. وكان كثير من المهاجرات قد حضرن يومئذ مع أزواجهن وابنائهن وجلسن خلف صفوف المسلمين فأمر بالحجارة فالقيت بين أيديهن ثم قال لا يرجع اليكن أحد من المسلمين الا رميتموه بهذه الحجارة وقلن له (من يرجوكم بعد الفرار عن الاسلام وأهله عن النساء وهم أمام العدو . الله الله)

ولما نشبت الحرب بين الفريقين وحمى وطيسها تقهقر بعض المقاتلين من المسلمين فاستقبلهم النساء ومعهن عمد البيوت وأخذن يضربن وجوههم ويضربونهم بالحجارة

وفى أثناء القتال انكشف فريق من المسلمين وثبت فريق آخر وركبت الروم اكتاف من انهزم حتى دخلوا معهم المعسكر فاستقبلهم نساء المسلمين بعمد الفساطيط يضربن بها وجوههم ويرمونهم بالحجارة ويقلن أين أين عز الاسلام والامهات والازواج ، فيعطف الذين انهزموا الى باقى صفوف المسلمين

واستمر القتال حتى شد طرف من الروم على عمر بن العاص فانكشف هو واصحابه

حتى دخلوا أول العسكر وهم فى ذلك ينشدون و يقاتلون فنزل النساء بعمدهن من التل فضربن وجوه الرجال . ونادت فى الناس ابنة العاص (قبح الله رجلا يفر عن خليلته، وقبح الله رجلا يفر عن كريمته)

وسمع نسوة منهن يقلن، لستم بعولتنا ان لم تمنعونا ، فتردد المسلمون وزحف عمرو وأصحابه حتى عادوا الى قريب من موقفهم واجتمع المسلمون و حملوا على الروم حتى اضطروهم الى صفوفهم وشد المسلمون باجمعهم شدة واحدة حتى تم لهم النصر

ومن بطلات هذه الواقعة اسماء ابنة يزيد فانها قتلت بعمود خبائها تسعة ومنهن هند ابنة عتبة ام معاوية بن ابى سفيان

ومنهن أيضا خولة بنت ثعلبة الانصارية

واقعة صفين سنة ٣٨ هـ ٦٥٨ — ٦٥٩م

كانت بين على بن أبى طالب رضى الله عنه ومعاوية، وكان للنساء فيها شأن يذكر وكان يسمع نداء الزرقاء ابنة عدى وهى تحض على القتال وتوقد الغيرة فى صدر الجبان وتجعل الحياة رخيصة . ولكن هذه العجالة تضيق عن حصر كلماتها هى ومن ساذكرهن

فما قالته

«أيها الناس ان الحق كان يطلب ضالته فاصابها فصبرا يا معشر المهاجرين على الغصص فكان قد اندمل شعب الشتات والتأمت كلمة الحق ودمغ الحق بالظلمة فلا يجهلن أحد فيقول كيف وانى بيقضى الله أمرا كان مفعولا. الا وأن خضاب النساء الحناء ، وخضاب الرجل الدماء . . .

و منهن عكرشة ابنة الأطرش كانت متقلدة سيفا وتنادى فى صفوف المجاهدين

«أيها الناس عليكم أنفسكم لايضركم من ضل اذا اهتديتم . ان الجنة لا يرحل من توطنها ولايهرم من سكنها ولا يموت من دخلها. فابتاعوها بدار لايدوم نعيمها ولا تنصرم همومها وكونوا قوما مستبصرين فى دينهم مستظهرين بالصبر على طلب حقهم»

ومنهن أم الخير ابنة حريش فانها كانت تحرض الفرسان على الثبات وتؤجج فى

قلوبهم نار الحمية بما يهجنهم من الاقوال الحماسية، والمظاهر التي تلتهب لها الصدور غيرة فمن قولها

«يا أيها الناس: اتقوا ربكم ان زلزلة الساعة شيء عظيم. ان الله قد أوضح لكم الحق وابان الدليل و بين السبيل و رفع العلم ولم يدعكم فى عماء مدلهم. فاين تريدون رحمكم الله. أفرارا من أمير المؤمنين أم فرارا من الزحف، أم رغبة فى الاسلام، أم ارتدادا عن الحق. أما سمعتم الله جل ثناؤه يقول ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين ونبلو أخباركم . . .

غزالة امرأة شبيب

وفى سنة ٧٧ هـ (٦٩٦ م) حصلت وقائع بالموصل بين الحجاج وشبيب ابن يزيد بن نعيم فبعث اليه الحجاج خمسة قواد فقتلهم واحدا بعد واحد ثم خرج الحجاج لقتاله.

وكان يقاتل مع شبيب ام جهزة وامرأته غزالة وكانت غزالة من الشجاعة والفروسية بالموضع العظيم تقاتل فى الحروب بنفسها. ولقد نذرت مرة لتصلين فى مسجد الكوفة ركعتين تقرأ فيهما سورتى البقرة وآل عمران فاقدمت على المسجد فى سبعين فارسا فصلت فيه الغداة وخرجت من نذرها. و برزت يوما للحجاج فكشفته عن عسكره وقصدت الراية فولى بين يديها منهزما وفى ذلك يقول من يهجوه

أسد على وفى الحروب نعامة فزعاء تفزع (١) من صفير الصافر
هلا برزت الى غزالة فى الوغى بل كان قلبك فى جناحي طائر

فى سنة ٨٠ هـ ٦٩٩ م سار يزيد بن أبى كبشة فالتقى هو والريان النكرى بالبحرين. ومع الريان امرأة تقاتل اسمها جيدا وما زالت تقاتل حتى قتلت

وفى سنة ١٢٣ هـ ٧٤٠ — ٤١ م — خرج عشرون ألفاً من الروم ونزلوا ملطية فأغلق أهلها أبوابها وظهر النساء على السور عليهن العمائم (٢) وقاتلن.

ولوالدة رافع (٣) الأقطع أمير العرب بنواحي بغداد أراجيدة فى الحروب

---

(١) وفى رواية فتخاء تجفل من صفير الصافر

(٢) العمائم. من أزياء النساء استعملت منذ الصدر الأول للاسلام وظلت موجودة الى القرن الثالث عشر الهجرى

(٣) توفى رافع المذكور سنة ٤٢٧ هـ

فتح أرسوف ٦٦٣ هـ ١٢٦٥ م افتتحها الملك الظاهر بيبرس واشترك النساء مع المجاهدين وقدمن بمداواة الجرحى والقيام بحوائج الجيش ومنهن من تولى جر المنجنيق وهو عمل شاق بمثابة عمل الطوبجى فى الجيش

حرب الوهابيين سنة ١٢٢٨ هـ ١٨١٣ م . سافر طوسون باشا من الطائف ومعه ٢٠٠ جندى للغارة على «تربة» لحرب الوهابيين ولم يحصل من قبائل العرب مقاومة أشد مما اجراه عرب أبى جوم فى تربة وكان قد لجأ اليها معظم عساكر الشريف غالب وصارت تجمع كل الوهابيين الموجودين فى الجنوب . كما أن الدرعية تجمعهم فى الشمال . وكان قائد هؤلاء العربان فى هذا الوقت أرملة اسمها غالية كان زوجها أشهر رجال هذه الجهة ، وكانت هى على غاية من الغنى والثروة فوزعت جميع أموالها على فقراء العشائر الذين يرغبون فى محاربة الترك ، فلما أمر عساكره بالهجوم كان العرب محافظين على أسوار المدينة بشجاعة ومستبشرين بوجود غالية معهم وهى المقدمة عليهم فصدوا طوسون وعساكره

وفى اليوم الثانى شرع طوسون وعساكره فى التقهقر فاضطروا إلى ترك خيامهم وسلاحهم وكانت النتيجة المنتظرة لهذا الفشل أن يموت جميع العساكر لولا أن شرذمة من الخيالة استردوا مدفعاً وحفظوا به خط فى الرجعة وتعطلت بعد ذلك الاجراءات الحربية ثمانية عشر شهرا

(شذرات عن شجاعتهن)

أم عطية الانصارية نسيبة . روى عنها أنها قالت غزوت مع النبى صلى الله عليه وسلم سبع غزوات فكنت أصنع لهم طعامهم وأخلفهم فى رحالهم وأداوى الجرحى وأقوم على المرضى

روى لنا الذهبى فى تاريخه أن أسماء ابنة أبى بكر اتخذت خنجرا فى زمن سعيد ابن العاص للصوص ، وكانوا استفزوا من المدينة فكانت تجعله تحت رأسها .

جرح فتى من العرب فجاء الى أمه يستسقيها ماء فقالت له ان الماء لن يفوتك أبدا . اذهب فخذ ثارك ، وأخرجته ولم تسقه . هذه عجالة صغيرة عن اشتراك النساء المسلمات فى القتال راعيت فيها الايجاز اتقاء للملل . وقد أعطتنا صورة واضحة عن شجاعتهن فى عصور الاسلام وما كان لهن من أثر حسن فى الفتوحات الاسلامية ؟

حسن عبد الوهاب

حقيقة الدهر

أو أم الهول

تزيَّنَتْ ويَدُ الأيامِ قد رسمتْ ... على الجبين سطوراً تُعلن الرَّاثى
أن الزمانَ مشى يلهو بِخِلْقَتِهـا ... كما يعكِّرُ طفلٌ صافيَ الماءِ

* * *

لكنَّما الماء يصفو بعد حُلْكته ... وخِلْقَةُ المرءِ لا تُجْلَى ولا تصفو
فما لها تخدع الشبّانَ واهمةً ... أن الشبابَ بأرواح لها يهفو!!

* * *

تزيَّنَتْ ثم غالتْ فى تزيُّنها ... حتى بَدَتْ كفتاةٍ فى فتوَّتها
لا فَرْقَ فى الثَّوْب، فالفستانُ مرتفعٌ ... يعلو عن الجَوْرَبِ السامى لركبتها

* * *

كفاك! صونى سنيناً قد عَبَثْتِ بها ... وخلفى الغيدَ تلهو وحدها حينا
كلٌّ له وَقْتُهُ إن زاد نمقتُه ... كلُّ العيونِ ولو قد زاد تزيينا

* * *

الحُسْنُ من نعمة الرحمٰن مَوْهبةٌ ... لافى المساحيق، أوفى حُق سيمونِ(١)
إن كان يبقى جمالٌ في طلاوتهِ ... يبقى الطلاء على وجهٍ بلا حينِ (٢)

* * *

صُونى السنينَ فقد أصبحتِ صُورةَ ما ... يُسامر الرَّملَ فى صحراوةِ الجيزه(٣)
وخبِّرى الناسَ عن (مينا) إذا سألوا ... في مصرَ، أو سألوا فى الصين عن (بوذا)

حسن كامل الصيرفى

---

(١) حق سيمون : هو كريم سيمون المعروف و يعلنون عنه أن فيه سر الجمال
(٢) بلا حين : بلا وقت محدود
(٣) هو أبو الهول

مفتاح القلوب

الأستاذ الشاعر عبد الرحمن شكرى فى طليعة الشعراء المجددين فى مصر بل فى العالم العربى . وكل دراسته للشعر الحديث لاتتناول أجزاء ديوانه الحافل تكون فى اعتبارنا ناقصة. وقد أصدر حتي الآن سبعة أجزاء عامرة من نفيس الشعر ، وهذه القصيدة الوجدانية البديعة من الجزء الثامن المحفوظ ، ونحن ننشرها مغتبطين شاكرين لاتنوهاً بفضل هذا الشاعر الجليل الذى تكفيه مدى العمر فتوحاته الماضية .

هل عندك الخُبْرُ والخَبَرْ عن مُعْلِنِ السِّرِّ ياقَدرْ ؟
فَهَبْهُ لى أتَّقِى الأعادى وأعرفُ الصادقَ الأبَرْ !
مِنْ قَبْلِ أن أنقمَ العوادى وألعقَ الصابَ والصبِرْ
فأعرف الحافزاتِ طرّاً الى المَودّاتِ والسِّيَرْ
باطالما غرّنى ابتسامٌ كما باسمٍ قلبُه كشَرْ !
قد حِرْتُ دَهْراً وحار منّى قَوْمٌ نِهابُ الذى استترْ !

* * *

هل عندك الخبْرُ والخَبَرْ عن مُعْلِنِ السِّرِّ يا قدرْ ؟
ليقرأ العاذلون غَيْبِى ويأمنَ الحبُّ إنْ نَفَرْ !
واحرَّ قلبى إذا تناءى وخالنى الغادرَ المكِرْ !
فيعرف الخلُّ أنَّ قلبى أصْفى من العَذبِ فى الغُدُرْ
قد أخفق الحُبُّ فى بيان وأخفقَ اللحظُ والبَصَرْ
وأخفق العيشُ وهو سِفْرٌ يُتْلَى على الحازمِ الحَذِرْ !

* * *

هل عندك الخُبْرُ والخَبَرْ عن مُعْلِنِ السِّرِّ ياقَدرْ

عبد الرحمن شكرى

الامبراطور ابو مسلم

ومقالات (القتل السياسى فى الاسلام)

كنا أردنا وضع حد لهذا العبث التاريخى بعد أن نبهنا فى عدة ردود على هذه المقالات التى تكتب تحت عنوان القتل السياسى فى الاسلام بجريدة السياسة الاسبوعية. وأن هذه الحقيقة تنحصر فى نقط محدودة من التاريخ الاسلامى فى القرن الاول للهجرة. وأنه لمن الخطأ الواضح الاسترسال فى ايراد القصص التاريخية معنونة هكذا ولكن بعد أن محضنا النصح فلم يسمع لنا ماضرنا أن يسرد تحت هذا العنوان جميع القصص التاريخية منذ بدء الخليقة إلى برقيات آخر ساعة من حوادث العالم وحتى تاريخ أوربا القديم والحديث والثورة الفرنسية ونابليون وما أشبه ذلك، كما أنه ماضرنا أن نستمر فى ملاحظاتنا على هذه المقالات لامن باب الاهتمام بشأنها وإنما لنتسلى بما فيها من سفساف

اعتدنا فى ردنا على صاحبنا أن ننقل بعض عباراته حرفياً ثم نناقشها منطقيا دون افتيات أو تحامل وهاك أول مابدأ به من المقال المعنى بهذا الرد قال أتقدم اليك بشخصية من أضخم شخصيات التاريخ وأروعها. وأنا لا أعرف رجلا قد تذوق شيئا من المنطق والتاريخ يذهب إلى أن شخصية أبى مسلم من أضخم شخصيات التاريخ وأروعها إلا إذا كان لم يعرف من التاريخ غير أبى مسلم وإلا فأين أبو مسلم هذا من الحجاج بن يوسف وهو تلك الشخصية الفذة التى حملت من اعباء الحوادث ماينوء تحتها آلاف أبى مسلم وأخضعت من رقاب كانت تطاول الجوزاء ونكست من رءوس ماكان لتنكسها سطوة كسرى ولاجبروت قيصر وأرغمت أنوفا لم تكن راغمة لولا عزمة من الحجاج تكل دونها عزمات الرجال ذلك؟ الرجل هو ذو الشخصية التى يقال عنها بحق إنها من أضخم شخصيات التاريخ وأروعها، ومن الغريب أن الحجاج تقدم فى بحوث صاحبنا قبل ذكر أبى مسلم، فلم وقع نظره على هذا الاخير وتقدم به

مقرونة شخصيته بشخصية الامبراطور نابليون ، ومالك ياهذا ونابليون فى ذكر أبى مسلم وغير أبى مسلم من عمال وأجراء ومسخرين يعملون لمجد الغير وليس لهم مطمع فى أن يستقلوا بهذا المجد بل ولا ما كانت لتجرى به ألسنتهم إلا مقرونا باسناده إلى أهله والتوسل بهم فى انجاح مسعاهم. فهل كان ذلك شأن نابليون فى حياته التاريخية ؟ أم أن لنابليون شأن آخر غير شأن أبى مسلم من استقلال وعظمة وسؤدد وعبقرية فذة فى الاصلاح الاجتماعى والسياسى والادارى وغير ذلك من المزايا والصفات التى لو عرفها ذلك المؤرخ لو فرغ على السياسة الاسبوعية ذلك الفراغ من صفحاتها القيمة لتشغل من غيره بكل قيم مفيد. ذهب أبو مسلم الى ابراهيم الامام وقبل يده فباركه ابراهيم وولاه الشيعة الخرسانية ، وكون ابى مسلم شاباً أو شيخا فليس هذا محل بحث المؤرخ المسئول الذى يعنى مايقول، وإنما يكفى أن نقول ان أبا مسلم كلف بالقيام بالدعوة العباسية وهو رجل تام الرجولة كان قد تجاوز سنه سن ضابط تخرج عندنا من مدرسة الحربية فى هذا العصر فليس فيما فعل من مجهود ومانال من نجاح غرابة بالنسبة إلى سنه وليس هذا مما يصح أن يعطى أهمية تاريخية ويكون وجها من وجوه المقارنة بين أبى مسلم ونابليون وليس من المستغرب أن ينال الانسان مجده فى ابان شبابه بل هذا هو الاصل فى نيل الرغائب والظفر بحاجات النفوس . يقول حضرته (وحيث أنى قد طرحت بين يديك المقارنة بين هذين العظيمين فاسمع ماأقوله عنهما) ثم بدأ بأبى مسلم فنقل فيه عبارة بن خلكان حرفيا حتى استغرقت صفحة من صفحات السياسة إلى أن انتهت بقتل أبى جعفر المنصور لابى مسلم وبينا نحن فى مسأمتنا من تلاوة قصة بن خلكان وتاريخ أبى مسلم المعروف ننتظر جديداً عن تاريخ نابليون حتى نعرف اتفاق الرجلين العظيمين فى المزايا والصفات وهما اللذان تقدم لنا بهما حضرته مقرونة شخصية كل منهما بشخصية الآخر . نعم . انتظرنا وانتظرنا طويلا وباشتياق عظيم لأن يطرح آمامنا تاريخ نابليون كما وعدنا فى مقدمته فاذا الامضاء الكريم واختتمت المقالة ولم نر أثراً فى التكلم على الامبراطور نابليون كما تكلم عن امبراطوره أبى مسلم عدا المقارنة الفارغة التى صدر بها مقاله وعدا تلك الجملة الركيكة التى جاءت عرضا ضمن كلامه وهى قوله (كذلك نابليون قام لمجد فرنسا فأمعن فى

التوفيق وأخضع أوربا وغير أوروبا ورفع نفسه إلى العرش عقب الثورة الفرنسية إلى أن قال.
(ومن العجيب أن حياة كليهما انتهت بفاجعة فالاول قتل بيد أبي جعفر والثاني مات.
مهموما في منفاه) وإلى هنا اعتقد هذا المؤرخ الساذج أن المقارنة قد تمت بين الرجلين
فقال (والآن وقد فرغت من هذه المقارنة فسأعود بك إلى المترجم) وحيث أن
حضرته تهرب من الكلام على نابليون لانه لم يعثر له على ابن خلكان آخر ينقل منه
عبارته فنحن نرحم ضعفه من هذه الوجهة ونناقشه في عبارة الصدر. يقول المؤرخ
اللبق في مقارنته اللطيفة (أن ذهاب أبي مسلم إلى خراسان وحربها كان بعد العشرين
اظفر نابليون في استرلتز كان بعد العشرين بسنين) كنت أريد أن أغض عن هذه
النقطة المهمة من جهل هذا المؤرخ بتحديد سن كل من الرجلين في الحادثتين المهمتين
اللتين اختارهما للمقارنة بينهما، لكن أمانة النقد تأبى إلا أن نسوق هذه الملاحظة
الدقيقة ليعلم القارئ ما إذا كان هذا المؤرخ يكتب عن علم بالتاريخ أم أنه مجرد
تهويش في أن يقول حضرته أن فلانا ذهب إلى كذا بعد العشرين وآخر ذهب إلى
كذا بعد العشرين بسنين، مع العلم بأنه يظهر أن هذه هي النقطة الوحيدة التي عرفها من
تاريخ نابليون، ومع ذلك يجهل كم كان سن نابليون بالضبط عند ظفره في استرلتز.
ولنعد إلى مناقشته في هذه المقارنة. أبو مسلم ونابليون كلاهما دعي للحرب والجلاد
وحضرته يقرر بأن كلا منهما كان يتجاوز سن العشرين فهل كنت ياهذا تنتظر أن
يدعى لمثل هذه المواقف الخطيرة — ليقتحم مافيها من عراك ونزال — الشيوخ
والكهول ما بعد الاربعين والخمسين ليعتمد عليهم في كسب المعركة ونيل الظفر ؟ فليست
المقارنة في اتفاق الرجلين في الشباب وقت نهوضهما وإنما فقط في النبوغ والطموح
وخطورة الحوادث التي مرت على كل واحد منهما. فهل كانت هذه الامور محل بحث
لهذا المتصدي للأمر لم يخلق له ؟ ذهب أبو مسلم إلى خراسان وظفر نابليون في استرلتز ،
فما وجه المقارنة بين رجل ذهب إلى جهة وآخر ظفر بجهة أخرى . يقول حضرته
(إن أبا مسلم قام بالدعوة لبني العباس فأذل العرب ورفع بني العباس إلى سماوة المجد
بعد أن زلزل هذا العرش بني أمية) فهل سمع الناس أعجب من هذا مؤرخ ؟ أبو مسلم
أذل العرب لبني العباس ! وبنو العباس هم العرب وأصل العرب ومن أجلهم خضعت

العرب، وليست مهمة أبى مسلم أن يذل العرب لبنى العباس فقط و إنما العرب وغير العرب، الدعوة إلى الجميع على حد سواء. وان تعجب فعجب قول هذا المؤرخ (بعد أن زلزل عرش العباس ببنى امية) أى عرش جماعة كان قبل الآخرين. أعرش بنى العباس أم عرش بنى أمية ؟ و إذا فكيف زلزل عرش بنى العباس ببنى أمية ولم يكن لبنى العباس عرش قد وجد بعد ! ؟ ألا يحق لنا أن نقول :

هذا كلام له خبيء معناه ليست لنا عقول

إن دعوة بنى العباس فى خراسان وغير خراسان كان قد أثمر ثمرها وأينع وكانت قد وجدت من طبيعتها تربة خصبة بعد أن سئم الناس حكم الأمويين فان كان أبو مسلم قد وقف على رأس الحوادث الفاصلة فهذا حظه من تاريخ حياته ولسنا ننكرين ما كان عليه من مكانة ممتازة وشخصية بارزة على كثيرين من أهل زمانه كما أن لغيره شخصيات فى التاريخ الاسلامى بل ربما فاقته مثل شخصية الحجاج التى سبق أن نوهنا عنها وطاهر بن الحسين موطد عرش المأمون وهو ما إذا أحللناه بين رجال التاريخ كان العلم الفرد وغير هذا . وذاك كثير : أما ان أبا مسلم قتل ستمائة ألف فهذا مما لم يذكره مؤرخ على أنه مزية من مزايا نابليون، أو أن اسناد هذا الأمر إلى رجل من رجال التاريخ مما يشهد بعظمة هذا الرجل. وإنما يستوى فى ذلك قطاع الطرق وزعماء العصابات المعروفة لكثرة فتكها ببنى الانسان . وأما المقارنة بين الرجلين فى فاجعتهما، فليس هنا وجه للشبه، إذ أن أبا مسلم كان قد اضطغن عليه ثانى خليفة فى الدولة التي عمل لها فقتله، لاخشية أن يكون لأبى مسلم مطمع فى الخلافة لأن أبا مسلم كان يفقد عناصر الخلافة ومزاياها فى ذلك العصر، و إنما خشية أن يستعمل نفوذه إلى جهة أخرى تهدد خلافة العباسيين أو أبا جعفر بالذات . أما فاجعة نابليون فليست من هذا القبيل بل هى نتيجة لمطامع الرجل التى ما كانت لتحد لو لا أن وقف له القدر حائلا دونها. فمكانة نابليون فى التاريخ ترجع إلى أسباب ومزايا هى غيرها فى أبى مسلم يكفى منها ما أشرنا اليه إجمالا من النبوغ المدرسى أولا ثم فى الحركة العلمية التى تجلت فيها عبقريته حتى أدهشت الجميع ثم فى مطامعه وتحديه العالم أجمع ليكون تحت نفوذه وسلطانه، وغير ذلك من الصفات التى يعرفها كل من استوعب تاريخ نابليون .

أما القول المأثور عن المأمون بأن أبامسلم أحد الثلاثة الذين قاموا بثقل الأرض فهذا قول رجل فى صنيعة من صنائعهم، وليس فيه أقل دليل على أن زعيم الشيعة الخراسانية قد تفرد بعظمة تاريخية استحق بها أن يضعه مؤرخ هذه الايام فى صف الامبراطور نابليون ، ومن يدرينا لعل لحضرته عذراً فى الاستدلال بكلمة المأمون إذ ربما خيل اليه سهواً أو جهلا أن نابليون كان قد تقدم عهد المأمون فأغفله هذا من ذكر الثلاثة الذين قاموا بثقل الأرض وليس هذا ببعيد على رجل يصرح له بالكتابة فى السياسة الاسبوعية فيقول فى عبث وجهل أن عرش بنى العباس — قبل أن يخلق هذا العرش — كان مهدداً ببنى أمية ثم يأتى برجل من رجال القرن الثامن ليضعه فى صف رجل فى القرن التاسع عشر فيتقدم بهما فى غير ماخجل مقرونة شخصية كل منهما بشخصية الآخر وهو مالم يحلم به أبو مسلم الخراسانى حتى بعد إساءته الى ستمائة الف من بنى جلدته ودينه الآمنين يقتلهم ظلما وعدوانا خدمة لسادته العباسيين فمن هم سادة نابليون إن صح زعمك أنك تعرف شيئاً عن تاريخه ؟

مؤرخ

اطلبوا جميع مايلزمكم

من

مكتبة الوفد

ترسل قائمتها مجاناً خالصة اجرة البريد — كتب مختلفة وروايات مستنوقة — بشارع الفلكى بجوار بوستة باب اللوق بمصر — ومجلدات وصحف وأدوات كتابية . تجليد حفر الكليشهات . وعمل أختام كاوتش بخطوط جميلة

لأنها المكتبة الوحيدة التي تقوم بخدمة زبائنها بأخلاص فاعتمدوا عليها فى جميع انهاء حوائجكم

فى سبيل الصحافة

بقلم السير فيلب جبس

مترجمة بقلم محمد عبد الحليم البرعى

مقدمة

لم تكن الحياة الصحفية يوما من الايام بالحياة الهنية عملا وقل أن تكون موردا للاثراء و أنا من الذين ينصحون الشبان بأن لا يتخذوا الصحافة فاتحة لأعمالهم ولا لأولئك الذين يودون حفظاً لكيان حياتهم و معيشتهم موردا مضمونا و وقفا منظما وحياة راضية مرضية

و إذا كانت المستحيلات أربعة فان الخامسة أن تسمع أو ترى أن هناك صحفيا بالمعاش يعيش البقية الباقية من أيامه على ثمرات حياته الماضية وحسبه أنه مضطر أن يعمل ويكتب و يدون حتى آخر نسمة من نسمات حياته بل حتى يسقط القلم من بين يديه وهو مكب على مكتبه و على عمله بل حتى يضرب جرس الآلة الكاتبة آخر ضربة فى وقت تميل رأسه و تنقطع أنفاسه و يصبح جثة هامدة و يسقط فوق جملة لم تكمل بعد

و بالرغم من كل ذلك فان الصحافة لاتزال أحسن سلوى فى هذه الدنيا للرجل الحاذق النشط الحائز على شيء من الطلاقة والفكاهة و الممتاز ببعض الصفات فى حسن استعماله للالفاظ وأن يكون فوق كل ذلك فضوليا بفطرته للوقوف على مبلغ حقيقة بهاء حياتنا التى تمثل على مسارح النهضة الاجتماعية وعلى شريطة أن يكون أبعد الناس عن الدنايا وأعفهم نفسا وأشرفهم غاية

ولاستطيع أن أبين لحضرات القراء بعض مايعترض حياة الصحفى من المخاطر وحرج المواقف أقص عليهم بعض القصص الآتية على سبيل التفكهة

الحادثة الاولى

إن من الهزء والسخرية أن يجد الصحفى نفسه يوما ما فى بعض الأحايين فى

حضرة عظماء العالم والقابضين على ناصية الحكم فيها وعلى أزمة الثروة أو أصحاب الحول والجاه وفى وقت قد أخذ يفكر فيه ذلك المسكين فيما إذا كان أجره عن المقالة القادمة ستفى بأجر مسكنه الاسبوعى ويتبقى بعدئذ بعض قطع فضية ترن فى جيبه الرث البالى

لقد ساءت الظروف وقضت على مهنة الصحافة ان أقضى ذات مرة بعد ظهر يوم من الأيام بحضرة ملك اسبانيا واشراف بلاطه رغم أنى لم أكن محقاً فى أن أكون بحضرتهم وكان ذلك يوم زواج أمير من أمراء آل بوربون بسيدة تمت بقرابة لملوك فرنسا اسلافها الأقدمين. ولقد كان الاحتفال بمنزل انكليزى قد تم فى انفسام المعدودة من رياض انكلترا ومن أملاك ديوك أرليانز ولى عرش فرنسا نحكم الوراثة وكما ينطق بذلك الشعار المنقوش على كل لوح زجاجى ومطبوع على كل فنجال وطبق فى منزله بمنفاه الذى احتفظ لنفسه فيه بحياة ملوكية ملؤها رغد العيش والعظمة والفخامة والجديرة به لما اتصف به من الدعة والكياسة شأن هنرى الرابع جده العظيم

لم يستطع ديوك أورليز أن يتحمل تطفل الصحفيين فأصدر أوامره المشددة بأن لا يدخل أى صحفى قبل أن يتم صنع ذلك المعبد الخاص بأكليل الزواج ويطلى بالنقوش ليمثل معبدا ملوكيا قديم العهد عشية ليلة الاحتفال

ولضمان ذلك وحذرا من تسلل أى صحفى إلى ذلك المكان قد صفت قوة عظيمة جدا من رجال البوليس والمخبرين على امتداد ثلاث أميال حتى غابة نورتن ولحراسة جميع المداخل أيضا

ولقد كنت مكلفا وقتئذ أن أمد صحيفتى بوصف شامل لكل الاستعدادات التى كانت قائمة على قدم وساق وبقائمة بجميع أمراء وأميرات البوربون الذين يفدون من جميع انحاء أوروبا

ولانجاز تلك المأمورية على الوجه الأكمل وجدت أن خير طريق أسلكها هى اكتراء عربة فخمة أقلتنى إلى غابة نرتن ومن غريب المصادفات وحسن حظى انى التقيت بعديد من العربات التى تقل ملك وملكة اسبانيا وجميع أعضاء العائلة متراصة على طول الخط بجميعه نيممة وجهها شطر انفسام فاستقبلنى رجال البوليس ومخبروهم

كما استقبلت عربات بقية الأعضاء ومرت دون أقل معارضة من بين المداخل العظيمة المطلاة بالريحة الذهبية والتى يعلوها تاج فرنسا وشعارها ولقد استقبلنى فوق ذلك القهرمان بمنتهى الحفاوة والاكرام ظانا أنى أحد أعضاء البوربون وعلى ذلك دخلت وملك وملكة اسبانيا وفريق عظيم من كرام العقيلات وأشراف البلاط إلى المعبد وأخذنا نمتع النظر ببديع صنعه ثم تعديناه إلى مشاهدة نفيس الهدايا المقدمة للعروسين فالزينة المقامة بقاعة الوليمة المحلاة بجميل الأزهار حتى وصلنا إلى اسطبلات الدوق

وكان ملك اسبانيا على جانب عظيم من الغبطة والسرور وكثيرا ما وجه إلى شخصيا بعض ملاحظات بكل حفاوة واخلاص معتقدا أنى أحد رجال الدوق الأشراف واخيرا أعدت ادراجى فى المساء مخترقا نطاقا عظيما من رجال البوليس الذين كانوا يحيوننى على طول الطريق ومن ثم كتبت وصفا مسهبا بكل مارأيت مما أدهش جميع أصحابى وقرنائى

فى اليوم التالي شهدت الحفلة ورأيت ذلك الاجتماع العجيب — التقاء الدم الملكى القديم الفرنسى والاسبانى والنمساوى معا —

ومن لطيف ماحدث أن انتشى فى حفلة الوليمة أحد النبلاء الاجانب بعد أن احتسى من الكؤوس المترعة ماأثمله فظل يترنح يمنة ويسرة وينشد من الأغانى العامية ماطرب ملك اسبانيا وجميع الحاضرين وان أسخط عليه حوذى عربته التى أقلته بسلام

* * *

الحادثة الثانية

أن هذه الحادثة التى ظهرت فيها بين رجال البلاط البريطانى لتجعلنى كلما ذكرتها أشعر بخجل عظيم لتطفلى ذلك التطفل غير المرغوب فيه والذى لاأجد أمامى مايكفر عنه أو يبرره . وكان ذلك يوم شرع الملك جورج والملكة مارى فى افتتاح معرض المدينة البيضاء فى لندن

أخذا جلالتهما يتفقدان المعرض مبدئيا فى يوم مكفهر كانت فيه جميع انحاء المعرض كآكام فلندر — برك ومستنقعات — مما أثار سخط جلالته وأفرغ حلمه فأخذ

يظهر لمن أوكل اليهم الأمر بشكل محسوس جام سخطه وغضبه على تلك الحالة و بينما هو مسترسل فى كدره غاص قدمه فى منقع فياض فتدفقت الأوحال على كل ملابسه الرسمية ومن ثم أدركته الملكة مارى قائلة (هيا ياجو رج حتى نعود إلى القصر .) فى ذلك اليوم احتشد الخلق ذرافات ذرافات أمام فناء المعرض بعد أن منعوا من الدخول حتى ينتهى الملك والملكة وتدخل حاشيتهما و رجال البلاط واشرافه وينتهون من زيارتهم أيضاً

أما رجال الصحافة فقد حجزوا أمام مدخل المعرض العام بواسطة حبال شدت من طرفيها إلى موقف استحال عليهم رؤية أى شىء ما مما جعلنى على جانب عظيم من الكدر وضيق الصدر غير لم أنى لم أعدم وسيلة إلى كدح زناد أفكارى توصلا لاكتشاف خير حل لأخراجى من ذلك المأزق الحرج و بعد قليل أقبل رجال البلاط معا، وما كادوا يخترقون مدخل المعرض حتى وقف رجال البوليس بينهم و بين الجمهور سدا منيعاً حتى لا يتسلل أى مخلوق خلفهم

وجدت الظروف سانحة ومن العجز أن أدعها تمر دون أن استفيد منها فأسرعت بخفة القردة وسرعة البرق الخاطف وتخطيت الحبل الحائل وفى أقل من لمح البصر كنت ضمن رجال البلاط كتفاً لكتف

وقد حدث لحسن حظى أن هذه الحركة ، حركة التطويق التى قام بها رجال البوليس، قد حالت بين أحد العظماء (وزير فرنسا المفوض) و بين اتصاله ببقية رجال الحاشية. ولما كان ذلك الوزير يجهل الانكليزية فقد حاول عبثاً افهام رجال البوليس مركزه وحقيقته ولكنه لم ينل منه غير طعنة من كوعة فى صدره أعقبها صيحة الآمر الناهى « ارجع قافلا » وعلى ذلك استتب لى الأمر وأصبحت الشاغل الوحيد لفراغ محله قوة واقتداراً من حسن الصدف

ولقد شعرت من طرف خفى ورأيت أن المخبرين قد أخذوا يعدون رجال ذلك الوفد الملكى وقد ظهر عليهم دلائل الاقناع بأنه لم يتعد العدد المعين الصادرة لهم التعليمات الرسمية بشأنه ولما كنت أرتدى بدله رسمية بقلنسوه عالية حريرية فقد كان من السهل أن أظهر بمظهر الوزير الفرنسى المفوض أو على الأقل لم أكن مدعاة إلى الشك مطلقاً

ولا يفوتنى أن أذكر أن الشخص الوحيد الذى لاحظ اختراق النطاق من بين رجال ذلك الوفد كان السيرادوارد جراى (الآن فيكونت جراى) ولكنه لم يشأ اقصائى والتخلى عنى بل ابتسم ابتسامة معنوية لجرأتى وتطفلى هذا وبرودى النادر .وفى الواقع أننى لم أكن على شيء من ذلك الجمود والبرود كما يدل محياى ولكنني كنت فى أحرج المواقف التى قل أن تصيب شخصا فى الوجود وذلك أن جميع رجال الوفد قد خذوا يتحدثون مع بعضهم البعض ماعدا الملكة الكسندرا التى كانت صماء فقد كان كل همها أن تدرس كل المعروضات خلف ذلك الجمع عوضاً عن الدخول مع أى أحد منهم فى أى حديث

ولما كان من الصعب أن أجد من أتحدث اليه فقد اكتفيت بالتقهقر قليلا خلف ذلك الجمع أيضاً مما استلفت نظر الملكة الوالدة التى أخذت تفضى إلى برقتها المعهودة ببعض ملاحظاتها على تلك المعروضات دون أن تسمع إجاباتى التى كان ملؤها التردد الظاهر

ولأول مرة فى حياتى رأيت الاستقبال الملكى الصادر من بحر خضم من جماهير العالم رأيته كما يراه الملوك أنفسهم لا كما يراه جمهرة الناس رأيت بحراً زاخراً متلاطم الأمواج من الأوجه المختلفة المعالم المشرئبة الاعناق المؤلفة من ألوف من الاوجه ذات العين الواحدة (لأن أغلب المحتشدين لا يرى غير نصف وجهه — فعين واحدة) وكلهم يرفرفون بمناديلهم ويهتفون بملء أفواههم فى وقت تهتف فيه الموسيقى صارخة «فليحى الملك»

وفى وقت تفتحت مناظير عشرات من آلات التصوير وأديرت عشرات من أيدى آلات الصور المتحركة

ولما عدت إلى إدارة الصحيفة وجدت أن رئيس التحرير قد أذهله مناظر عدة صور شمسية وأنا أسير أهوينا بجانب الملكة الكسندرا — آمناً مطمئناً .أما وزير فرنسا المفوض فقد علمت أنه احتج أشد الاحتجاج على سوء معاملته

***

الحادثة الثالثة

كان من غرائب المصادفات المدهشة وفلتات الظروف الغريبة أننى وزميل لى

بصحيفة الكرونكل اليومية كنا أول من سمع بوفاة الملك ادوارد السابع من بين جميع مخلوقات ذلك العالم إذا استثنينا من كانوا بقصر بكنهام

كانت النشرات الطبية التى تصدر كلها آية فى الحزن ولو أنها لم تكن مظهرا لليأس وآخر نشرة صدرت ليلة وفاته كانت أحفل النشرات بشراً وسروراً . كنت طول نهار ذلك اليوم واقفاً أمام القصر أكتب تحت وابل من الامطار تحت حماية مظلتي وصفاً مسهباً لتلك المناظر المذهلة التى كانت من أكبر المظاهر الدالة على مبلغ الحزن السائد على جميع طبقات الأمة الصادر من أعماق قلوبهم كلما فكروا فى أن شمس ذلك الملك العظيم المحبوب ستغرب عما قليل وأن نجمه سيأفل وانه سيرحل الرحلة الابدية عن انكلترا بل وعن العالم بأسره . وانى لمعتقد الآن أنه فضلا عن محبة ألوف من الخلق له لما اتصف به من حميد الصفات وجميل السجايا الفريدة والسياسة الحكيمة والمواهب الفطرية ولقد كان هناك فوق محل تلك الاعتبارات شعور داخلى سائد فى فؤاد كل شخص بأن فى وفاة ادوارد السابع اضطرابا للسلم العام ونشوب حرب عالمية كبرى لامحالة

وانى لأذكر إلى اليوم أن أحد الذين كانوا مجتمعين تلك الليلة صرح لى بتلك الفكرة حيث قال حرفياً « ان من بعد ادوارد لحربا عالمية كبرى طاحنة »

وان من أكبر البينات على مبلغ احترامه ومحبة الشعب لذلك الملك أن جموع المحتشدين حول القصر كانوا الاعداد لهم والذين كانوا يرقبون صدور النشرة الطبية الأخيرة كانوا خليطاً من جميع طبقات شعب لوندره مابين كونتسات وبارونات وممثلين وممثلات من كبار رجال الأمة والنبيلات والعمال والعاملات من بريطانيين وأجانب وأجنبيات من رجال السياسة وحملة الأقلام ورجال الأدب وأقطابه الأعلام وفى الساعة الثامنة من مساء تلك الليلة أو حوالى ذلك الوقت دخلنا القصر مع بقية رجال الصحف وقد أكد لنا اللورد نويلز أن المنتظر أن جلالته سيقضى ليلة هادئة ملؤها الطمأنينة والصحة والعافية وأنه ليس ثمة حاجة إلى اصدار نشرات طبية قبل صباح الغد فحملت ذلك الخبر السار إلى مكتب صحيفتى و بعد أن شرعت فى الذهاب إلى منزلى افهمنى رئيس التحرير — شأن كل الرؤساء — أنه يأسف لاضطرارى لان أعود إلى أدراجى لامضى ليلتى بجوار السراى خيفة أن يحدث أى حادث

و لما كنت على جانب عظيم من التعب والاعياء فضلا عن أن معدتى كانت أفرغ من فؤاد أم موسى وكان الجوع قد أخذ منى كل مأخذ فقد أردت التخلص من القيام بتلك المهمة وأبنت له اعذاري غير أنه لم يسمح فاحتججت فذهب احتجاجى صرخة فى داو وهباء منثورا وآخر ما نالنى من وراء ذلك من ضير وبلغ ما أصابنى من تردد أن آمن استصحابى زميل لى يدى أوى ليشاطرنى السهر

وعبثا حاول وانتهى بنا الأمر إلى الذهاب مكرهين عليه تنفيذا لمشيئة الرئيس

ذهبنا وكان أول عمل قمنا به أن أسرعنا بتناول العشاء أولا لسد فراغ معدنا الخاوية ثم اخترنا عربة ذات أربع عجلات وذهبنا إلى فناء السراى واستعد كل منا لتناوب السهر فى وقت يملأ الآخر جفونه فقط بالعربة

ولقد كان من حسن حظنا ومن عطف رجال البوليس علينا أن سمحت لعربتنا الحقيرة أن تلك العربة الوحيدة التى تظل داخل فناء القصر الملكى ورغم وجود مئات من السيارات الفخمة أمام القصر تقل كثيرا من عظماء الرجال الذين آثروا قضاء الليل على تلك الحالة

خلع أذن نعله واستعد للنوم أما أنا فقد أخذت أجوب الفناء جيئة وذهابا أدخن آخر سيجارة وأنا أرقب عن كثيب المنظر الخارجي القريب لمئات العربات والسيارات

لم يمض على طويلا حتى رأيت عربة ملكية قاربة جوبى من الفناء الداخلى وهى تسير الهوينا ولم تكد تمر من أمامى حتى تبينت عقب انعكاس أنوار مصباح الفناء انها تقل من كان وقتئذ ولى العهد والأميرة مارى وكان يلوح على وجهيهما الناصع البياض الفاضة دماؤه دلائل الحزن البالغ وكانت أعينهما تذرف الدمع

فأسرعت الخطى حول عربتنا وقلت لزميلى همساً انى أعتقد أن الملك قد فارق الحياة وفى أقل من لمح البصر كنا نهرول صوب مدخل رئيس اسطبلات القصر وولجنا بابا مفتوحا أمامنا وهناك التقينا بأحد رجال حاشية الملك الذى كان موليا ظهره جهة الموقد يتحادث مع رجل مسن آخر تبينت فيما بعد أنه الوزير البلجيكى وسألته بكل أدب واحترام

« كيف صحة الملك الآن ياسيدى » وقع بنظره إلى ساعة معلقة فى الجدار وقال وعلى شفتيه ابتسامة صفراء ملؤها الحزن العميق ابتسامة هى أقرب إلى البكاء منها إلى السرور وقال بصوت يفيض تأثرا

« يا سيدى لقد مات الملك ادوارد منذ دقيقتين »

والآن وقد تحقق الخبر من أحد الرجال الرسميين فلم يكن أمامنا إلا أن نسرع بنقل ذلك الخبر إلى مكتب صحيفتنا فقصدنا توا إلى نزل قصر بكنهام وهناك خاطبنا رئيس التحرير تلفونيا

أما النشرة الرسمية فلم توزع على الجمهور إلا بعد ساعة من ذلك الوقت الذى تأكدنا فيه ذلك الخبر

وعند ذهابى إلى منزلى كان بين يدى عدد من أعداد صحيفتي وقد نشرت فى افتتاحيتها حياة ومات الملك ادوارد السابع وبجمل سيرته وكانت أسبق الصحف إلى نشر الخبر .

اطلب من دار العصور للطبع والنشر

ومن جميع المكاتب المعروفة

معضلات المدنية الحديثة

وعدة مقالات أخرى

بقلم

اسماعيل مظهر

نفثات

لفيلسوف العراق وشاعرها جميل صدقى الزهاوي

هاتوا اذكروا لى هاتوا ما هذه الكائنات
ما أنت من أنا ماذا و جودنا و الحياة
ما هذه الارض قا مت فوقها الشاهقات
ما البحر تسبح بالنا ر فوقه المنشآت
ما البر تقطعه كالز وابع القطرات (١)
وما السماء وتلك الا بعاد والفجوات
ما الانجم الزهر فيها و الخنس الجاريات
ما هذه السدم البيـ ـض حشوها النيرات
الى متى هذه النـ ـيرات مشتعلات
ماذا تريد بهذا الاسر اع تلك الكرات
ما العقل ما الفكرما ذا الذكاء والملكات
ماذا الزمان وماذا من الزمان الفوات (٢)
و ما المكان و ماذا من المكان الجهات
ما الجسم ما الجذب ما ذا السكوت والحركات
ما ذا نهاية هذى الا كوان ماذا البداة
وما الهوى يتلاقى له الفتى والفتاة
و فى اللقاء لذاذ وفى الفراق أذاة

* * *

جمع ومن بعد هذا الجمع النظيم شتات

---

(١) جمع قطار (٢) المضى

وما لشيء زوال وما لشيء ثبات
وربما سوف تنحـ ـل هذه المشكلات
اهدوا السبيل غويا ان كان فيكم هداة
بطيئة حين أمشي بعقلي الخطوات
يسير عقلي ولكن تعوقه العثرات
اذا تفكرت كانت للشك بي وخزات
في كل شيء اراه تحوم بي الشبهات
لقد نظرت فما أن أغنتني النظرات
كأنما كل تلك الاشياء مستترات
اوان عيني فيها اذا نظرت قذاة
وربما قلت حقا فخانت الكلمات
ورب قول صحيح ليطت به الغلطات (١)
وسيئات فريق لغيرهم حسنات

* * *

دع الغرور فما فيك وحدك الملكات
لكل حي على هذه الارض مخترعات
ان كنت طرت فقد طارت قبلك الحشرات
او كنت غصت فقد غاصت مثلك السلحفاة
سلم فان براهيني هذه مفحمات
لا يستوي النور عند البصير والظلمات
فما الغداة عشى ولا العشى غداة

---

(١) الصقت به

الموت

تحلو الحياة ولكن ما للحياة ثبات
فرب جيل وجيل تحت التراب رفات
هنالك الناس تخفي عظامها النخرات
الى البلى سبقتها الآباء والامهات
كم فى الورى من جروح ما إن لهن اساة
الشيب تبكى شبابا عاشوا قليلا وماتوا
أما القبور فبالمو تى قبلنا مثقلات
وقد تحور ثمارا فتؤكل الثمرات

* * *

الى سكون طويل ستنتهى الحركات
وتنتهى فوق تلك الحفائر الشهقات
ورب آس لميت عيونه خضلات
يردى الصديق فتبقي من بعده الذكريات
ورب ماض من العيش لى اليه التفات
ان التفانى اليه وراءه حسرات
ولى شبابى فولت وراءه الطيبات
فليته عاد يغوي فاسودت الصفحات

* * *

مهما كبرت فعندى من المنايا خشاة (١)
كأنما الموت ذئب كأنما انا شاة
والموت ليس بقاس تحق منه الشكاة

---

(١) خشية

عند المنية ان جاءت تنتهى النكبات
وفى القبور تساوى احبة وغنداة

الشعر

لأكثر الشعر موت وللقليل الحياة
والشعر فيه وثوب والشعر فيه اناة
والشعر منه كتاب آياته بينات
والشعر منه كساة والشعر منه عراة
ومنه ما رق حتى كأنه عبرات
امّا قريضى هذا فانه نفثات
احببت شعرى فاياته لفكرى بنات
به شدوت فلذت مسامعى النغمات
وقد تهيجك منه اذا بكى الشهقات
شعرى له من شعورى والصدق مستندات
وانما صقلته ـ الخطوب والنكبات
تمده كلما غاض دجلة والفرات

بغداد جميل صدقى الزهاوى

رابطة الأدب الجديد
بالقاهرة

THE NEW LITERATURE LEAGUE

مركز الرابطة ـ بدار المصور ـ بشارع الخليج المصرى بميدان الظاهر بالقاهرة

ليس سرّاً مكتوماً أنّ الحياة الادبيّة فى مصر مصابةٌ بمرض التّخاذُل المنبثّ في حياتها السياسية ، والعاقبة فى كلتا الحالتين واحدة : وهى ضياعُ مجهودات متعارضة على غير جدوى ، وتأخّر النهضة الفكرية وما يترتب عليها من نهضات

وإذا تأمّلنا هذا المرض المزمن وجدناه للأسف راجعاً الى أسباب شخصية خُلقية من ناحية ، والى عوامل تقليدية خاطئة من ناحية أخرى .

فأمّا الأسباب الشخصية الخلقية فتتلخص فى أنّ معظم الأدباء الممتازين (بل وغير الممتازين أيضاً !) فى مصر يودّ كل منهم أن يكون الحاكم بأمره فى مناحى الأدب ولا يريد أن يعترف لسواه بأدنى حسنة ، وبعبارة أخرى أن كلاً منهم متشبّع بروح الأنانية الممقوتة لا الفردية المعقولة ، ويعمل ليل نهار على ما فيه مصلحته لا مصلحة الادب فى ذاته ، وليت الأمر اقتصر على الانانية وحدها بل انه يتعدّاها الى عرقلة جهود الغير ان لم يستطع توجيهها الى مصلحته ، وهكذا تضيع معظم القوى الأدبية عبثاً بدل توجيهها الى خير الثقافة العامة ، كما تجنى هذه الروح المريضة على الأخلاق أسوأ جناية بنشر الجحود والمنطق المعكوس الذى لا معنى له سوى تحويل الحياة الأدبية الى مشاحنات ومبارزات مستمرة !

وأمّا العواملُ التقليديّة الخاطئة فأهمُّها تهيُّب الحقّ مجاراةً للجمهور . فبدل أن يكون أدباؤنا قادةً له صاروا تابعين أو مجارين يمالئونه ويخدعونه لينالوا تصفيقه ،

وفى ذلك من الخيانة لمهمتهم الفكرية والاجتماعية ما فيه. وهذا يستدعى بطبيعة الحال. التشبث بالفردية وتشجيع التحزب الأعمى وتكوين أصنام يعبدها الغافلون ، وما هو الا التهريج بعينه وتضحية الخير العام لمصلحة الافراد البارزين ، وتلك إحدى العلل المستعصية التى نكبت بها مصر (بل الشرق العربى) طويلا وما زالت تئن من عواقبها

فوسط هذه الظروف الأليمة كُوِّنَتْ فى الاسكندرية منذ عامين (رابطة الأدب الجديد) لمقاومة هذه العوامل المفسدة ولنشر مبادىء الثقافة الحديثة على قدر ما يبلغ نفوذها ، ونحن نتمنى لهذه « الرابطة » الصالحة التوفيق المستمر ، ونرجو أن تنشأ على غرارها « روابط » أخرى فى جميع عواصم القطر المصرى بل وفي أهم عواصم العالم العربى ، وأن يؤدى ذلك الى تعاون أدبى قيم جليل الفوائد لشعوب الضاد جميعاً . والقاهرة بدورها تستقبل الآن تكوين (رابطة الادب الجديد) فيها لنفس الاغراض التى قامت من أجلها شقيقتها فى الاسكندرية . وتتلخص مبادىء « الرابطة » فى بث روح الاخاء والتعاون الأدبى — ذلك التعاون الذى يشجع نشر أحاسن الآداب العصرية ، وانتشال الأدباء المغمورين الجديرين بالذكر ، ورفع مستوى الثقافة الفكرية بيننا ، وتهذيب أخلاقنا نحن الأدباء الذين ينظر إلينا الجمهور كقدوة له . ولن يعنى ذلك الاخاء الأدبى بحال من الأحوال تنازل أى أديب عن شخصيته ، ولكنه يعنى التنحى عن عبادة الأصنام ، والاندماج فى تقدير المبادىء العالية ، والتعاضد على خدمة ألوان الجمال الأدبى ، مع الاحتفاظ الكلى بحرية الرأى والنقد . ويعنى ذلك أيضاً أنه متى اتفقت الآراء على نشر رأى تهذيبى أو أدبى فى الشعب تضافرت الجهود وتعاونت على تحقيقه بغير ظهور شخصي وبدون طنطنة كثيراً ماتعودنا سماعها دون نتيجة حيوية مأثورة

ويبلغ عدد الأعضاء المؤسسين للرابطة ٢١ عضواً من أدباء مصر البارزين

وهم يؤلفون مجلس ادارتها ، ويجوز لمن يقتنع بصلاحيّة مبادئها ويرتاح اليها أن ينضم اليها كعضو مشترك نظير بدل اشتراك سنوى قدره ١٥ قرشاً مصرياً . وله حينئذ حق حضور اجتماعاتها الشهرية التى تعقد فى يوم الخميس من كلّ شهر للخطابة، كما له حقّ الحصول في نهاية السنة على مجموعة محاضرات « الرابطة » مطبوعة . والمرجو بمرور الزمن أن تنشأ « للرابطة » أقسام دراسية متنوّعة للتاريخ واللغة والشعر والفنون الجميلة الخ . على مثال الاقسام العلمية التى فى نية (المجمع المصرى للثقافة العلمية) أن يكوّنها وسينشر في « العصور » في عدد مقبل قانونها الاساسى وجميع المكاتبات توجّه الى سكرتير « الرابطة » الاستاذ كامل افندى كيلانى بدار العصور

اطلب من دار العصور للطبع والنشر

ومن جميع المكاتب المعروفة

كتاب

الضحية

ورويات وأبحاث أخرى

تأليف

طاغور الشاعر الالهى المعروف

بقلم

اسماعيل مظهر

سؤال

لحضرة الاستاذ اسماعيل مظهر.

تحية . وبعد ربما يأخذكم العجب أو يعتريكم الملل لورود كتاب من شخص لامعرفة شخصية بينه وبينكم ولا صلة الا صلة العلم . ولكن اعتماداً على علمكم الجم وحبكم لخدمة الحقيقة تجرأت على تسطير هذه السطور

لا أريد أن أقدم نفسي الآن ، ولا أنوى اظهار مبلغ رغبتي فى تتبع أفكاركم ودراسة مؤلفاتكم ، فهذه ستكشفها لكم الايام ولا ضرورة لذكرها الآن . وكل ما أقصده من كتابى هذا هو ان تتكرموا وتبدوا رأيكم فيما يلى عسى أن تهدأ أفكارى المضطربة لتتمكن من السير فى هذه الحياة على سراط مستقيم.

أكتب هذه الاسطر وقد انتهيت من مطالعة كتابك ملقى السبيل ، ولا أكتمك ان فصوله الأخيرة أعجبتنى أكثر من فصوله الأولى حتى انى طالعت تلك أكثر من مرة . ولكنى خرجت من الكتاب ولدى فكرة مؤداها انكم قصدتم عند كتابة كتابكم التوفيق بين الدين والعلم ، وهذه الفكرة تتجلى أيضاً فى كثير من كتاباتكم فى العصور . انكم نهجتم فيما كتبتموه طريقاً وسطاً بين جمال الدين الافغانى زعيم المتعصبين والدكتور شميل الناشر لمذهب بخنر فى الشرق . والعفو يا سيدى ان قلت إن هذا التوفيق لاينطبق على العلم المادى ، ولاينتج نتيجة يجوز للانسان ان يدين بها بل يولد الشك فى العقل الانسانى والشك مما يزيد فى عذاب النفس .

ان جيوش الدين مولية الادبار امام جيوش العلم ، وان الفوز سيكون طبعاً حليف العلم فلماذا لاندين بما يأتينا به العلم ونترك مايوحيه لنا الدين ؟ ربما يخشى البعض ضياع أخلاقنا ولكن لامحل لهذا الخوف لان الخلق المتخذ من العقل خير من المتخذ من العاطفة ، أو قل ان الخلق العلمى المادى خير من الخلق الدينى ، وان اخلاقنا اليوم آخذة فى التحول من الدين الى المادة ، ولا يبعد ان يأتينا دور نطلق به الخلق الدينى ثلاثاً لنرمى أنفسنا فى أحضان الخلق المادى .

انى أشعر انكم شا كون لا تعتقدون اعتقاداً جازماً بالدين ولاتؤمنون بالحقائق العلمية ايماناً يجعلكم تتركون الدين جانباً فهل انا مصيب فيما أشعر؟ هاك البرهان . . .

تعتقد ياسيدى بان ، الاعتقاد بالله ضرورة أولية للاحتفاظ بالفة العقل الانسانى، وباعتقادك هذا تعني ان الدين أمر ضرورى لسعادة الانسان عقليا ، ولكن الالفة العقلية غير متوقفة على الاعتقاد بالله وبالدين فحسب وانما هي متوقفة على الاعتقاد بأية عقيدة سواء كانت مادية أو دينية . ولما كانت العقائد الدينية لاتتفق والعلم وانما هما على طرفى نقيض ، ولان العقل يتأثر من الحقائق العلمية قبل ان يتأثر من العقائد الدينية ، ولان سعادة الانسان المادية والمعنوية تتوقف على مقدارما يحصله الانسان من المادة، لاتبقى فائدة من الاعتقاد بالله أو بالاحرى بالدين . وعلى هذا ليس من الضرورى ان يترك الانسان الدين جانباً ليتمسك باهداب المادة ؟

هذا ما عن لى أن أسطره لكم الآن فعسى ان تتفضلوا بابداء رأيكم به لعلى أصلح أفكارى ان كانت على ضلال .

المخلص

حسن أحمد السلمان

(العصور) موعدنا بالرد على هذا الكتاب فى العدد القادم

ظهر الجزء الاول والثانى من

اصل الانواع

وَنَشْرُهَا بِالانْتِخَابِ الطَّبِيعِيِّ وَحِفْظُ الصُّفُوفِ الغَالِبَةِ فِي التَّنَاحُرِ عَلَى البَقَاءِ

فاطلبه من دار العصور ومن المكاتب الشهيرة

التحنيط عند قدماء المصريين

— ٣ —

أما الطريقة الثانية فمصاريفها تبلغ قيمتها من ثمانين إلى مائة جنيه.

وهذه الطريقة كان يقتصر فيها على حقن الجثة من الفتحة فى الخصر الايسر المذكورة سابقا بمحلول النطرون وزيت الارز فتذوب الاحشاء بعد مدة قصيرة ولا يبقى فى الجسد سوى الجلد والعظم ثم ينقعون الجثة فى ماء النطرون مدة السبعين يوما وبعدها تخرج ويوضع (الجثة) فى سرير التحنيط لتجف وتنشف بعد تنظيفها من هذا النطرون ومما حقنت به أيضاً واخراج الامعاء التى ذابت بالحقن . وبعده تطلى الجثة بالبلسم وتلف بلفائف كتان رخيص نوعا جملة مرات مع طلى اللفائف بالمواد الصمغية كما ذكرنا فى الطريقة الأولى . ثم تتلى الصلوات كما ذكر ويدهن الوجه بطبقة حمراء وتحقن الجمجمة بالمواد العطرية والعقاقير وتسلم لأهلها ليجروا عمل الصناديق اللازمة لها والرسومات والحليات حسبما يشاءون .

أما طريقة التحنيط الثالثة ومصاريفها فقليلة وهى تعمل لجثث الطائفة الفقيرة حيث توضع فى محلول النطرون فقط المدة المذكورة سابقا وتحقن ببعض الطيب وتملأ برماد وجير وتطلى بالجير أحيانا من الخارج وتلف بلفائف بسيطة وقليلة ثم تدفن بمقابر الصحراء أو المغائر غربى النيل كالمغائر التى غرب الأقصر واسيوط مثلا فوق بعض أو بجانب بعض

ملحوظة : واذا لم يمكنهم استحضار الأربعة قدر المذكورة سابقا فيعوضوا عنها بأربعة تماثيل من الشمع تمثل الأربعة آلهة المذكورة وتوضع فى الجوف مع الاحشاء

ملحوظة : أما السيدات اللاتى من الطبقة العليا فكان اهلن يبقينهن بالمنزل ثلاثة أيام واحيانا أربعة وبعدها ينقلن لأجراء عمليات التحنيط .

ملحوظة أخرى: كل جسد بشرى مصرى أو أجنبي وجد ماتتا إما بالغرق فى النيل أو بغصة تمساح فكان يحنط تحنيطاً من الدرجة الأولى على مصاريف أهالى المدينة التى وجد بقربها بكل سخاء ومزاحمة ولا يسمح لأقاربه ولا لأصحابه بمسه بشىء قط بل كهنة النيل هم

وحدهم الذين يحملونه على ايديهم واكتافهم ويدفنونه بكل اجلال كأعظم رجل في المقابر المقدسة .

وأما تحنيط الحيوانات والطيور والحشرات والتى تعتبر مقدسة عند المصريين فكان بسيطا بواسطة محلول النطرون كالعادة المتبعة والحقن والتمليح والبلاسم والتقميط.

وكان الشعب يحزن على موتها — :

فمثلا عند موت القطة (الهر) الممثلة للمعبودة (بست) عندهم فيحلق كل أهل المنزل حواجبهم وبعد تحنيطها تنقل إلى مدينة بوبست (تل بستا) بالزقازيق الآن وتدفن هناك بالمدافن المقدسة :

وإذا كان كلب الممثل لكوكب الشعرى اليمانية فيحلقون الرأس وكل الجسم وبعد تحنيطه يدفن بالبلدة التى مات فيها بدون نقل وانما فى المدافن المقدسة المخصصة لذلك .

واذا كان ثور الممثل هي أوالنيل أوهور الخ يحنط ويدفن فى منف فى الموضع المعروف بلسم سيرابيوم الآن بصقارة : — وكذا إذا كانت بقرة الممثلة هاتهور أيضاً : — وإذا كان قرد الممثل توت وإذا كان ابن آوى الممثل المعبود (أنوب) أو إذا كان (دب) الذى يوجد بالصدفة فبعد تحنيطها تدفن بمحل وجودها بدون انتقال : — أما إذا كان الطير الممثل (هور) « الشمس » فتنقل إلى مدينة (بوتو) بعد تحنيطها وتدفن هناك : — وإذا كان مثل طير اللقلق الممثل (توت) فينقل إلى مدينة أرمنت .

ملحوظة :— من أنواع تجارب بلاد العرب التي جعلت لهم مواصلة بمصر هى الرواع والبلسان والميعة وبعض العقاقير الأخرى التى كانت تلزم للتحنيط علاوة على الموجود بمصر من الأصناف الأخرى وانه كانت مدة التحنيط عندهم والدفن والحزن كما يأتى : —

(١) ٨٦ يوماً تنظيف وغسيل وتحنيط : —

(٢) ٣٥ يوماً تقميط الجثة

فيكون جملة ذلك ١٢١ يوماً كلها مدة البكاء والحزن على الفقيد

(٣) وأربعة أيام استعداد للدفن فيكون جملة ذلك ١٢٥ يوماً ؟

يتبع

عبد المجيد سيد أحمد

فهرست العدد

ص		
١٦٢	مطالعات فى سفر الخروج	اسماعيل مظهر
١٧٥	شعر التصوير — الصيرفى وزوجته	أبو شادى
١٧٦	سيبويه والكسائى — شعر	» »
١٧٧	على السفود — عباس محمود العقاد	» »
١٨٨	شيطان بنتور — المحادثتان الأولى والثانية	لأمير الشعراء شوقى بك
٢٠٠	الفضاء والمادة	ابراهيم حداد
٢٠٤	Ascenseur — بحث لغوى	يوسف أحمد
٢٠٨	خطرات فى السياسة والتاريخ — عن لورد مورلى	محمد رفعت
٢٢٣	الغراب والبستانى — شعر رمزى	لأبى شادى ومحمد عبد الله مصطفى
٢٢٥	رد مفتوح لمحرر العصور	اسكندر حداد
٢٣٧	النقد والتأليف	
٢٣٧	مرجريت أو غادة الكميليا	الدكتور أحمد زكى
٢٣٩	سفر التكوين	الأستاذ خير ضومط
٢٤١	ابراهيم باشا فى سوريا	سليمان أبو عز الدين
٢٤٣	عقد الأيجار	الأستاذ أحمد النهورى
٢٤٥	الخواطر العراب فى النحو والأعراب	الأستاذ جبر ضومط
٢٤٨	العدل الآلهى	حسن حسين
٢٥١	اللؤلؤ المنضود فى دفع نقود	أمين ظاهر خير الله
٢٥٣	بين الصحف والمجلات	
٢٥٣	مجلة المنار — فاتحة المجلد الثلاثين	
٢٥٨	المقتطف — الله والعالم — بقلم المرحوم الدكتور صروف بوليه سنة ١٩٢٩	

تابع الفهرست

ص

٢٦٠ — المقتطف — فى سبيل العربية — الدكتور أبو شادى يوليو سنة ١٩٢٩

٢٦١ — مجلة الهلال — النمنمية — محمود سامى يوليو سنة ١٩٢٩

٢٦٢ — مجلة المشرق — قس بن ساعدة — ميشيل سليم كيد — يوليو سنة ١٩٢٩

٢٦٦ — مضى الأمس — مطارحة شعرية بين الأستاذ الدكتور عبد الله عبد العزيز والدكتور أبو شادى

٢٦٧ — بين الأدباء — رسائل مطوية — الأستاذ أحمد الزين وفريد بن وجدى والأستاذ سيد ابراهيم والدكتور أبو شادى

٢٧٢ — نظرات فى تاريخ الأسلام — كامل كيلانى

٢٧٧ — سنابل وأزهار — مختارات من الأدب

٢٨٢ — الأيمان — ترجمة نثرية لقصيدة من عمل لامرتين نصيف جورجى نيقولاوس

٢٨٧ — نساء العرب والحرب — حسن عبد الوهاب

٢٩٣ — شقيقة الدهر أوام الهول — حسن كامل الصيرفى

٢٩٤ — مفتاح القلوب — قصيدة — عبد الرحمن شكرى

٢٩٥ — ابو مسلم الخراسانى — مؤرخ

٣٠٠ — فى سبيل الصحافة — محمد عبد الحليم البرعى

٣٠٨ — نفثات — قصيدة — جميل صدقى الزهاوى

٣١٢ — رابطة الادب الجديد — . . . . .

٣١٥ — سؤال — حسن احمد السلمان

٣١٧ — التحنيط عند قدماء المصريين — عبد المجيد سيد احمد